التذكير بجهاد

قادة المؤسسة الأزهرية المباركة

في كيفية الحفاظ عليها عزيزة وتمكينها من أداء رسالتها

ويليه :

- استغاثة ورجاء
- تقديم الشكر لبعض أصحاب الفضل

وأذكر بما قيل في التنويه بفضلهم :

تحيـا بهم كل أرض ينزلون بها ... كأنهم لبقـاع الأرض أمطـار

وتنظـر العين منهم منظرًا حسنًا ... كأنهم لعيـون الناس أقمـار

هم سـادتي أينما حل الدليل بهم ... وأينما يممـوا قلبـي لهـم دار



إعداد الأستاذ الدكتور

أحمـد علي طه ريـان

أستاذ الفقه المقارن - جامعة الأزهر

ملامح من السيرة الذاتية للمؤلف
أ.د. أحمد علي طه ريان

١- من مواليد الأقصر عام ١٩٣٩م.

٢- حصل على الإجازة العالية من كلية الشريعة والقانون بالقاهرة عام ١٩٦٦م، ثم حصل على الماجستير ١٩٦٨، ثم الدكتوراه فى الفقه المقارن عام ١٩٧٣.

٣- عين مدرسا بالكلية عام ١٩٧٤م ثم أستاذا مساعدا عام ١٩٨٠م، ثم أستاذا عام ١٩٨٥، ثم أستاذا متفرغا بالكلية عام ٢٠٠٤م ولازال يؤدى واجبه بهذه الكلية.

٤- تولى عددا من المناصب الإدارية؛ منها:

عميداً لكلية الشريعة والقانون بأسيوط. سابقا

رئيسا لموسوعة الفقه الإسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف ولازال رئيسا لها.

عميداً لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الأحقاف باليمن. سابقا.

وكيلا لكلية الإمام مالك للشريعة والقانون بدبى. سابقا.

رئيسا لقسم الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة. سابقا

رئيسا للمكتب الأكاديمى للجامعة الأمريكية المفتوحة بالقاهرة. سابقا

٥- أشرف وناقش أكثر من مائة وعشرين رسالة ماجستير ودكتوراه.

٦- قام برحلات علمية إلى كل من السعودية، والأردن، والإمارات، والكويت والبحرين، وتونس ونيجيريا، وباكستان، وبنجلادش وأوزباكستان والدانمارك وبريطانيا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية.

٧- من أهم الكتب المنشورة للمؤلف:

- فقه الأسرة (١).
- المسكرات وعقوبتها فى الشريعة الإسلامية.
- المخدرات بين الطب والفقه.
- تعدد الزوجات ومعيار العدل بينهن فى الشريعة الإسلامية.
- ضوابط الاجتهاد والفتوى.
- البيوع المحرمة وأثرها على تعامل المصارف.
- التعليق الفقهى على مدونة الإمام مالك.
- بريد الإسلام فى الفتاوى.
- المدخل الوجيز فى التعريف بمذهب إمام الفقه والحديث مالك بن أنس رضى الله عنه.
- الرد على الفكر العلمانى.
- تذكرة الأحباب؛ فيما يجب علينا من حماية المسلمين من فتنة المال.

وغير ذلك من المؤلفات والبحوث....



التذكير بجهاد قادة المؤسسة الأزهرية المباركة
في كيفية الحفاظ عليها عزيزة
وتمكينها من أداء رسالتها

ويليه:

١- استغاثة ورجاء

٢- تقديم الشكر لبعض أصحاب الفضل

* وأذكّر بما قد قيل في التنويه بفضلهم:

تحيا بهم كل أرض ينزلون بها ... كأنهم لبقاع الأرض أمطار

وتنظر العين منهم منظراً حسنا ... كأنهم لعيون الناس أقمار

هم سادتي أينما حل الدليل بهم ... وأينما يمموا قلبي لهم دار

إعداد الأستاذ الدكتور

أحمد علي طه ريان

أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الناشر

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع

محمول: ٠١١١٣٣٧٥٣٧٥

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م

رقم الإيداع: ٢٢٥٨٣ / ٢٠١٥

الترقيم الدولي: 978-977-449-322-5

مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع

٤ ش أحمد سوكارنو - العجوزة - القاهرة

فاكس: ٣٣٠٤٤٨٤١ - ت: ٣٣٤٥٢٣٠٢

محمول: ٠١١١٣٣٧٥٣٧٥ - ٠١٠٠٠٩٦٦٥٧٨ - ٠١٢٨١٨٢٠٠٠٩

البريد الإلكتروني والمواقع الخاصة بالمكتبة:

www. elemanlibrary.com

elemanliblary@gmail.com

elemanliblary@yahoo.com

https: //www.facebook.com/elemanliblary

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، صاحب العطايا والمنح والمتفضل على عبده العاجز الفقير، بأن أوجده من العدم، ورقق عليه قلب والديه، على رعايته وإحسان تربيته، فكانا يحملانه عشرات الأميال مشيا على أقدامهما ليتوسلا برجال الله الصالحين وآل البيت المقربين، راغبين في رجائهم؛ بأن يشاركوهم في الالتجاء إلى ربهم العطوف الكريم الحنان سائلين جلا جلاله بأن يأخذ بأيديهما ليعيش فلذة كبدهما ونور بصرهما وليعرف ربه وخالقه، فيعيش في رحاب جلاله، فينعم بذكره، ويتمرغ في كريم عطاياه ومننه.

ومعلوم أن من شيمه جل جلاله أن يستجيب لدعوة هؤلاء الملهوفين، وأن يحقق رجاء الداعين المنكسرين، وكان العاجز الفقير من ثمرة هذه الخطوات المباركات، وهذه الدعوات المستجابات فله سبحانه الحمد الدائم والشكر الجزيل على عطائه المتواصل في كل جوانب الحياة، وأرجو أن يستمر هذا العطاء بقية أيام الحياة، وفي الدار الآخرة حين نلقاه، ونسعد برؤيته في جنته، إنه رؤوف رحيم حنان منان، فلم يخيب لي رجاء في الدنيا وأتعشم في كرمه أن يتحقق هذا في الآخرة، إنه نعم المولى ونعم المجيب.

ومن كرمه وعطائه سبحانه أن يحقق للوالد أمنية عزيزة عليه وهو أن يرزق بولد يجلس للتدريس في الجامع الأزهر ليستفيد منه كل الناس، سواء من كان طالباً للعلم أو مستمعاً، وهو الذي حيل بينه وبين سماعه للعلم فيه، أما أنا فكان العطاء لي متواصلا سنين عدداً في الجامع الأزهر طالبا أو معلماً، لذلك أشعر بالعجز عن حمده وشكره، وبالتقصير عن القيام بحقه وعبادته، لذلك أنا دائما في حاجة إلى عونه على الحمد والشكر، وإلى عفوه عن تقصيري وهفواتي إنه نعم المولى ونعم النصير.

ومن مزيد كرمه وعطائه أن شغلني صغيراً بحفظ كتابه، وكبيراً بفهمه وإفادة المسلمين به، كما تواصل العطاء بالاهتمام بسنة حبيبه المصطفى سيدنا محمد ﷺ على غير استعداد ورغبة مني في ذلك، لكن بعد أن انغمست في ذلك رغم أنفي، بتغيير اتجاهي من الفقه الذي أتى بي إليه، إلى الاشتغال بالسنة؛ تحقيقاً وشرحاً، أحسست أني مكرم، وأني ملاحظ بعين العناية، وأن رغباتي دنيوية صرفة، لذلك صارت مكتبة الحديث عندي أكبر من مكتبة الفقه بمذاهبه الثمانية، المعمول بها الآن في دنيا المسلمين، وهي تحت رعايتي باعتباري رئيساً لموسوعة الفقه الإسلامي في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف.

وبعد أن كانت مهمتي بجلوسي في الجامع الأزهر، هي شرح أحاديث الأحكام سنين متعددة، انشغلت بشرح سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، ثم بجامع العلوم والحكم، ثم بالاستذكار، ثم اختير لي العمل في شرح صحيح الإمام البخاري من بدايته، مع مراعاة فقه الإمام البخاري من خلال تراجمه وألفاظ حديثه، مع بيان آراء المذاهب الفقهية، دون التعرض للمقارنة بين فقه الإمام البخاري وفقه المذاهب الفقهية، وهو مسجل على الإنترنت، من خلال جهاز مخصص لذلك، ولمزيد من الإفادة للآخرين؛ بدأت اكتب موجز الدرس، وقد نشر الجزء الأول منه بحمد الله تبارك وتعالى، ودائماً أرى أن اختيار الله تعالى لي أفضل بكثير من اختياري لنفسي.

وقد أردت إلى جانب ذلك أن يكون لي تذكير بفضل الله تعالى على مصر بأن منحها منحة عظيمة بعد الحرمين الشريفين، وهي القيام على حفظ تراث المسلمين، وذلك ببيان ما جاء في الكتاب والسنة من الأحكام، وذلك من خلال جهود أبناء هذه المؤسسة المباركة، وهو الأزهر المبارك، الذين وفقهم الله تعالى لنشر هذا العلم في كل أقطار العالم، حتى أنه لا يوجد عالم إلا وهو

قد تلقى تعليمه في الأزهر الشريف، وقبل عرضي لحياة وإنجازات كل قائد منهم: كنت أبدؤه بمقولة أمير الشعراء في حقهم:

قم في فم الدنيا وحي الأزهرا وانثر على سمع الزمان الجوهرا

واخشع مليا واقض حق أئمة طلعوا به ظهرا وماجوا أبحرا

كانوا أجل من الملوك جلالة وأعز سلطاناً وأكرم مظهرا

وإني حاولت بما منحني المولى جل علاه من فضله، أن يكون لي تذكير بفضل التعريف بقادة هذه المؤسسة المباركة، الذين حملوها فوق رؤوسهم، إدارة وتنظيما، وتعليما، وعلما يعرف الأزهر به، ومن خلاله لكن بصورة موجزة وذلك في المقصد الأول، وإلى جانب ذلك كان لي تعليق في كل درس على الأحداث الدينية والاجتماعية بل والسياسية إذا كان لها مساس بالدين، وذلك في المقصد الثاني[١].

ثم أنهي هذا الكتيب بالتعريف الموجز ببعض العلماء الذين تأثرت بمنهجهم أو استفدت من علمهم، حيث أدركتهم وجلست إليهم وذلك في المقصد الثالث، ودعائي للجميع بالمغفرة والرحمة جزءا ما قدموا من خير عظيم لأبناء عصرهم ولمن جاء بعدهم، وأرجو ألا يحرم العاجز الفقير من دعوة صالحة ممن قرأ هذا الكتاب أو استفاد منه بوجه من وجوه المنفعة.

ومعلوم أني اكتب لوجه الله تعالى، وجزى الله الناشرين خيراً على ما يبذلونه من جهد ومال، في إخراج هذا الكتاب ونحوه، وهم يعلمون أني متصدق بنصيبي من ثمن الكتاب على القارئ، كما أعرف أنهم يحصلون على

---

(١) هذه التعريفات بقادة هذه المؤسسة المباركة؛ مقتطفة من مجموعة من الكتب التي تناولت حياة هؤلاء السادات؛ منها: مشيخة الأزهر للشيخ علي عبد العظيم، والأزهر الشريف للدكتور/ عبد الله سلامة نصر، وعجائب الآثار للجبرتي، وشجرة النور الزكية للشيخ محمد مخلوف في طبقات المالكية، وغير ذلك.

هامش يسير من الربح، كما يدخرون نصيبهم من ذلك عند رب العالمين؛ وهو سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصـــحبه أجمعين.

أ. د/ أحمد علي طه ريان

أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

٢٠ رمضان ١٤٣٦هـ

٧ يوليو ٢٠١٥م

* المقصد الأول: قادة المؤسسة المباركة *

الأول: الإمام الأكبر الشيخ محمد الخراشي

ولد الإمام الأكبر الشيخ/ محمد جمال الدين عبد الله علي الخراشي عام ألف وعشرين تقريباً من الهجرة ببلدة أبو خراش من أعمال شبراخيت بمحافظة البحيرة، وهي من المناطق التي يتركز فيها المذهب المالكي إلى جانب بلاد الصعيد خصوصاً في الجنوب.

الإمام الأكبر محمد الخراشي: هو أول شيخ تقلد منصب مشيخة الأزهر الشريف، وقد ناله عن استحقاق وجدارة، فقد ذكر الإمام الشيخ علي الصعيدي في تعليقه على شرح الخرشي على مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي، هو شيخ المالكية في عصره شرقاً وغرباً، وقدوة السالكين عجماً وعرباً، ومربي المريدين، وكهف السالكين.. الخ.

إليه انتهت الرياسة في مصر، حتى لم يبق بها في آخر عمره، إلا طلبته وطلبة طلبته.

تلقى الإمام محمد الخراشي التعليم والتوجيه على يد نخبة من العلماء الأعلام، مثل والده: الشيخ/ جمال الدين عبد الله علي الخراشي، ومثل خاتمة المحدثين الشيخ/ إبراهيم اللقاني، وكلاهما تلقى تعليمه ومعارفه وروايته عن الشيخ/ سالم السنهوري، عن النجم الغيطي عن شيخ الإسلام/ زكريا الأنصاري، عن الحافظ ابن حجر العسقلاني بسنده إلى البخاري، كما تلقى معارفه أيضاً على الشيخ علي الأجهوري، والشيخ/ ياسين الشامي وغيرهما.

تلقى العلوم التي كانت سائدة في عصره، مثل التفسير والحديث وعلوم اللغة وعلم الكلام والمعاني والبديع والأدب والسيرة والتاريخ، إلى جانب كتب الفقه المالكي والشافعي والحنفي، وغير ذلك من العلوم مثل: علم التشريح

وغيره من العلوم الحديثة التي كانت تدرس في الأزهر آنذاك.

تخرج على يديه عدد كبير من العلماء، يقول الشيخ/ علي الصعيدي العدوي: تخرج عليه جماعة كثيرون حتى وصل ملازموه نحو المائة؛ منهم الشيخ/ أحمد اللقاني، والشيخ/ محمد الزرقاني، والشيخ/ علي اللقاني، والشيخ/ شمس الدين اللقاني، والشيخ/ داود اللقاني، والشيخ/ محمد النفراوي، وأخوه الشيخ/ أحمد، والشيخ/ الشبراخيتي، والشيخ/ أحمد الفيومي، والشيخ/ إبراهيم الفيومي، والشيخ/ أحمد المشرفي، والشيخ العلامة عبد الباقي القليني، والشيخ/ علي المجدولي.

ذكر الجبرتي في تاريخه: أن من تلاميذ الخرشي النابهين: العلامة الشيخ إبراهيم الفيومي المالكي سادس شيخ للأزهر، الذي كان مفيداً للدراسة مع الشيخ الخراشي، ومنهم الشيوخ المرموقون في الفقه والحديث: الشيخ/ أحمد غنيم النفراوي، والشيخ/ أبو حامد محمد بن محمد الحسيني الدمياطي، والعلامة شمس الدين محمد بن سلامة البصير الإسكندري، والعلامة صاحب المؤلفات القيمة: أبو العباس أحمد بن عمر الديربي.

كان الشيخ على مكانته متواضعاً عفيفاً واسع الخلق، كثير الأدب والحياء، كريم النفس، حلو الكلام، مهيبُ المنظر، دائم الطهارة، كثير الصمت، كثير الصيام والقيام، زاهداً ورعا متقشفاً في مأكله وملبسه وفرشه، وكان من تواضعه: أنه كان يذهب إلى السوق بنفسه فيشتري حاجاته ويحملها إلى بيته، وكان لا يتخلف عن صلاة الجماعة وكان حريصاً على صلاة الصبح بالجامع الأزهر بالرغم من تقدم سنه.

كان لا يني عن حاجات الناس إذا كانت في طاقته، وكان يعير كتبه لأهل العلم إيثاراً لوجه الله تعالى.

وكانت دروسه خاصة بطلاب العلم من شتى الأقطار، وكانت له في بيته

خلوة خاصة يتفرغ فيها للعبادة والذكر.

لقد ذاع صيت الإمام الأكبر الشيخ/ محمد جمال الدين الخراشي، وسمت مكانته بين العامة والخاصة، فكان الحكام يقبلون شفاعته، وكان الطلبة يقبلون على دروسه لينهلوا من معارفه الفياضة، كما أن العامة يفدون إليه ينالون من كرمه ويهتدون بعلمه وخلقه.

وصفه الجبرتي: بأنه الإمام العلامة، والحبر الفهامة، شيخ الإسلام والمسلمين وارث علوم سيد المرسلين، كما قال عنه العلامة الشيخ/ علي العدوي الصعيدي: العلامة الإمام، والقدوة الهمام، لازم التدريس لا سيما بعد شيخيه: البرهان اللقاني وأبي الضياء على الأجهوري، وكان يقرأ نصف مختصر خليل بعد الظهر، والنصف الآخر في الصباح التالي.

ذاعت شهرة الشيخ في البلاد الإسلامية، في بلاد الغرب والتكرور، والشام والحجاز والروم واليمن ومع صعوبة المواصلات في ذلك الوقت ومشقات الانتقال؛ لكن كتب الشيخ وكثرة طلبته من أقطار عديدة ثم أداءه الحج واشتهاره بالعلم والتقوى مكن له من بلوغ هذه الشهرة الكبيرة، وقد ذكره الإمام الزبيدي صاحب تاج العروس: فقال: شيخ مشايخنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخراشي من قرية أبي خراش.

كانت النذور والهدايا تأتيه من أقصى بلاد المغرب وغيرها فلا يمسك منها شيئاً بل يتركها لأقاربه ومعارفه يتصرفون فيها.

كان من أهم مؤلفات الشيخ/ محمد الخراشي شيخ الأزهر:

١- كتاب سماه: "رسالة في البسملة"، شرح فيه البسملة فقط وذلك في نحو أربعين كراسة.
٢- "الشرح الكبير لمختصر خليل" في ثمانية مجلدات.
٣- "فتح الجليل" وهو الشرح الصغير لمختصر خليل في أربع مجلدات.

٤- "منتهى الرغبة في حل ألفاظ النخبة"؛ وهو شرح لنخبة الفكر في مصطلح الحديث للحافظ ابن حجر العسقلاني.

٥- "الفرائد السنية في حل ألفاظ السنوسية"، للعالم التلمساني: عبد الله محمد بن يوسف التلمساني في عقيدة التوحيد، ويسمى "العقيدة الكبرى".

٦- "الأنوار القدسية في الفرائد الخراشية" وهو شرح للعقيدة السنوسية الصغرى المسماة "أم البراهين".

٧- "حاشية علي شرح الشيخ علي (إيسا غوجي) في المنطق"، وهو من أشهر كتب المنطق، من تأليف العلامة: أثير الدين المفضل بن عمرو الأبهري السمرقندي المتوفى عام ٦٦٣هـ.

٨- إجازة أجاز بها تلميذه الشيخ علي الشبراملسي وفيها: (يقول الفقير محمد الخراشي خادم الفقراء بالأزهر إني أجزت الشيخ/ علي على الوجه المشروع...).

اشتهر الشيخ الخرشي بشدته على الأمراء والحكام وكانت له هيبة في نفوسهم لذلك كان يلجأ إليه أفراد الشعب وطوائفه إذا وقعت عليهم مظالم من الأمراء والحكام فكان لا يتأخر عن الذهاب بنفسه لردها أو يرسل من يقوم بذلك وكان هو أو رسوله محل احترام من الأمراء والحكام فكانت ترد المظالم لأهلها.

حتى اشتهرت بين أفراد الشعب عبارة (يا خراشي) لمن وقعت به مظلمة أو وقع به ضيق أو حصل عليه اعتداء من ظالم أو متجبر.

كما كانت روايته للحديث متصلة السند عن طريق الحافظ ابن حجر وغيره إلى رسول الله ﷺ كما جمع بين علوم الدين والدنيا حتى صار قدوة الأولياء والعلماء من بعده.

توفى الإمام الأكبر الشيخ محمد جمال الدين الخراشـــي عـــام ١١٠١هـ ودفن مع والده بوسط قرافة المجاورين وقبره معروف، وجـــاء فـــي تـــاريخ الجبرتي؛ أن له كرامات شهيرة، رحمه الله رحمة واسعة.

***

الثاني: الإمام الأكبر الشيخ إبراهيم البرماوي

شيخ أزهرنا المعمور في هذه الحلقة، هو الإمام الأكبر الشيخ/ إبراهيم ابن محمد بن شهاب الدين بن خالد البرماوي الأزهري الشافعي الأنصاري الأحمدي رحمه الله تعالى.

تولى المشيخة عام ١١٠١هـ بعد وفاة الإمام الأكبر الشيخ محمد جمال الدين الخراشي، و"برما" بلدة من أعمال محافظة الغربية، والتي نبغ فيها كثير من العلماء.

تلقى علومه في الأزهر في علوم الشريعة واللغة وما يتصل بهما؛ وقد تتلمذ على الشمس الشوبري، والمزاحي، والبابلي والشبراملسي، وكان هؤلاء من كبار علماء عصره، كما لازم دروس الشيخ العباسي شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي، وكان واسع الثقافة غزير العلم، وقد تهافت الطلبة على دروسه للانتفاع بمصنفاته وتوجيهاته والاستفادة من ثقافته المتنوعة.

تتلمذ عليه كثير من العلماء الذين اشتهروا فيما بعد: منهم العلامة العجلوني صاحب كتاب: "كشف الخفا ومزيل الإلباس فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث"، ومنهم الشيخ علي بن المرحومي اليمني، وكان منهم الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومي الذي تولى منصب شيخ الأزهر فيما بعد.

ترك الشيخ البرماوي عددًا كبيرًا من المؤلفات من أهمها:

١- حاشية على شرح القرافي لمنظومة ابن فرح الإشبيلي المتوفى ٦٩٩هـ وقد نظم قصيدة في علم مصطلح الحديث اشتهرت باسم منظومة ابن فرح الإشبيلي، أولها:

غرامي صحيح والرجا فيك معضل   وحزني ودمعي مرسل ومسلسل

٢- له حاشية على شرح ابن قاسم الغزي الشافعي، وكان أبو شجاع أحمد بن الحسين الأصفهاني المتوفى عام ٥٩٣هـ ألف كتابا قيماً في فقه الإمام

الشافعي سماه: "التقريب"، وشرحه العلامة محمد بن قاسم الغزي المتوفى عام ٩١٨هـ سماه "فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب"، وقد كتب الإمام البرماوي حاشية قيمة على هذا الشرح، وكتب الشيخ الإنبابي شيخ الأزهر تقريراً على هذه الحاشية له أهميته.

٣- للإمام البرماوي حاشية أيضاً على شرح السبط على الرحبية في الفرائض – أي المواريث– حيث ألف الإمام أبو عبد الله محمد بن علي الرحبي المتوفى عام ٥٧٧هـ أرجوزة في الفرائض اشتهرت باسم الرحبية، افتتحها بقوله:

أول ما نستفتح المقالا بذكر حمد ربنا تعالى

ومن أشهر شراحها العلامة بدر الدين محمد الشافعي المتوفى عام ٩٠٧هـ، وقد علق عليها وعلى الشرح الإمام البرماوي: حاشية جيدة.

٤- له كتاب "الميثاق والعهد فيمن تكلم في المهد" وهي مخطوطة بدار الكتب المصرية.

٥- له رسالة في "الدلائل الواضحات في إثبات الكرامات والتوسل بالأولياء بعد الممات"؛ في التصوف والتوحيد وقد انتقل إلى رحاب ربه عز وجل عام ١١٠٦هـ.

❊ ❊ ❊

الثالث: الإمام الأكبر الشيخ محمد النشرتي

الإمام الأكبر الشيخ/ محمد النشرتي من أعلام الفقه المالكي وينتمي إلى بلدة "نشرت" بمحافظة كفر الشيخ.

بلغ الشيخ النشرتي في التدريس شأوا عظيماً جعل الطلاب يتوافدون على مجلسه من كل مكان، وكان هذا اعترافاً بفضل الشيخ ومنزلته ومكانته العلمية الرفيعة وإقراراً بزعامته لعلماء المالكية في عصره.

من أجل ذلك كان هو مَن اتجهت إليه الأنظار لتولي المشيخة بعد وفاة الإمام البرماوي، وقد حرص الشيخ النشرتي على ألا تنفض حلقته الدراسية بعد توليه مشيخة الأزهر وظل يواصل عمله في التدريس حتى لقى ربه وهو يؤدي رسالته على أفضل ما يكون أداء الرسالة، والنهوض بأعبائها.

لم يترك مؤلفات ومصنفات في العلم ولكنه ترك رجالاً تعلموا على يديه، وقد سئل الإمام جمال الدين الأفغاني عن العلة في عدم إقباله على التأليف والتصنيف، فقال لقد ألفتُ رجالاً، وهو تعبير دقيق، لأنه استطاع أن يربي طائفة من الزعماء المرموقين حملوا رسالته من بعده وأدوها خير أداء؛ فبعض العلماء المرموقين يجدون من الخير تأليف الكتب، وبعضهم يجد من الأفضل تأليف الرجال، والحياة الثقافية بحاجة إلى كلا الاتجاهين.

ذكر الجبرتي أن من تلاميذ النشرتي المرموقين: الإمام العلامة صاحب التاليف العديدة والتقريرات المفيدة أبو العباس أحمد بن عمر الديربي الشافعي الأزهري، ومنهم الإمام الشيخ الصالح/ عبد الحي بن الحسن بن زين العابدين، وكذلك الإمام الفقيه المحدث الأصولي المتكلم شيخ الإسلام وعمدة الأنام الشيخ/ أحمد بن الحسن بن عبد الكريم الكريمي الخالدي الشافعي الأزهري الشهير بالجوهري.

كما ذكر الجبرتي: أن الإمام النشرتي: كان وصيا على والده - أي والد

الجبرتي – بعد وفاة جده.

توفي الإمام النشرتي يوم الأحد الثامن والعشرين من ذي الحجة عام ١١٢٠هـ، وقد صلّى عليه بالأزهر بمشهد حافل، وقد حضر جنازته الأمراء وحكام الأقاليم والعلماء والأعيان وكان يوماً مشهوداً وهذا يدل على مكانته العظيمة ومنزلته السامية إلى جانب شهرته العلمية، وإلى امتداد ولايته لمنصب شيخ الأزهر، أربعة عشر عاماً وهي مدة طويلة إذا قورنت بأيام غيره من شيوخ الأزهر.

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

***

الرابع: الإمام الأكبر الشيخ عبد الباقي القليني

ولد الشيخ عبد الباقي في بلدة (قلين) بمحافظة كفر الشيخ: وكان أحد شيوخ المالكية في عصره وبعد أن حفظ القرآن في قريته وتلقى مبادئ العلوم، التحق بالأزهر الشريف ودرس في حلقاته علوم الحديث والتفسير وعلوم اللغة وغير ذلك من العلوم التي كانت تدرس في ذلك الوقت.

كان الشيخ عبد الباقي القليني من كبار تلاميذ الإمام النشرتي حيث تفقه على يده ويد غيره من علماء الأزهر، وكان تلاميذ النشرتي بعد وفاته: كانوا يرون أن أولى العلماء بمنصب شيخ الأزهر: هو الشيخ عبد الباقي القليني، وكان الشيخ القليني غائبا بعيدا عن القاهرة، فأرسلوا إليه ليحضر ليتولى المشيخة، وأغلقوا باب القاعة التي كان يجلس فيها شيخ الأزهر عادة ويلقي فيها دروسه (وهو ما تعرف بالمدرسة الأقبغاوية) في مدخل الجامع الأزهر من الجهة اليسرى.

لكن يوجد فقيه مالكي كبير آخر له زملاء وأتباع يرون أنه أحق بالمشيخة من الشيخ عبد الباقي القليني، ألا وهو الشيخ: أحمد بن سالم النفراوي، فاقتحموا القاعة وأجلسوا الشيخ أحمد النفرواي للتدريس باعتباره هو الأحق بالمنصب، وهذا هو مكانه.

ولما علم بذلك الشيوخ المناصرون للشيخ عبد الباقي القليني، ذهبوا واقتحموا القاعة وأخرجوا الشيخ أحمد النفراوي منها وأغلقوها حتى يحضر الشيخ عبد الباقي القليني، إذ هو الأولى بهذا المكان.

ولما علم الحاكم في ذلك الوقت بما حدث بين الفريقين حضر إلى الجامع الأزهر، وبعد أن سمع بتفاصيل ما جرى أغلق باب المسجد لعدة أيام، وبعد الوقوف على التفاصيل كاملة، عرف من خلالها أن الأولى بمنصب المشيخة هو: الشيخ عبد الباقي القليني، فأصدر قراره بتعيينه شيخاً للأزهر، كما ألزم

الشيخ أحمد النفراوي بلزوم بيته.

باشر الشيخ عبد الباقي القليني الأعمال التي كان يتولاها عادة شيخ الأزهر، إلا أنه لم يستمر طويلاً في مباشرة مهامه، حيث ترك منصبه ودرسه وذهب إلى بلدته حتى توفي بها في عام ١١٣٢هـ الموافق ١٧١٩م.

لم يترك الشيخ القليني مؤلفات أو مصنفات، بل كان من العلماء المنشغلين بتربية الرجال وتكوينهم على منهج الإمام جمال الدين الأفغاني، وأمثاله ممن انصرف جهدهم لتخريج العلماء الذين يقودون المسيرة العلمية لهذه المؤسسة المباركة.

رحم الله الشيخ عبد الباقي القليني رحمة واسعة.



الخامس: الإمام الأكبر الشيخ محمد شنن

ولد الإمام الأكبر الشيخ محمد شنن ١٠٥٦ه ١٦٥٦م في قرية صغيرة تسمى "الجدية" في آخر بلاد مديرية البحيرة، من الجهة البحرية من أعمال بلاد الأرز على الشاطئ الغربي لبحر رشيد وهي قرية أبنيتها بالطين وفيها جامع ونخل وكروم وأرض صالحة لكل الزراعات.

كان الإمام الأكبر الشيخ محمد شنن مالكي المذهب، وكان أحد الثلاثة المرموقين من كبار العلماء في الفقه المالكي في الأزهر وهم الشيخ عبد الباقي القليني، والشيخ أحمد سالم النفراوي، والشيخ محمد شنن، وفي خلال الأزمة التي حدثت في اختيار الشيخ عبد الباقي القليني، كان قرار الوالي بأن يبعد الشيخ محمد شنن من الأزهر إلى قريته "الجدّية" إلى أن تهدأ الأوضاع في الأزهر.

مع ترك الشيخ عبد الباقي القليني للمشيخة ورحيله إلى بلده قام الشيخ محمد شنن بالمساعدة على إدارة الأمور في المشيخة، قبل أن يتولاها رسميا، وظل الحال على ذلك حتى عام ١١٣٢ه وهو العام الذي مات فيه الشيخ عبد الباقي القليني: فصدر القرار بتولي الشيخ محمد شنن مشيخة الأزهر رسميا عام ١١٣٢ه.

من أهم الأعمال التي قام بها الشيخ محمد شنن أنه رأى تصدعا في جانب من جوانب الأزهر فصعد إلي الوالي العثماني في القلعة: وقال له: المرجو من حضراتكم وعالي همتكم أن تكتبوا لحضرة مولانا السلطان نصره الله العزيز الرحمن، لينعم على الأزهر بالعمارة، فإنه محل للعلم، الذي ببقائه بقاء الدولة العثمانية، وله ولك الثواب من الملك الوهاب، ووافق الوالي على الفور، واقترح أن يضع كبائر المشايخ مذكرة ترفع للسلطان بعد أن يوقعوا عليها، ويشترك أعيان وكبار الأمراء والمماليك في وضع أختامهم عليها،

واستجاب السلطان أحمد الثالث إلي طلب علماء الأزهر، وأوفد بعثة عثمانيــة رسمية إلي مصر تحمل رد السلطان على الموافقة على اعتماد خمسين كيــسا ديوانيا من مال الخزانة، للإنفاق منها على إصلاح المسجد.

لقد أنعم الله على الشيخ محمد شنن بالمال الكثير والعلم الغزير، يــذكر الجيرتي: أنه كلن أغنى أهل زمانه بين أقرانه حيث ترك لابنه ثروة طائلة من الذهب والفضة والأملاك والضياع وكان له مماليك وعبيد وجــواري، وكــان بين مماليكه "أحمد بك شنن" الذي صار حاكمًا على أحد الأقاليم فيما بعد.

وكذلك في جانب العلم: كان غزير العلم واسع الاطلاع فقيها مجتهدا وعلما من أعلام الفقه المالكي في زمانه

وهذا يُذكِرّ بالمناظرة التي دارت بين أبي الوليد البــاجي شــيخ فقهــاء الأندلس، وابن حزم من كبار علماء الأندلس، فقد دامت ثلاثــة أيــام، وفــي نهايتها: قال أبو الوليد الباجي لابن حزم: اعذرني فقــد طلبــت العلــم علــى مصابيح الشوارع، يعني أنه حصل هذا العلم مع فقره الشديد حتى أنه لم يجــد مصباحاً خاصاً به ليذاكر عليه، فقال ابن حزم: أنا أبلغ منك عذراً فقد طلبــت العلم على قناديل الذهب والفضة، يعني ثراءه العريض لم يصرفه عن تحصيل العلم.

لقي الشيخ محمد شنن ربه عام ١١٣٣هـ وعمره سبعة وسبعون عامــاً، رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له مثوبته.

* * *

السادس: الإمام الأكبر الشيخ إبراهيم الفيومي

ولد الإمام الأكبر الشيخ إبراهيم بن موسى المالكي عام ١٠٦٢هـ، ١٦٥٢م، وكعادة أهل الريف – بعد أن ولد الشيخ إبراهيم بمدينة الفيوم بأعلى الصعيد، وبعد تقدمه في سن الطفولة حفظ القرآن الكريم بالقرية ثم ألحقه والده بالأزهر الشريف.

تلقى الشيخ إبراهيم الفيومي العلوم العقلية والنقلية على يد كبار شيوخ الأزهر وكان في مقدمة هؤلاء الشيخ جمال الدين الخراشي حيث قرأ عليه رسالة ابن أبي زيد القيرواني وشرحها، وكان دائم الجلوس معه، كما تتلمذ على يد الشيخ الشبراملسي، والشهاب أحمد البشبيشي، والشيخ إبراهيم البرماوي، والشيخ محمد الشرتبلالي، كما تلقى الحديث عن الأئمة الشيخ يحيى الشاوي، وعبد القادر الواطي، وعبد الرحمن الأجهوري.

قد ألف الشيخ إبراهيم الفيومي شرحاً للمقدمة العزية التي كان ألفها الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الشاذلي المالكي المتوفى سنة ٩٣٩هـ، وقد شرحها أيضاً: الشيخ أحمد بن تركي المنشليلي المتوفى عام ٩٩٨هـ، و الشيخ عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المتوفى عام ١١٢٢هـ، ويقع شرح الشيخ الفيومي في مجلدين كبيرين.

كان الشيخ الفيومي مدرساً موهوباً حيث ترك أثراً عميقاً في نفوس طلبته، حيث استفاد من الشيخ الخراشي، الذي قضى فترة طويلة معيداً لدرسه على الطلاب، فبعد أن كان الشيخ ينتهي من الدرس، يعيده عليهم الشيخ الفيومي بلغته السهلة الموجزة حتى يستوعبه الطلاب.

كان من ألمع تلاميذه العالم الزاهد الورع الشيخ محمد بن عيسى بن يوسف الدمياطي الشافعي حيث تلقى عنه المنطق والفلسفة، وقد تأثر بطريقة شيخه فألف حاشية على الأخضري في المنطق وله حاشية على السنوسية،

كما تلقى عنه الفقه المالكي، الشيخ الصالح العلامة علي الفيومي المالكي الذي كان شيخاً على رواق بلاده، وكان من تلاميذه أيضاً العلامة شيخ مشايخ الإسلام وعلم العلماء وإمام المحققين وعمدة المدققين الشيخ علي بن أحمد بن مكرم الله الصعيدي العدوي المالكي، صاحب المصنفات العديدة القيمة، وقد تأثر بشيخه فألف أيضاً شرحه للمقدمة العزية كما ألف حاشية على الأخضري.

اشتهر الشيخ الفيومي بالورع والزهد وغزارة العلم مع الاهتمام الكبير بالتدريس في الجامع الأزهر الشريف.

توفى الشيخ الفيومي بعد خمس سنوات قضاها في المشيخة وذلك في عام ١١٣٧هـ.

رحمه الله رحمة واسعة.

* * *

السابع: الإمام الأكبر الشيخ عبد الله الشبراوي

هو الإمام الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين الشبراوي الشافعي ولد سنة ١٠٩٢هـ.

كان أبوه محمد، وجده عامر بن شرف الدين عالمين فاضلين، كما تتلمذ على الإمام الخرشي أول شيخ للأزهر.

تولى مشيخة الأزهر وعنده أربع وثلاثون سنة وظل شيخاً للأزهر خمسا وأربعين عاماً، كان فيها ملء السمع والبصر، حتى أن الوالي التركي على مصر آنذاك كان يتتلمذ عليه وهو عبد الله باشا مصطفى باشا الكويري.

لمكانته السامية عند الحكام كان يهرع إليه كل من وقع عليه ظلم من الحكام فيتدخل ويرفع الظلم عنهم ويعود الحق إلى نصابه.

أكرم الله الإمام الشبراوي بمال كثير ولكنه أنفقه في سبيل رفع شأن الأزهر وعلمائه وطلابه

لقد كانت للإمام الشبراوي قريحة شعرية واسعة فقال الشعر في فنون كثيرة فيكتب إلى صديق له.

محبك يا شقيق الروح يرجو ... مجيئك للتأنس والسرور

ولا تترك محبك في انتظار ... فما يقوى على البعد الكثير

ومن قصائده التي يتغنى أهل الفن بها حتى الآن:

وحقك أنت المنى والطلب ... وأنت المراد وأنت الأرب

أشاع العذول بأني سلوت ... وحقك يا سيدي قد كذب

لئن جدت أوجرت أنت المراد ... ومالي سواك مليح يُحب

كان يستغل موهبته الشعرية في نظم بعض العلوم لتسهيل حفظها على الطلاب مثل نظمه للأجرومية في علم النحو.

وقد أصدر السلطان العثماني نظاماً مجحفاً في الرواتب للعاملين بالأوقاف وأحدث ضجة كبيرة لدى العاملين بهذا القطاع وهم كثيرون إلى أن تدخل الشيخ الشبراوي بوضع نظام آخر تمت المصالحة عليه ووافق عليه السلطان العثماني.

حدثت مواجهة كبيرة بين أحد كبار الصوفية في عصره، حيث كان يركب بغلته لزيارة الإمام الحسين كل أسبوع وحوله أتباعه يصيحون بالذكر في الطرقات، وقد أثار العلماء ضده الأمراء فتدخل الإمام الشبراوي حيث جعل لهذا الشيخ درساً في الأزهر لدراسة الأربعين النووية فانصرف أتباعه لدراسة العلم عليه في الأزهر.

كما حدثت مشكلة كبيرة حول حج المسيحيين إلى بيت المقدس، فتدخل الشيخ الشبراوي وقال: إن لهم أن يحجوا إلى مقدساتهم كما يحج المسلمون إلى مقدساتهم فوافق السلطان والأمراء على ذلك، مما انعكس أثره على حب المسيحيين للشيخ وأقاموا الاحتفالات لأجل ذلك.

الشيخ الشبراوي أول من أدخل العلوم الحديثة للدراسة بالأزهر كالرياضيات وعلوم الاجتماع.

له مؤلفات عديدة، وتوفى رحمه الله في الثمانين من عمره سنة ١١٧١هـ.

* * *

الثامن: الإمام الأكبر الشيخ محمد بن سالم الحفني

نتحدث عن أحد رجال الأزهر الكبار من الذين أكرمهم الله تعالى بأن جمع لهم علم الشريعة وعلم الحقيقة، ثم منَّ الله تعالى عليه بتنصيبه شيخاً للأزهر، وهو الإمام الأكبر الشيخ محمد بن سالم الحفني، ويلقب "بالحفناوي" وصفه الجبرتي في عجائب الآثار بأنه الإمام العلامة الهمام أوحد زمانه علما وعملاً، أدرك ما لم تدركه الأوائل المشهود له بالكمال والتحقيق على كل فريق شمس الملة والدين.

ولد الإمام الأكبر الحفني على راس المائة بعد الألف يعني سنة ١١٠٠هـ ببلدة حفنا، من أعمال بلبيس بمحافظة الشرقية وانتسب إليها ونشأ بها ثم وفد إلى القاهرة في الرابعة عشرة من عمره، وأخذ العلم عن أشهر علماء عصره.

يقول عنه من كتب سيرته الشيخ علي عبد العظيم، أنبتته الوراثة الصالحة، ورفعته الثقافة الواسعة، وصقلته التجارب العديدة، وزكته الصوفية السامية فاجتمعت فيه عناصر التوفيق كلها، وقلما تجتمع في إنسان إلا إذا لاحظته العناية الربانية، فهو شريف حسني من جهة أم أبيه السيدة/ ترك بنت السيد سالم بن محمد بن السيد برطع المدفون ببركة الحاج، وكان الانتساب للرسول ﷺ في هذا الزمن يُلزم صاحبه بالتمسك بسنته الشريفة والتزام تقوى الله ليتفق هذا مع شرف نسبه الكريم.

أما ثقافته فهي متنوعة متعددة، فقد حفظ القرآن الكريم ثم اشتغل بحفظ المتون، فحفظ ألفية ابن مالك، والسلم، والجوهرة، والرحبية، وأبا شجاع وغيرها، وفي الثانية والعشرين من عمره كان قد تبحر في علوم النحو والفقه، والمنطق والحديث، والأصول، وعلم الكلام وبرع في العروض، وظهرت مواهبته الأدبية في الشعر وفنونه بالفصحى والعامية، كما ظهرت براعته في النثر طبقاً للأسلوب السائد في عصره، فأذن له شيوخه وأجازوه بالإفتاء

والتدريس في هذه السن المبكرة.

أما تجاربه العديدة، فإنه ذاق مرارة الفقر، فلم تُذله القلة، وذاق حلاوة الغنى فلم تبطره الثروة، وكان آية في المروءة والسخاء، وعلى الرغم من مناصبه العديدة، ووصوله إلى الذروة، فإنه كان متواضعاً، جم الحياء، كريم النفس، رحب الصدر، متمسكاً بالمروءة والوفاء.

وأما مسلكه الصوفي، فقد تاقت نفسه إلى التصوف وهو في ريعان الشباب، فقد كان يتردد على زاوية سيدي شاهين الخلوتي بسفح جبل المقطم، ويمكث فيها الليالي متحنثاً، ثم أخذ العهد بعد الثلاثين من عمره على الشيخ أحمد الشاذلي المغربي، ثم تلقى الطريقة الخلوتية على شيخها العلامة القدوة، للسالكين ومربي المريدين الإمام السيد/ مصطفى بن كمال الدين الصديقي البكري، كما وصفه الجبرتي في عجائب الآثار، ولازمه ثم لقنها لكثير من أعلامها البارزين الذين صاروا فيما بعد أساطين مضيئة في عالم الشريعة والحقيقة في رحاب الأزهر الشريف.

كان من أشهر شيوخ الإمام الأكبر الشيخ محمد بن سالم الحفني الشيخ الثامن من شيوخ هذه المؤسسة المباركة: العلامة الشيخ محمد البديري الدمياطي الشهير بابن الميت أخذ عنه التفسير والحديث والإحياء وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، والنسائي، وابن ماجة، والموطأ، ومسند الشافعي، والمعاجم الثلاثة (الكبير والأوسط والصغير) للطبراني، وصحيح ابن حبان، والمستدرك للنيسابوري، وحلية الأولياء لأبي نعيم.

ثم بعد أن اشتغل بالتدريس كان يدرس لطلابه المصادر العلمية العميقة مثل: الأشموني في النحو والصرف، وجمع الجوامع، في أصول الفقه للسبكي، ومختصر السعد في البلاغة، كما اشتغل بعلم العروض حتى برع فيه، وصاغ الشعر في كثير من بحوره بالفصحى والعامية، وسنذكر فيما بعد شيئاً من شعره.

كرمه وسخاؤه: اشتهر الشيخ الحفني بالكرم والسخاء، وقد كانت له صدقات وصلات خفية وظاهرة، وكان راتب بيته من الخبز يومياً نحو الأردب من القمح فالطحون دائمة الدوران لطحن القمح ثم خبزه وتقديمه على مائدته التي يجتمع عليها الأربعون والخمسون والستون يومياً كما كان يصرف على بيوت أتباعه، وكذلك كان دق البُنّ وشربات السكر لا تنقطع، كما لا ينقطع ورد الواردين ليلاً ولا نهاراً إلى بيته.

ويعزو العلماء هذا الكرم الواسع إلى الفيض الإلهي من رب العالمين، فقد بدأ الشيخ حياته في شدة من فاقة العيش حتى إنه اشتغل بنسخ الكتب وبيعها للراغبين للإنفاق على نفسه وأهله: وفي هذه الأثناء يأتيه رجل لا يعرفه وبيده صرة بها قدر كبير من الدراهم فيأخذ بيد الشيخ ويدخل به إلى مدرسة العيني خلف الجامع الأزهر، ويفتح له الصرة ويطلب منه أخذها فيأبى إلا قبضة يده، لكن الرجل أصر أن يترك له الصرة كاملة، فبارك الله له في هذا المال الذي اعتبره مجرد سبب ظاهري، لكن البركة الحقيقية من الله تعالى.

مواهب الإمام الحفني: كانت للإمام الحفني موهبة أصيلة وبديهة سريعة، وكانت لمجالسه العلمية أهمية كبرى، وله هيبة ووقار، لا يكاد أحد يسأله لمهابته وجلالته وكان كريم النفس، مهيب الشكل، عظيم اللحية أبيضها، كأن على وجهه قنديل من النور، وكان كريم إحدى العينين على إحداهما نقطة، وأكثر الناس لا يعلمون ذلك لجلالته ومهابته.

كما كان على جانب عظيم من الحلم، ومن مكارم أخلاقه: إصغاؤه لكل متكلم ولو تحدث بالخزعبلات مع انبساطه إليه، وإظهار المحبة له ولو أطال عليه، ومن رآه مدعيا شيئاً سلم له في دعواه، ومن مكارم أخلاقه أنه لو سأله إنسان أعز حاجة عليه أعطاها له كائنة ما كانت، ويجد لذلك أنسا وانشراحاً.

لقد رفع المولى جل في علاه منزلة الإمام الحفني لدى الحكام والعامة، فقد ألف العلامة الشيخ محمد الدمنهوري المعروف بالهلباوي كتاباً في مناقب الشيخ ومدائحه، وكان الولاة والأمراء يلهجون بكراماته ومناقبه، ومنزلته السامية عند ربه.

فقد قال الوزير/ محمد باشا راغب لبعض بني السّقّاف من حضرموت، إنما لقبنا جدكم بالسقاف لكونه كان سقفاً على اليمن من البلاء، وكذلك الحفناوي كان سقفاً على مصر من نزول البلاء.

وقيل لبعض الأمراء: إن الأستاذ الحفني من عجائب مصر، فقال: بل قل من عجائب الدنيا.

قد أفاض الجبرتي في كتابه عجائب الآثار في ذكر سلوك الشيخ الحفني الصوفي وترقيته على يد شيخه الصوفي الكبير السيد مصطفى بن كمال البكري الصديقي، ورحلة الشيخ الحفني إليه في بيت المقدس، ثم ما من الله تعالى عليه من خلال تلاميذه الكثيرين الذين ترقوا على يده، وصاروا فيما بعد من أقطاب التصوف ومنهم عدد صاروا شيوخاً للأزهر فيما بعد.

لقد لهج الشعراء بمدحه وصاغوا فيه القصائد المسهبة، فمن هؤلاء الشعراء الذين لهجوا بمدحه الشاعر المشهور شمس الدين الحنفي بقصيدة طويلة نذكر منها الأبيات الخمسة التالية، قال فيها:

العالم اللسن الذي أوصافه	بعبيرها تغني عن الروض الندي
ومن ارتدى برد المحامد يافعا	وتلفع الحسنى بأزكى محتد
وسما على الأعلام من أهل الهدى	بمآثر غُر وحسن تودد
ولكم له في كل علم غامض	سفرٌ تناهى في الكمال المفرد
أدب على النقاد دار حديثه	متناسقاً كاللؤلؤ المُتنضد

ويقول ابن الصلاح وهو ممن تخرج على يديه، يقول في وصف شيخه الحفني من قصيدة طويلة جاء فيها:

إمام الهدى الراقي إلى ذروة العلا ... إلى رتبة عنها الثوابت تقعد
إمام له في المجد فخر مؤثل ... وفي رتبة العلياء عز مؤبد
فما شئت قل فيه فأنت مصدق ... مزاياه تقضي والمحاسن تشهد

ويصف دروس الشيخ الحفني فيقول:

دروس يرى فيها ابن إدريس راحة ... ويصفر منا من يغار ويحسد
فليس لأم الشافعي قرابة ... سواه ولا صنو له بعد يولد

والإمام الأكبر الشيخ محمد سالم الحفني، كان يجيد قول الشعر بالعربية الفصحى والعامية، ومن ذلك قوله في مدح شيخه سيدي مصطفى البكري:

يا مبتغى أن يحيا ... برشف كأس الحميا
اخرج عن النفس والزم ... بابا كريماً علياً
وقم بشدة فضل ... بها الكمال تهيا
من حضرة قد تسامت ... ذرا المعالي رقيا
يجل من يتصدى ... للناس يمدح هديا
سبط الحسين وصفو ... خال من اللهو أعيا
يا ابن الرفيق بغار ... وابن العتيق فيها
لابن رهين صروف ... عما يروم نئيا

ويقول عن نفسه:

لو فتشوا قلبي لألفوا به ... سطرين قد خطا بلا كاتب
العلم والتوحيد في جانب ... وحب آل البيت في جانب

وكان كثيراً ما ينشد:

حل الغرام لـصب دمعـة دمـه	حيران توجده الـذكري وتعدمـه
واسمح له بعلاقـات علقـن بـه	لو اطلعت عليها كنـت ترحمـه

وكان الإمام الحفني حاضر البديهة، وكان عنده شـاعر يـدعى الـنظم ومعرفته بقوافي الشعر، فطارحه شيئاً من شعره، فقال له: اكتب ما حضرني:

بحار شوقي بأمواج الهوى عبثـت	ومزقت حبل وصلي في مجاريهـا
وحَرَمَتْ مقلتي طيب الكرى شغفا	بشادن قد سـبي ريـم الفلاتيهـا

فأذعن الشاعر لفضله وعجب من قوة استحضاره.

وقال في جماعة اخطأوا فجاء جماعة يتشفعون لهم:

أتطلبون رجائي الآن عـن نفـر	قلوبهم بنفاق لـم تـزل مرضـى
تجاهروا بقبيح الفسق لا ربحوا إن	كنت أرضى فإن الله لا يرضـى

أما نظم شعره بالعامية فمنه قوله متصوفاً:

يا مبتغى طرق أهل الله والتـسليك	دع عنك أهل الهوى تسلم من التشكيك
(أن انكروني) لرد المعترض يكفيك	فاجعل سلاف الجلالة دائما في فيك

أما أسلوبه في النثر فمن أمثلته: حيث ينصح بالرفق في تربية المريـد، فيقول: ومن أردت زجره للتربية وإرشاده، فليكن في ذلك عند الانفراد، إذ هو أرجى لإسعاده ولا تزجره بضرب ولا نهر بين الناس، فإن ذلك ربمـا أوقـع المريد في اليأس، ولا تلتفت لمن أعرض، ولا لمن يصحبك لغرض، وعليـك بالرفق بالإخوان سيما أخوك فلان، فالخير لمن صـاحبت بإحـسان، والأدب واللطف محمودان، والغلظة والحقد موجعان، فاطرح القال والقيل، واصـفح الصفح الجميل.

من مؤلفات الإمام الحفني:

١- حاشية على شرح الأشموني لألفية ابن مالك في النحو.
٢- حاشية على الجامع الصغير في الحديث.
٣- رسالة التقليد في الفروع في أصول الفقه.
٤- رسالة على مختصر السعد في البلاغة.
٥- مختصر في مصطلح الحديث.
٦- رسالة في الجبر والمقابلة.
٧- رسالة في فضل التسبيح والتحميد في الفضائل والآداب.
٨- درر التنوير برؤية البشير النذير.
٩- أنفس نفائس الدرر على شرح همزية البوصيري لابن حجر الهيثمي.
١٠- ثبت الحفني الكبير لمشايخه،

وغير ذلك من الرسائل والإجازات.

انتقل إلى رحمة الله تعالى في سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، وصلى عليه في الأزهر الشريف في مشهد عظيم وكان يوم هول كبير كما يصفه صاحب عجائب الآثار.

ثم يقول عقب ذلك ومن ذلك التاريخ ابتدأ نزول البلاء، واختلال أحوال البلاد المصرية، وظهر مصداق قول الراغب "إن وجوده أمان على أهل مصر من نزول البلاء" وهذا من المشاهد المحسوس، وذلك أنه إذا لم يكن في الناس من يصدع بالحق ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقيم الهدى، فسد نظام العالم، وتنافرت القلوب، ومتى تنافرت القلوب نزل البلاء ومن المعلوم المقرر أن صلاح الأمة بصلاح الملوك والعلماء وصلاح الملوك تابع لصلاح العلماء، وفساد اللازم بفساد الملزوم، فما بالك بفقده، والرحى لا تدور بدون قطبها، وقد كان رحمه الله قطب رحى الديار المصرية، ولا يتم أمر من أمور الدولة وغيرها إلا باطلاعه وإذنه.

التاسع: الإمام الأكبر الشيخ عبد الرؤوف السجيني

الإمام الأكبر الشيخ عبد الرؤوف السجيني، كنيته أبو الجود وهو من أسرة اشتهرت بالعلم، وكان أستاذه الأكبر عمه الشمس السجيني، وأنه لازم عمه حتى تخرج على يديه، وأنه خلفه في دراسة منهج الطلاب للأنصاري، فقد كان من الكتب المقررة العامة في مذهب الشافعية بالأزهر، ولم تذكر الكتب تاريخ ولادته.

وقد وقعت حادثة قبل ولاية السجيني لمشيخة الأزهر، وكانت سبب شهرته قال الجبرتي: إن أحد التجار بخان الخليلي تشاجر مع خادم له فضربه الخادم وفر من أمامه فتبعه التاجر وآخرون من التجار، فدخل إلى بيت السجيني لائذا به، فاقتحم التجار البيت وضربه التاجر برصاصة أخطأته وأصابت شخصاً من أقارب الشيخ إصابة قاتلة فهرب الضارب، وطلبه الشيخ السجيني، وجمع من المشايخ والقضاة وجماعة من العامة، استمر الحال أسبوعا ثم اجتمع ذووا الرأي بالمحكمة الكبرى، وانتهى الأمر بالصلح، وتدل الحادثة على أن للشيخ منزلة مرموقة، وأنه غضب لغضبه المشايخ وجمهور الشعب حتى حضروا لنجدته من أطراف القاهرة، من حي بولاق، وحي مصر القديمة، ومن المعروف أن الأمن لم يكن مستتباً في ذلك العصر.

ولعل للشيخ من كنيته (أبي الجود) نصيب ونحن نعلم أن الشعب كان يجل العلماء ويلوذ بهم في الأزمات، ويلبي نداءهم في الشدائد.

وكان الشيخ قبل ولايته للمشيخة تولى مشيخة رواق الشراقوة بالأزهر وظل شيخاً له حتى بعد ولايته للمشيخة، فلما مات خلفه فيه ابن أخته الشيخ محمد بن إبراهيم بن يوسف الهيتمي السجيني.

ولما تولى الإمام مشيخة الأزهر سار فيها بشهامة وصرامة ولم تطل مدته بها، فقد ولي الشيخة سنة ١١٨١هـ عقب وفاة الشيخ الحفني، ولكنه انتقل

إلى رحمة الله في العام التالي حيث توفى في الرابع عشر من شوال عام ١١٨٢هـ وصلى عليه في الأزهر، ودفن بجوار عمه الشمس السجيني بأعلى البستان.

وكان رحمه الله معروفا بالعلم والتقوى والحكمة وحسن تدبير الأمور.

ولم يعثر له على مؤلفات تحمل اسمه ولعله آثر أن يقتدي بآثار السابقين، وأن يكون قدوة عملية لطلابه في السلوك والتدريس.

تغمده الله تعالى برحمته.

* * *

العاشر: الإمام الأكبر الشيخ أحمد الدمنهوري

هو الشيخ أحمد بن عبد المنعم بن صيام الدمنهوري.

ولد الإمام الشيخ أحمد عبد المنعم صيام الدمنهوري، بمدينة دمنهور- وهي عاصمة محافظة البحيرة الآن - وكانت تسمى قديما: دمنهور الغربية باعتبار أنها تقع غرب الدلتا، وذلك في عام ألف ومائة وواحد من الهجرة.

قدم إلى الأزهر الشريف وهو صغير يتيم لم يكفله أحد، فاشتغل بحفظ القرآن ثم بدأ في تحصيل العلم على شيوخ المذاهب الأربعة، ولذا كان يطلق عليه (المذاهبي)، لكن من خلال مؤلفاته؛ اتضح أنه كان ينتمي إلى المذهب الحنفي، حيث ترك لنا كتابه "طريق الاهتداء بأحكام الإمام والاقتداء على مذهب أبي حنيفة النعمان"، وكتاب "فيض المنان بالضروري من مذهب النعمان"، وكلاهما في الفقه الحنفي، لكن ذلك ليس حجة قاطعة، لأنه لم يصرح بذلك ولم ينسبه من كتب عنه إلى مذهب الحنفية، خصوصاً حينما نجد له كتاب في فقه الحنابلة وهو كتاب "الفتح الرباني بمفردات ابن حنبل الشيباني" فإن صح ما قلناه في نسبته إلى مذهب الحنفية، فيكون أول شيخ للأزهر من مذهب الحنفية، بعد أن تقدمهم أربع من شيوخ المذهب الشافعي وخمس من شيوخ المذهب المالكي.

يقول عنه الشيخ علي عبد العظيم: كان الإمام الدمنهوري فذا بين علماء عصره بثقافته الواسعة الشاملة لألوان المعارف، فقد كانت ثقافته الدينية واللغوية عميقة متسعة الآفاق كما كان دارساً متضلعاً في العلوم الرياضية، والهندسية والفلكية والطبية والفلسفية وهذا أمر عجيب في عصره، الذي كان الأزهر ينفر من العلوم غير الدينية، وإن كان الإسلام يدعو إلى التأمل في ملكوت السماوات والأرض ويهيب بالمسلمين جميعاً أن يدرسوا جميع آيات الله الكونية في مجالات العلوم والفنون والفلسفة والآداب ولهذا كان الإمام

الدمنهوري سابقاً لأوانه أو متأخراً عنه، فقد عرف الإسلام في أزهى عصوره، الفقيه الطبيب، والفقيه الفلكي، والفقيه الفيلسوف، والفقيه الرياضي.

وقد أنشأ الأزهر في العصر الحديث: كليات الزراعة والطب والهندسة، والإدارة والمعاملات (أو التجارة) واللغات.

أما شيوخه:

فيحدثنا الإمام نفسه عنهم، وذلك في كتاب الأزهر تاريخه وتطوره، أخذت عن أستاذنا الشيخ علي الزعتري خاتمة العارفين بعلم الحساب واستخراج المجهولات، وما توقف عليها كالفرائض والميقات،

وأخذت عنه وسيلة ابن الهائم ومعونته في الحساب"، "والمقنع لابن الهائم"، "ومنظومة الياسمينية في الجبر والمقابلة"، "والمنحرفات للسبط المارديني" في وضع المزاول- التي كانت تعمل عمل الساعات عن طريق قياس الظل -

وأخذت عن سيدي أحمد القرافي- الحكيم بدار الشفاء - بالقراءة عليه - كتاب الموجز واللمحة العفيفية في أسباب الأمراض وعلاماتها، وبعضاً من قانون ابن سينا، وبعضاً من كامل الصناعة، وبعضاً من منظومة ابن سينا الكبرى، والجميع في الطب... وقرأت علي أستاذنا الشيخ سلامة الفيومي أشكال التأسيس في الهندسة. وبعضاً من الجغيمي في علم الهيئة- أي علم الفلسفة- وبعضاً من رفع الإشكال عن مساحة الأشكال في علم المساحة...

واستمر يعدد شيوخه والكتب التي قراها عليهم في علوم الفلسفة والمنطق والطبيعة والكيمياء والعلوم الرياضية والفلك وعلم الأحياء إلى أن قال: وقرأت على الشيخ محمد الشهير بالشحيمي منظومة الحكيم ومنظومة في علم الأعمال الرصدية، وروضة العلوم وبهجة المنطوق والمفهوم لمحمد بن صاعد الأنصاري، وهو كتاب يشتمل على سبعة وسبعين علماً، ورسالة في علم المواليد أعني الممالك الطبيعية وهي الحيوانات والنباتات والمعادن.

هذا كله إلى جانب العلوم التي درسها بنفسه وحذقها دون أن يأخذها عن شيوخ.

كما أورد الجبرتي أسماء شيوخه والكتب التي درسها عليهم وأجازوه بها وهي تشمل علوم الفقه على المذاهب الأربعة، وسائر العلوم الدينية، من توحيد وتفسير وحديث وفرائض- المواريث- وتصوف وقراءات، وعلوم اللغة، من نحو وصرف وبلاغة وعلوم الرياضة والهندسة والميقات- الفلك- والفلسفة والمنطق والمجيب- وهو فرع السيمياء: وهو استخراج الأجوبة من الأسئلة بارتباطات بين الحروف والكلمات - والاسطرلاب: وهو ألة يقيس بها الفلكيون ارتفاع الكواكب.

كانت بين الإمام الدمنهوري وبين الشيخ حسن الجبرتي والد الجبرتي مؤلف عجائب الآثار: منافسة في دراسة الفنون العلمية والتأليف فيها والتي كان يجيدها الشيخ حسن الجبرتي مثل: العلوم الرياضية والفلكية.

تحدث المؤرخ الجبرتي عن مكانة الإمام الأكبر المرحوم الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهوري في أكثر من موضع في تاريخه حيث قال عنه: هو الشيخ الإمام العلامة المتفنن أوحد الزمان وفريد الألوان: أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمهوري المذاهبي الأزهري، تولى مشيخة الأزهر بعد وفاة الشيخ الحفني - إذ الإمام الشيخ السجيني لم يتول المنصب إلا سنة واحدة - بخلاف الإمام الحفني الذي تولاه خمسة وأربعين قبله، وكان الإمام الدمنهوري مهاباً لدى الأمراء لكونه كان قوالاً للحق أماراً بالمعروف سمحاً بما عنده من الدنيا، وقصدته الملوك من الأطراف، وهادته بهدايا فاخرة، وسائر ولاة مصر من أطراف الدولة كانوا يحترمونه، وكان شهير الصيت عظيم الهيبة؛ قليل الاختلاط بالمجالس العامة والجمعيات.

حج الشيخ الدمنهوري سنة سبع وسبعين ومائة وألف هجرية مع الركب

المصري، وأتي رئيس مكة وعلماؤها لزيارته، وعاد إلى مصر، ومدحه الشيخ عبد الله الإدكاوي بقصيدة يهنئه فيها بالعودة ويقول فيها:

قد سررنا وطاب الوقت و انشرحت صدورنا حيث صح العود للـــوطن

فأنت أمجـــدنـــا، وأنـــــت أرشدنا وأنت أحمدنا، في الســـر والعلـــن

ثم تحدث الجبرتي عن وفاته لإخوانه وأصدقائه فقال: إنه اجتمع مع الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهوري قبل وفاته بنحو سنتين، ولما عرفني تذكر والدي الشيخ حسن الجبرتي وبكى وعصر عينيه، وصار يضرب بيده على الأخرى ويقول: ذهب إخواننا ورفقاؤنا، ثم جعل يخاطبني بقوله يا ابن أخي ادع لي وكان منقطعاً بالمنزل، وأجازني بمروياته ومسموعاته وأعطاني برنامج شيوخه.

كان الأمير علي بك الكبير؛ يجل من العلماء: المرحوم الوالد، والشيخ أحمد الدمنهوري، والشيخ علي العدوي، والشيخ أحمد بن محمد الحماقي.

تحدث الجبرتي عن الخليفة، السلطان مصطفى بن أحمد خان سلطان الدولة العثمانية، أنه كانت له عناية ومعرفة بالعلوم الرياضية والنجومية ويكرم أرباب المعارف وكان يراسل الوالد الشيخ حسن الجبرتي، كما كان يراسل الشيخ أحمد الدمنهوري ويهاديهما ويرسل إليهما الصلاة والكتب.

ولا أدل على مكانة الإمام الشيخ الدمنهوري ومنزلته مما حدث في الفتنة الكبرى التي نشبت بين زعماء المماليك وأتباعهم، من طائفتي العلوية والمحمدية؛ حيث ذكر: أن حسن بك الجداوي من زعماء العلوية فر أمام مطارديه الأقوياء فلم يجد بيتاً يأويه غير بيت الإمام الشيخ الدمنهوري، فلجا إليه فطاردته طائفة المحمدية حتى بيت الشيخ ببولاق، وطلبوا تسليمه إليهم فامتنع الشيخ عن إجابتهم فلم يجسروا على اقتحام البيت، وظل في بيت الشيخ

فترة محاصراً حتى ظن أنه يستطيع أن يتسلل منه، فصعد إلى السطح وقفز منه إلى سطح آخر فتابعته المحمدية، وظل يتنقل من خطر إلى خطر حتى رمي بنفسه على إبراهيم بك مستجيراً فأجاره، والشاهد أنهم لم يجسروا على اقتحام بيت الشيخ لمهابته ومكانته.

كان الإمام الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهوري معتزاً بعلمه، وأنه قد وصل إلى مرحلة متقدمة من العلم قل أن يصل إليه أحد غيره من العلماء وقد تحدى علماء عصره بخمسة أسئلة وأعطاها للأمير على بك الكبير، وقال له: اعطها للعلماء الذين يترددون عليك ليجيبوني عنها: إن كانوا يزعمون أنهم علماء.

قال المؤرخ الجبرتي: فاعطاها على بك الكبير للشيخ الوالد حسن الجبرتي، فقال: هذه وإن كانت من عويصات المسائل يجيب عنها ولدنا الشيخ محمد النفراوي ثم ذكر أنه أجاب عنها وألف فيها رسالة.

أما المسائل الخمسة فهي كما يلي:

١- المسألة الأولى تتعلق: بإبطال الجزء الذي لا يتجزأ، إذ كانت عقيدة الفلاسفة قديماً: أن المادة تتكون من ذرات صغيرة بالغة الصغر لا يمكن تجزئتها، وسؤال الشيخ الدمنهوري: يطلب إثبات بطلان العقيدة الفلسفية، في أن الذرة البالغة الصغر لا تتجزأ.

٢- المسألة الثانية: ما معنى قول ابن سينا: "ذات الله نفس الوجود المطلق" وهذا السؤال يدور حول ما يسميه الصوفية وحدة الوجود، نعم بعض الصوفية يقول بوحدة الوجود، ويفسرها بأن الوجود الحقيقي هو الله، أما بقية الخلق فمن العدم ثم إلى العدم، ثم إلى البعث بقدرة الله، أما الوجود الحقيقي المطلق فهو الصفة الأزلية لله وحده.

٣- المسألة الثالثة: ما معنى قول أبي منصور الماتريدي من علماء

العقيدة: "معرفة الله واجبة بالعقل مع أن المجهول من كل وجه يستحيل طلبه".

ومعلوم أن المعتزلة يقولون: إن العقل يهتدي إلى الله تعالى وأن كان غيباً بالنسبة إلى البشر، لأن آياته الكونية تدل عليه، وغير المعتزلة يقولون: إن معرفة الله متوقفة على الوحي السماوي، وإن كان بعض فلاسفة الإغريق اهتدوا إلى الله بعقولهم، كما أثبت ابن الطفيل في قصته "حي بن يقظان" أن العقل يستطيع أن يهتدي وحده إلى الله.

٤- المسألة الرابعة: ما معنى قول البرجلي: "إن من مات من المسلمين لسنا نتحقق موته على الإسلام" ولعله يشير إلى الحديث الشريف "إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدوا للناس وهو من أهل النار، وأن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدوا للناس وهو من أهل الجنة" ونحو ذلك من الأحاديث، رواه البخاري.

٥- المسألة الخامسة: "هل الاستثناء في الكلمة المشرفة – أي لا إله إلا الله – متصل أو منفصل" وقد اختلف النحويون في إعراب كلمة التوحيد هذه، فمن نظر منهم إلى الواقع الفعلي من وجود الطوائف التي تؤمن بآلهة متعددة، وحينئذ يكون الاستثناء متصلاً، ومن نظر إلى الحقيقة المطلقة؛ وهي أن هذه الآلهة أوهام وخيالات لا وجود لها في الحقيقة جعل الاستثناء منفصلاً، وفي النهاية: هذه الأسئلة تدل على إطلاع واسع وعلى إلمام عميق بأقوال الفلاسفة وعلماء اللغة، كما تدل على اعتزاز الشيخ الدمنهوري بعلمه الغزير.

كانوا أجل من الملوك جلالة   وأعز سلطاناً وأكرم مظهراً

مؤلفات الإمام الشيخ الدمنهوري:

نبين أهم مؤلفات الإمام أحمد عبد المنعم الدمنهوري، وإن كان مما

يؤسف له أنها كلها مخطوطة لم يشر إلى طباعة كتاب واحد منها، حتى يستفاد منه، كما أن كثيراً منها عرف اسمه، ولم يعلم موضوعه الذي ألف فيه، ونبدأ ببيان الكتب التي عرفت مجالاتها التي ألفت فيها:

١- سبيل الرشاد إلى نفع العباد ، في الأخلاق
٢- منهج السلوك في نصيحة الملوك، في السياسة والأخلاق
٣- منتهي الإرادات في تحقيق الاستعارات، في علم البلاغة
٤- منع الأثيم الحائر علي التمادي في فعل الكبائر
٥- الفتح الرباني بمفردات ابن حنبل الشيباني ، في فقه الحنابلة
٦- طريق الاهتداء بأحكام الإمامة والاقتداء علي مذهب الحنفية
٧- فيض المنان بالضروري من مذهب النعمان في الفقه الحنفي.
٨- إتحاف البرية بمعرفة العلوم الضرورية.
٩- تحفة الملوك في علم التوحيد والسلوك، منظومة في مائة بيت.
١٠- الكلام السديد في تحرير علم التوحيد.
١١- المنح الوفية في شرح الرياض الخليفية، في علم الكلام.
١٢- بلوغ الأرب في اسم سيد العرب، في التاريخ.
١٣- حسن الكلام لما للطيبة من التكبير، في القراءات العشر
١٤- تنوير المقلتين بضياء أوجه الوجه بين السورتين، في القراءات.
١٥- خلاصة الكلام علي وقف حمزة وهشام، في القراءات.
١٦- حلية الأبرار فيما في اسم (علي) من الأسرار، في التصوف.
١٧- إقامة الحجة الباهرة علي هدم كنائس مصر والقاهرة، فتوى فقهية.
١٨- إيضاح المبهم في معاني السلّم، وهو شرح عليه للأخضري في المنطق.
١٩- عقد الفرائد بما للمثلث من الفوائد، في فضل العلم.

٢٠- كشف اللثام عن مخدرات الأفهام في البسملة والحمدلة.

٢١- حلية اللب المصون في شرح الجوهر المكنون في البلاغة.

٢٢- اللطائف النورية في المنح الدمنهورية، وهو سند ذكر فيه شيوخه وعلومه.

٢٣- نهاية التعريف بأقسام الحديث الضعيف وهو شرح لبعض منظومة العراقي.

٢٤- درة التوحيد، منظومة شعرية في علم التوحيد.

٢٥- القول المفيد في شرح درة التوحيد السابقة.

٢٦- الزايرجة، وهو شرح لكتاب (كشف الران عن وجه البيان) لابن عربي.

٢٧- شرح الأوفاق العددية، وهو بحث في استنباط أفاق المستقبل عن طريق الأعداد.

٢٨- القول الصريح في علم التشريح.

٢٩- شفاء الظمآن بسر (يس قلب القرآن) وهو شرح لمنظومة تتعلق بسورة يس لأحمد بن ساعد.

٣٠- الدرة اليتيمة في الصنعة الكريمة، في الكيمياء

٣١- رسالة عين الحياة في استنباط المياه في الجيولوجيا.

٣٢- كيفية العمل بالزيارج العددية.

٣٣- إحياء الفؤاد بمعرفة خواص الأعداد في الحساب.

٣٤- الدقائق الألمعية على الرسالة الوضعية للإيجي في علم الوضع.

٣٥- القول الأقرب في علاج لسعة العقرب.

٣٦- حسن الإنابة في إحياء ليلة الإجابة وهي ليلة النصف من شعبان.

٣٧- إرشاد الماهر إلى كنز الجواهر لم يحدد موضعه.

٣٨- الأنوار الساطعات على أشرف المربعات في الهندسة.

٣٩- الزهر الباسم في علم الطلاسم، وهو رموز سحرية.

٤٠- الحذاقة بأنواع العلاقة ذكره الجبرتي ولم يحدد موضوعه.

توفى رحمه الله يوم الأحد، عاشر رجب عام ١١٩٢هـ وقيل سنة ١١٩٠هـ، وكان مسكنه ببولاق وصلى عليه بالجامع الأزهر في مشهد حافل جداً ودفن بالبستان. رحمه الله رحمة واسعة.

* * *

الحادي والرابع عشر: الإمامان الأكبران الشيخان/ أحمد، ومحمد العروسيان

من الأمور القليلة جداً، بل والنادرة، أن يرث الابن أباه في قيادة المسيرة الدينية العلمية، نعم قد يحدث ذلك في السياسة، وذلك من خلال حشد القوى السياسية والأمنية والعسكرية لتحقيق هذه الغاية.

لكن لم يحدث في القيادة الدينية والعلمية إلا نادراً، فقل بل ندر من ورث أباه في علمه وتدينه ومنصبه الديني.

كان الإمام مالك يجلس في درسه الطلاب من الأندلس ومصر والعراق ومن كل مكان، وابنه يلعب بالحمام مع الصبيان غير بعيد عن مجلسه، فكان يقول: إنما الأدب أدب الله، وإنما يعزيني في هذا أن أحداً لم يرث أباه في هذا الشأن أي في العلم إلا عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر.

ومن هذا النادر ما حدث في أسرة العروسي من (منية عروس) بأشمون من المنوفية، فقد تولى الشيخ أحمد العروسي مشيخة الأزهر منذ عام ١١٩٢هـ إلى ١٢٠٨هـ ثم يأتي ابنه الإمام محمد شمس الدين العروسي ليتولى مشيخة الأزهر عام ١٢٣٣ه أي بعد خمسة وعشرين عاماً ليظل فيها ثلاثة عشر عاماً حتى عام ١٢٤٥هـ.

نشأ الإمام أحمد العروسي الأب في قرية (منية عروس) وحفظ القرآن في قريته كما حفظ المتون ومبادئ العلوم التي تؤهله للالتحاق بالأزهر بينما نشأ الابن بالقاهرة تحت رعاية والده شيخ الأزهر، وكان يجلس في حلقة والده بالأزهر كما كان يجلس في حلقات العلماء الآخرين في العلوم العقلية والنقلية، التي كانت تدرس بالأزهر آنذاك.

تفقه الإمام أحمد العروسي على علماء عصره، فقد لازم الإمام أحمد الصعيدي ملازمة دائمة معظم الوقت كما كن تلميذاً للإمام الدمنهوري الإمام

العاشر للأزهر، ثم أخذ طريقة الخلوتية على الإمام الشيخ مصطفى كمال البكري، كما اتصل بالإمام الصوفي الشيخ العريان، فأحبه وزوجه ابنته،وبشره بأن سيكون شيخاً للأزهر، وقد كان. ذلك فعلا، لكن بعد وفاة الشيخ العريان، وهذا الإخبار من الصالحين من تجليت المولى جل علاه على من أحبهم وأحبوه.

كان الأب ذا مكانة عالية عند علماء وأمراء وحكام عصره، كما استطاع إخماد عدد من الفتن التي ثارت أيام توليه المشيخة، كما كان هؤلاء الحكام يتحملون شدته في الحق ولومه لهم، كما أمرهم بوضع تسعيرة جبرية لأقوات الناس مع إلزام التجار بها حينما اشتدت أحوال الناس في عصره.

كان كثير الدراسة للعلوم الحديثة مثل: الرياضيات والجبر والمقابلة، إلى جانب علوم البلاغة وأصول الفقه، والنحو وغير ذلك.

من أهم مؤلفاته: شرح نظم التنوير في إسقاط التدبير للشيخ الملوي في التصوف، وكذلك حاشيته على السمرقندية على شرح شيخه الملوي عليها في البلاغة.

أما ابنه الإمام محمد شمس الدين العروسي، فقد شغلته أعباء المشيخة فلم يترك إلا كتاباً واحداً فيه إجازة لأحد تلاميذه.

انتقل الشيخ أحمد العروسي الأب إلى رحاب مولاه في ١٢٠٨هـ ودفن بقرافة المجاورين بالقاهرة، وأما ابنه فقد انتقل إلى رحاب ربه عام ١٢٤٥هـ رحمهما الله رحمة واسعة .



الثاني عشر: الإمام الأكبر الشيخ عبد الله الشرقاوي

من رجال هذه المؤسسة الدينية العلمية المباركة الإمام الشيخ عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشافعي الأزهري الشرقاوي.

ولد بقرية (الطويلة) إحدى قرى القرين بالشرقية عام ١١٥٠هـ ١٧٣٧م، ومن هذا نسب إلى الشرقية، فقيل له الشرقاوي.

نشأ كغيره من أبناء القرى حيث حفظ القرآن الكريم وحصل على شيء من العلوم التي تؤهله للالتحاق بالأزهر وتعرف على الإمام الشيخ محمد سالم الحفناوي وسلك طريقة التصوف، ثم واصل الدراسة في الأزهر في العلوم الدينية والعقلية حتى صار من كبار شيوخ الأزهر، بل حتى صار أهلا ليكون شيخاً للأزهر عام ١٢١٨هـ ١٧٩٣م.

وقد ألمت بمصر في عهده كارثة الاحتلال الفرنسي لمصر على يد نابليون، وكانت هذه الفترة عصيبة، إذ كانت مصر مكاناً لسيطرة العثمانيين والمماليك من جهة ثم الحملة الفرنسية من جهة أخرى.

وكانت هذه المرحلة تحتاج إلى زعيم حصيف، وذلك لحماية الشعب الأعزل من بطش الفرنسيين من جهة وعدم التفريط في أساسيات الشريعة الإسلامية من جهة أخرى.

لذلك قبل بأن يكون أحد أعضاء مجلس الشورى المكون من عشرة زعماء الذي أراد نابليون أن يتقرب به للشعب المصري، وكان نابليون يقدر العلماء ويحترمهم ويزورهم رغبة في ترضية الشعب المصري حتى وصل الأمر إلى أداء التحية العسكرية للعلماء، وكان نابليون معجباً بالإسلام وبني الإسلام، وأظهر رغبته في اعتناق الإسلام وإقامة مسجد كبير يكون أكبر مسجد في الشرق الإسلامي.

ثم طلب من العلماء فتوى يدعون فيها الشعب إلى تقديم الطاعة والولاء

له، حينئذ تقدم الشيخ الشرقاوي وقال: نقدر رغبتك في اعتناق الإسلام، وحينئذ سينطوي تحت طاعتك مائة ألف جندي عربي تستطيع أن تفتح بهم الشرق.

ولكن حين وجدوه يتجاوب مع الثوار اعتقلوه في سجن القلعة مع غيره من الزعماء ولكن سرعان ما أفرجوا عنه، وكانوا يسمونه (رجل السياسية الهادئة).

ثم اعتقلوه ثانيا بعد قتل القائد الفرنسي "كليبر" ولكن أفرج عنه وكان الفرنسيون يحترمونه إلى رحيلهم.

بعد رحيلهم عانت البلاد من ظلم المماليك والعثمانيين والأكراد واستباحتهم كل شيء حتى ضج الناس بالشكوى ولجأوا إليه، فقاد مجموعة من العلماء والمواطنين وأعلن عزل الوالي خورشيد العثماني وتولية محمد علي، وأقره السلطان العثماني على ذلك.

من آثاره العلمية:

١- التحفة البهية في طبقات الشافعية.

٢- حاشية الشرقاوي في فقه الشافعية.

٣- شرح حكم ابن عطاء الله السكندري. وغير ذلك.

توفى عام ١٢٢٧هـ ودفن في مدفنه الذي بناه لنفسه وبجوار مسجده المسمى باسمه في مدخل القرافة.

رحمه الله رحمة واسعة.

* * *

الثالث عشر: الإمام الأكبر الشيخ محمد الشنواني

الإمام الشيخ محمد بن علي بن منصور الشنواني الشافعي الأزهري.

ولد بقرية شنوان الغرب فنسب إليها، وهي من قرى محافظة المنوفية.

حفظ القرآن بقريته ثم التحق بالأزهر الشريف، وتلقى علومه على كثير من علماء عصره، وتفقه على أيديهم.

كان متواضعاً مع الانكسار والبشاشة لكل أحد من الناس.

وكان من تواضعه إذا فرغ من دروسه بمسجد الفكهاني بالعقادين يغير ثيابه ويكنس المسجد وينظف القناديل ويعمرها بالزيت.

بعد وفاة الإمام عبد الله الشرقاوي طلب الوالي اختيار عالم لمشيخة الأزهر على أن يكون بعيداً عن الأغراض بعيداً عن الشبهات، فوقع الاختيار عليه، فلما علم بذلك هرب من بيته ولم يعرف له مكان إقامة لكن بعد اجتماع الكلمة على توليته عام ١٢٢٧هـ ١٨١٢م وصادق الوالي على ذلك، أمر الجند بالبحث عنه، وعثر عليه وتولى منصبه، ومنح داراً أوسع من داره، ومنح مرتباً مناسباً لعمله، فتحسنت حاله وهذه الحالة شبيهة بحالة القليني المالكي الذي هرب إلى قريته بعد توليه المشيخة.

بالرغم من مشاركة الإمام الشنواني في مقاومة الحملة الفرنسية وشهرته بذلك، كان عزوفاً عن زيارة الأمراء وكبار الشخصيات.

بل قاوم محاولة الوالي الاستيلاء على أرض الدولة حيث أغرى العلماء بأنه سيترك لهم أراضيهم ولن يقترب منها، لكن وقف الشيخ الشنواني وقفة صلبة بل طالبه بالإفراج عن أراضي الوقف لحاجة طلاب العلم ولعامة الشعب كذلك.

كان الشيخ متبحراً في علوم اللغة والعلوم النقلية والعقلية والرياضيات.

كان من أهم آثاره العلمية:

أ- حاشية على شرح جوهرة التوحيد للإمام اللقاني وشرح ابنه الشيخ عبد السلام عليه.

ب- حاشية الشيخ الشنواني على مختصر الإمام البخاري لابن أبي جمرة.

ج- حاشية على السمرقندية في علوم البلاغة.

د- حاشية على العضدية في آداب البحث.

وقد اشتدت عليه الأمراض في أيامه الأخيرة حتى لبى نداء ربه عام ١٢٣٣هـ بعد خمس سنوات قضاها في مشيخة الأزهر ودفن في مقبرة المجاورين.

رضي الله عنه وغفر له ولنا وللمسلمين آمين.

* * *

الخامس عشر: الإمام الأكبر الشيخ أحمد الدمهوجي

ولد الإمام أحمد زين علي بن أحمد الدمهوجي الشافعي، وذلك نسبة إلى قرية "دمهوج" بمحافظة المنوفية بالقرب من بنها، عام ١١٧٠هـ وقيل: عام ١١٧٦هـ وولى المشيخة عام ١٢٤٦هـ وظل بها ستة أشهر حيث لقى ربه في نفس العام.

نظراً لقصر المدة التي تولى المشيخة فيها فلم يكتب عنه المؤرخون إلا القليل، ولعل هذا يرجع إلى زهده وتواضعه وبعده عن مظاهر الحياة ومشاغلها، وانقطاعه الكامل للدراسة والتدريس بالأزهر، فإذا فرغ من دروسه أقبل على الصلاة والعبادة بمسجد الأزهر، وهكذا عاش رحمه الله متفرغاً للتدريس والدراسة والعبادة الخالصة لله وحده.

ذكر صاحب كنز الجوهر: أنه كان حسن الصورة، وكان يقيم بداره في رقعة القمح وراء رواق الصعايدة بجوار الأزهر، وللآن هناك عطفة تعرف بعطفة الدمهوجي.

توفى الإمام الدمهوجي عن سبعين سنة، ومشيخته استمرت ستة أشهر فقط، وكان نقش خاتمه (الشكر للموجد ويحمده عبده الدمهوجي أحمد).

توجد وثيقة أميرية بتاريخ شهر صفر ١٢٤٥هـ يقول الحاكم فيها بشأن تعيين شيخ للأزهر ما يلي: "أمر إلى حبيب أفندي بإحضار الشيخين: الأمير والمهدي لمشاورتهما في اختيار أحد الشيخين: أحمد الدمهوجي، وحسن العطار، شيخاً للأزهر خلفاً للمرحوم الشيخ العروسي".

وكان الرد: إنه وردت عريضتكم، وصار معلوماً حضور الشيخين: الأمير والمهدي إلى ديواننا وأنهما أخبرا عن وفاة المرحوم الشيخ العروسي، وأنه يلزم تنصيب شيخ للجامع الأزهر، وبعد أن أعلم الحاكم بذلك، جاء منه إلى حبيب أفندي تحضروا الشيخ الأمير والشيخ المهدي وتهدوهما مزيد

سلامنا، وتقرأوا عليهما أمرنا، وتفهموهما أن أقصى مرامنا راحة فقهاء الجامع ورفاه أحواله، وأنه إذا كان الشيخ الدمهوجي يصلح لتنصيبه شيخاً للأزهر، ولكن نظراً لكبر سنه فإنه يلزم من حضرات الشيخين المومى إليهما أن يكونا معينين له لأجل خدمة الجامع الأزهر أو ينظروا إلى واحد ويقيموه مع المذكور معينا لأجل تام خدمة الجامع وراحة الفقهاء.

فإذا تعهدا بما ذكر وحسن عندهما تنصيبه، فتكون حسن إدارة خدمة الجامع لازمة من حضرات الشيخين المومى إليهما، وإذا لم يتحسن إليهما تنصيبه شيخاً للأزهر يصرف النظر عن الشيخ القويسني لأنه ضرير النظر، وينظر في تنصيب الشيخ حسن العطار وما يؤخذ عليه مما ورد بعريضتكم، فتدرك إزالته بالنصيحة، وعلى آية حال فالذي يستحسنوه حضرات المشايخ المومى إليهما من الاثنين المذكورين تنصبوه، وقد عين الشيخ الدمهوجي شيخاً للأزهر وتوفى بعد ستة أشهر من تنصيبه.

انتقل إلى رحمة الله تعالى وذلك في ليلة عيد الأضحى عام ١٢٤٦هـ تغمده الله برحمته.

* * *

السادس عشر: الإمام الأكبر الشيخ حسن العطار

الإمام الأكبر الشيخ حسن العطار من أصل مغربي، لكنه ولد في القاهرة عام ١١٨٠هـ ١٧٦٨م، كان والده عطاراً فقيراً ملماً ببعض العلوم، وكان يصحب ابنه معه إلى حانوته ويعلمه البيع والشراء، كما هي حياة التجار.

كان الطفل حاد الذكاء مشغوفاً بالعلم، أخذته الغيرة حينما رأى أقرانه من الصبية يترددون على الأزهر لحفظ القرآن وللدراسة، فذهب من وراء أبيه خفية ليحفظ القرآن معهم، فحفظ القرآن في مدة وجيزة، وحين علم أبوه بذلك شجعه على الالتحاق بالأزهر.

لم يقنع الطالب بالعلوم المعروفة والمألوفة في عصره بل درس الهندسة والرياضة وتعمق في دراسة الفلك والطب وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية.

ارتحل إلى الشام وأوروبا وكثير من أوطان العرب حتى اتسعت معارفه وأجاد كثيراً من اللغات الشرقية والفرنسية والألبانية إلى جانب ثقافته العربية الواسعة في النظم والنثر، وقد تولى المشيخة عام ١٢٤٦هـ.

وقعت في عهده كارثة الحملة الفرنسية وقد ناصبها العداء حتى أنه ارتحل إلى أسيوط ليبتعد عن الحملة بالقاهرة، لكن بعد ذلك عاد إلى القاهرة واتصل بعلماء الحملة الفرنسية واعتبر الحملة الفرنسية مكسباً علمياً لمصر، لأنها فتحت عيون العلماء على حقائق علمية كبيرة كانت خافية عليهم.

بل شجع رفاعة الطهطاوي إلى تسجيل كل ما تقع عليه يده من ذخائر الكتب خلال بعثته إلى فرنسا كما شجعه على الترجمة، وأسس مدرسة الألسن، وعالج علوم الجغرافيا واهتم بالخرائط.

رغم طغيان محمد علي باشا التي تولى الحكم بعد الحملة الفرنسية فقد كان يجل الإمام حسن العطار ويستشيره، وأطلق يده في النهضة العلمية

الحديثة كما جدد في الشعر العربي وفتح الطريق أمام شعراء النهضة كالبارودي وشوقي وحافظ.

أحب أهل مكة الشيخ العطار وطلبوا منه الإقامة بينهم بعد وفاة ابن حجر الهيثمي حتى ينتفعوا به، ولكن الطلاب في الجامع الأزهر أعلنوا أنهم سيتركون الدراسة إذا لم يحضر الشيخ إلى الأزهر، فاستجاب وحضر واستأنف مسيرته العلمية حتى وافاه الأجل ١٢٥٠هـ.

ترك كثيرًا من المؤلفات التي لا زالت تدرس إلى الآن، ومنها حاشية العطار على جمع الجوامع في أصول الفقه، ونبذة في علم الجراحة والطب وغير ذلك، رحمه الله رحمة واسعة.



السابع عشر: الإمام الأكبر الشيخ حسن القويسيني

ولد الإمام الأكبر الشيخ برهان الدين حسن بن درويش بن عبد الله بن مطاوع القويسني في قويسنا، وكان كفيف البصر وقد اشتهر باسم البرهان القويسني الشافعي كان عالماً عاملا تقيا مدققاً محققاً، وقد تولى مشيخة الأزهر عام ١٢٥٠هـ وكان مهيباً جداً عند الأمراء وغيرهم.

حاول الوالي أن يختار من يملأ مكان الشيخ العطار فرأه خير من يملأ هذا الفراغ حتى أن بعض الشعراء يفضله مع سلفه العطار على سائر العلماء وقد قال فيه:

ولئن مضى حسن العلوم لربه ... فلقد أتى حسنٌ وأحسن من حسن
يا شاذلي السر في أعماله ... وعلومه يا شافعي على العلن
أنت المقدم رتبة ورياسة ... وديانة من ذا الذي ساواك؛ مَنْ

فالشاعر هنا يذكر أن الشيخ حسن القويسني له من اسمه نصيب، وانه أحسن من الشيخ حسن العطار، ورفعه في تصوفه إلى منزلة الإمام الشاذلي كما رفعه في فقهه إلى منزلة الإمام الشافعي،وأنه المقدم على الجميع في الرتبة والرياسة والديانة فمن ذا الذي يساويك.

وقال فيه شاعر آخر:

إن يمض كبير عوضنا ... خلف منه الشيخ الأكبر
ولئن وارى عنا حسنا ... فلقد أبدي الحسن الأنور
قالت بشراه مؤرخة ... الفضل به زان الأزهر

وكان رحمه الله ورعاً زاهداً متصوفاً كما كان مهيباً وقوراً عزيز النفس، وقد ذكر صاحب (كنز الجوهر) "أنه كان رحمه الله من شرف النفس وعلوا الهمة بمكان، حتى أن العزيز محمد علي باشا أحب أن يُنعم عليه بشيء

من الدنيا فأبت نفسه ذلك".

كان الشيخ القويسني قد توغل في التصوف حتى كانت تستغرقه محبة الله فيذهل عن الدنيا وما فيها من مظاهر مادية، مما يسمى بالشطحات الصوفية أو الجذب، وكان الشيخ تعتريه هذه النوبات فيحدث منه ما لا يتسق مع منصبه الكبير، ولكنه كان سرعان ما يثوب إلى حالته الطبيعية، فيكون أتم ما يكون عقلاً وأحسن ما يكون جلالاً وتصوناً، قال صاحب "كنز الجوهر" "وكان إذا جاء وقت درسه أفاق وقرأ درسه، ولم يزل على حاله من هذا الكمال إلى أن توفى عام ١٢٥٤هـ ودفن بمسجد الشيخ علي البيومي بالحسنية بالقاهرة.

وقد تخرج على الشيخ القويسني كثيرٌ من أعلام العلماء ومن أشهرهم: الشيخ إبراهيم الباجوري، والسيد مصطفى الذهبي، والشيخ محمد البناني، ومن ألمع تلاميذه: رفاعة رافع الطهطاوي، ومن حفدته: الشيخ حسن القويسني، شيخ رواق ابن معمر وأحد مدرسي الأزهر وقد مات عام ١٢٩٩هـ ودفن مع جده على باب ضريح الشيخ البيومي.

ومما يذكر للإمام القويسني: أنه كانت هناك جفوة بين الشيخ الإمام القويسني والشيخ الأمير، وبلغت الجفوة الحاكم، وكان الشيخ الأمير عنده، فسأله عن هذه الجفوة، وأخبره بأن الشيخ القويسني حدثه عنها، فقال الشيخ الأمير: ليس بيننا إلا الخير، وما أظن الشيخ القويسني حدثك بشيء من هذا، وأثنى على الشيخ القويسني ثناء جماً، ولما انصرف من عند الحاكم ذهب إلى دار الشيخ القويسني، وحدثه بما قاله الحاكم وبما أجابه به، فقال له الإمام القويسني: صدقت في ظنك، ما قلت للحاكم شيئاً، فقال الشيخ الأمير، هكذا أهل العلم، يسوون ما بينهم في خاصتهم، وأما مظهرهم فيجب أن يكون قدوةً في التآلف والخير، وإمساكاً على عروة الإسلام وحفظاً لكرامة العلم، وزال

بهذا ما بينهما من جفاء.

من أهم مؤلفات الشيخ القويسني: شرح السلّم لمؤلفه: عبد الرحمن بن محمد الصغير الأخضري، والشرح لا زال مخطوطاً بدار الكتب، وكذلك سند القويسني؛ حيث يذكر فيه أنه أخذ صحيح البخاري عن الشيخ عبد الله الشرقاوي كما أن له رسالة في المواريث.

رحمه الله رحمة واسعة.

***

الثامن عشر: الإمام الأكبر الشيخ أحمد السفطي

ولد الإمام الأكبر الشيخ أحمد بن عبد الجواد الشافعي السفطي: نسبة إلى قرية سفط العرفاء، من ضواحي الفشن بمحافظة بني سويف، وشهرته الشيخ الصائم، ولد هذا الإمام في أوائل القرن الثالث عشر الهجري في تلك القرية، وبعد أن حفظ القرآن الكريم بقريته قدم إلى الأزهر، فتلقى العلوم على كبار مشايخه، وفي مقدمتهم: الشيخ محمد بن محمد السنباوي الشهير بالأمير الكبير المتوفى سنة ١٢٣٢هـ الذي أجازه بجميع ما دونه في ثبته، كما تتلمذ على الشيخ الشنواني، المتوفى عام ١٢٣٣هـ، وهو الشيخ الثالث عشر للأزهر، وعلى الشيخ الإمام الدمهوجي المتوفى سنة ١٢٤٦هـ وهو الشيخ الخامس عشر وعلى غيرهم، واشتغل بالتدريس حتى ولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٥٤هـ وقد هنأه الشعراء بولاية الأزهر، وإن كان الشعراء يجنحون إلى المبالغات، مما يجعلنا لا نأخذ الحقائق التاريخية من قصائدهم فإنا نستأنس بما صاغوه، لأنهم يعبرون عن مشاعرهم كما يعبرون عن مشاعر الجماهير في معظم الأحوال، ومما صاغه بعض الشعراء في تهنئته بالمشيخة قوله:

الآن تثبت للهناء ولائم	يُنفى بها لاح ألح ولائم
لا غرو أن خطب العلا لنفوسهم	قوم هم بين الكرام أكارم
فتمنعت وأبت سواه وأرخت	كان الخليق بي المصلي الصائم

كان الإمام أحمد السفطي مشهوراً بالعفة والصلاح، وظل شيخاً للأزهر، حتى توفى عام ١٢٦٣هـ، ودفن بقرافة المجاورين.

لم يعثر للإمام السفطي عن آية مؤلفات أو مصنفات، لأن جهده كان منصباً على التدريس والإدارة للمشيخة والعبادة، حتى اشتهر بالشيخ الصائم، لكن ترك بعض الإجازات لبعض تلاميذه، من ذلك:

أ- إجازة منه للشيخ أحمد بن محمد الجرجاوي الشهير بالمعرّف أجازه بها، بجميع ما تجوز له روايته مما تلقاه عن أساتذته، ومنهم الشيخ: محمد بن محمد الأمير الكبير، وتوجد منه نسخة بخط الشيخ الإمام بتاريخ ٥ من ربيع الآخر سنة ١٢٥٤هـ بدار الكتب المصرية.

ب- إجازة أخرى من الشيخ الإمام السفطي أجاز بها حسنين أحمد جبر الملط الحنفي، وبها يقول: قد أجزت ولدنا المذكور بما يجوز لي وعني روايته وما تلقيته عن المشايخ بشرط: المراجعة وسؤال العالمين، ولا يقدم علي شي، حتى يتعلم حكم الدين، سنة ١٢٦٢هـ.

والشرط الذي اشترطه الإمام في هذه الإجازة يدل على ورعه وتقواه ودقته وأمانته. رحمه الله رحمة واسعة .

* * *

التاسع عشر: الإمام الأكبر الشيخ: إبراهيم الباجوري

هو الشيخ: إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي الباجوري نسبة إلى بلدة الباجور التي تقع على ترعة الباجورية التي كانت تشتهر بعلمائها وأوليائها، وكانت تشتهر بإنتاج القطن المنوفي.

قَدِم التلميذ إبراهيم للالتحاق بالأزهر الشريف عام ١٢١٢هـ بعد أن حفظ القرآن الكريم وجوده على والده بالقرية، وتتلمذ على يد عدد من كبار العلماء في وقته، ومنهم الشيخ محمد الأمير الفقيه المالكي المشهور الذي أجازه بجميع مروياته، كما تتلمذ على الشيخ عبد الله الشرقاوي والشيخ القويسني من شيوخ الأزهر الشريف السابقين.

كان يقضي وقته بين التدريس للطلاب والتأليف في عدد من العلوم، ثم بعد أن يفرغ من ذلك يجلس ليرتل القرآن الكريم بصوت شجي حيث يسعى لسماعه المئات من الناس.

تولى الشيخ إبراهيم الباجوري مشيخة الأزهر عام ١٢٦٣هـ الموافق ١٨٤٧م ومع ذلك استمر في التدريس والتأليف.

كانت للشيخ إبراهيم الباجوري هيبة ووقار، وكان السلطان عباس الأول، يحضر دروسه أحياناً كثيرة بالأزهر ويقبل يده.

لقد دهم المرض الشيخ الباجوري وأقعده عن إدارة شئون الأزهر لكن لمكانته في قلوب العلماء عينوا له أربعة وكلاء لمساعدته في القيام بأعباء وظيفته وهم: الشيخ أحمد العدوي، والشيخ إسماعيل الحلبي، والشيخ خليفة الفشني، والشيخ مصطفى الصاوي، وجعلوا الشيخ مصطفى العروسي رئيساً عليهم.

تخرج على يد الشيخ عدد كبير من العلماء من أبرزهم: رفاعة الطهطاوي الذي لازمه ودرس عليه شرح الأشموني وتفسير الجلالين

وغيرهما.

زادت مؤلفات الشيخ الباجوري على ثمانية وعشرين مؤلفا فـــي شـــتى العلوم، منها:

أ- تحفة المريد على جوهرة التوحيد.

ب- مِنحُ الفتاح على ضوء المصباح في النكاح في الفقه الشافعي.

ج- تعليق على الكشاف في تفسير القرآن الكريم.

د- الدرر الحسان فيما يحصل به الإسلام والإيمان.

ه- حاشية الباجوري في الفقه الشافعي.

وغير ذلك مما هو موجود بدار الكتب المصرية باسم المؤلف.

انتقل الشيخ إبراهيم الباجوري إلى رحاب ربه عز وجل فـــي ١٢٧٧هـ بعد أربعة عشر عاماً قضاها في مشيخة الأزهر تغمده الله في واسع رحمتـــه وأسكنه فسيح جناته.

* * *

العشرون: الإمام الأكبر الشيخ مصطفى العروسي

هو الشيخ/ مصطفى بن محمد بن أحمد بن موسى بن داود العروسي، ورث السيادة كابراً عن كابر وقد ولي المشيخة كما وليه أبوه وجده من قبل، فقد نشأ في بيت علم وصلاح، وتلقى العلم على يد والده الإمام محمد العروسي وعلى غيره من العلماء.

ولما تقدم الإمام الشيخ البيجوري في السن وأضعفه المرض وكثرت الأحداث في عصره صدر قرار بإقامة أربعة وكلاء للقيام عنه بأعباء المشيخة ورأس الشيخ العروسي هؤلاء الوكلاء الأربعة، واستمر الجميع قائمين مقام الشيخ الباجوري إلى أن توفى عام ١٢٧٧هـ وبعد وفاته بقي الأزهر بلا شيخ، وظلت إدارته منوطة بهؤلاء الوكلاء الأربعة برياسة العروسي، إلى أن تقلد المشيخة عام ١٢٨١هـ وكان قد ترك التدريس بالأزهر إلى أن ولي المشيخة فعاد إليه.

كان مشهوراً بالتزام الدقة، وقوة الشخصية، والحرص على النظام، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم، فهابه المشايخ، وخاصة الطلبة، ومضى هو في طريقه بعزم وصرامة، فأبطل كثيراً من البدع الشائعة، فمنع التسول بتلاوة القرآن في الطرقات، ورأى جماعة يحترفون التدريس بالأزهر من غير استحقاق فمنعهم من مباشرة التدريس، وصمم على عمل امتحان للمدرسين، فباغته العزل عن المنصب عام ١٢٨٧هـ.

لم تذكر المصادر التاريخية سبباً لهذا العزل الذي لم يحدث نظيره من قبل، فإن للمنصب جلاله وخطره وهيبته في نفوس الحكام، وكان العزل مفاجأة لم يتوقعها الشيخ الإمام ولا غيره.

ربما تبادر أن سببه هو: حرصه على أن لا يلي مناصب التدريس إلا الأكفاء، وتصميمه على إجراء امتحان للعلماء، مما دفعهم إلى الاتصال

بالحكام ليحموهم من صرامته وحزمه، ولكننا نجد الشيخ الذي خلفه في مشيخة الأزهر، قد تمسك بامتحان التدريس للعلماء، وهو محمد المهدي العباسي.

ولكن المطلع على تاريخ هذه الفترة يرى السبب هو استبداد الحاكم - الخديوي إسماعيل - وطغيانه وجبروته، وارتكابه كثيراً من المظالم، ومعلوم أن الحاكم الطاغية لا يرتاح إلى وجود شخصيات قوية حوله، ومن المعروف في تاريخ الأزهر، أن كبراء شيوخه كانوا يقاومون الظلم والطغيان، وكثيراً ما قادوا الشعب ووقفوا في وجه الحكام أو الغزاة، حيث أنزلوا الحكام الطغاة على حكم الرعية في نطاق العدل والإحسان.

ومن المعروف أن الإمام العروسي كان قوي العزيمة شديد التمسك بالتعاليم الإسلامية، مقاوماً للبدع والخرافات.

ولعل الخديوي خشي أن يقود ضده حملة شعبية ترده عن ظلمه وطغيانه، خاصة بعد أن ارتفع صوت الشعب بالشكوى العامة من أساليب حكمه، وكانت النتيجة أخيراً عزل الخديوي إسماعيل وقيام الثورة العرابية.

وإنها لكبيرة أن يعزل الحاكم كبير شيوخ المسلمين بمصر، بل أكبر شيوخ العالم الإسلامي جميعاً، لا لمرض جسمي أو نفسي يعوقه عن أداء مهمته الكبرى، وجميع الديانات الروحية الآن تعرف لزعمائها الروحيين أقدارهم وجلالهم، فلا سبيل إلى عزلهم، ولا الإساءة إليهم بأي حال، فكان الأولى بذلك الجلال والهيبة والقداسة شيخ الإسلام والمسلمين.

أهم مؤلفاته:

١- حاشية على شرح الشيخ زكريا الأنصاري للرسالة القشيرية في التصوف في أربعة أجزاء، طبع بمطبعة بولاق ١٢٩٠هـ.

٢- كشف الغمة وتقييد معاني أدعية سيد الأمة.

٣- رسالة الاكتساب سماها: "القول الفصل في مذهب ذوي الفضل"

وشرحه في كتاب آخر له.

٤- العقود الغرائد في بيان معاني العقائد.

٥- أحكام المغالطات في أنواع الفنون المتفرقات.

٦- الأنوار البهية في بيان أحقية مذهب الشافعية.

٧- الفوائد المستحسنة فيما يتعلق بالبسملة والحمدلة.

٨- الهداية بالولاية فيما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ﴾

رحمه الله رحمة واسعة .

* * *

الحادي والعشرون: الإمام الأكبر الشيخ محمد العباسي

ولد الإمام الأكبر الشيخ محمد بن محمد أمين بن محمد المهدي العباسي بالإسكندرية قبل عام ١٢٥٥هـ، وحفظ بها بعض القرآن الكريم ثم حضر إلى القاهرة حيث أتم حفظ القرآن ثم بدأ الدراسة بالأزهر على يد عدد من العلماء.

أما عن أسرته التي نشأ بها، فقد كان جده مسيحياً فأسلم على يد الشيخ محمد سالم الحفني، وهو يافع، فضمه الشيخ الحفني إلى أسرته، وسمى نفسه محمد المهدي العباسي، وتتلمذ على الشيخ الحفني وأخيه، وعلى يد عدد كبير من العلماء، ولما توفى الإمام الشيخ عبد الله الشرقاوي، أجمع كبار العلماء على ترشيحه لمشيخة الأزهر ولكن الوالي محمد علي باشا، آثر بها الشيخ الشنواني، وأقبلت الدنيا على السيد المهدي الكبير، فكان من كبار الأغنياء، ومن كبار ذوي المكانة السامية، لدى الفرنسيين، أثناء الحملة الفرنسية، وكان كذلك لدى الأتراك العثمانيين بعد جلاء الفرنسيين عن مصر.

أما منزلته العلمية، فقد أوجزها الجبرتي في كتابه (عجائب الآثار) في قوله:

كان من فحول العلماء، يدرس الكتب الصعاب، في المعقول والمنقول بالتحقيق والتدقيق، وقد أنجب ابنه محمداً والد الإمام، وكان هذا الولد كذلك من العلماء المرموقين، وتولى منصب الإفتاء بمصر.

أشرنا في البداية إلى أن ولادة الإمام محمد المهدي كانت بالإسكندرية، حيث حفظ بها بعض القرآن ثم انتقل إلى القاهرة عام ١٢٥٥هـ فأتم حفظ القرآن الكريم، ثم بدأ في دراسة العلوم عام ١٢٥٦هـ وكان ذلك على يد عدد من كبار شيوخ الأزهر آنذاك، منهم: الشيخ خليل الرشيد الحنفي، والشيخ إبراهيم السقا الشافعي، والشيخ البيتاني.. وغيرهم.

ولما ولي إبراهيم باشا بن محمد علي باشا بالتبني ولاية مصر، استدعاه

إليه، وأصدر أمراً بأن يتولى منصب الإفتاء في منتصف شهر ذي القعدة سنة ١٢٦٤هـ وهو في نحو الحادية والعشرين من عمره، ولم يكن قد تأهل لهذا المنصب الكبير، وذلك بعد أن عزل منه الشيخ أحمد التميمي الخليلي، وخلع الوالي علي الشيخ محمد المهدي خلعة هذا المنصب، ثم عقد له مجلسا بالقلعة حضره حسين باشا المنسترلي، والشيخ الإمام مصطفى العروسي وغيرهما، واتفقوا على إقامة أمين للفتوى يقوم بشئونها حتى يتأهل لها صاحبها ويباشرها بنفسه، واختاروا لهذه الأمانة الشيخ خليل الرشيدي، ونزل الشيخ محمد المهدي العباسي من القلعة في موكب كبير من العلماء والأمراء ووفد عليه كبار القوم والعلماء للتهنئة، ومدحه الشعراء، ومن الغريب أن الوالي إبراهيم باشا استدعاه لتولي هذا المنصب وهو جالس في حلقة أستاذه الشيخ إبراهيم السقا يتلقى عنه العلم.

ذكرنا فيما سبق أن والي مصر الجديد إبراهيم باشا أصدر أمراً بخلع المفتي الشيخ التميمي وأصدر أمراً آخر بتعيين الشيخ محمد المهدي العباسي مفتيا، ونظراً لأنه كان في نحو الواحدة والعشرين ولم يتأهل لذلك المنصب عُين الشيخ خليل الرشيد أمينا للفتوى حتى يصل الشيخ محمد المهدي إلى المستوى العلمي الذي يؤهله لمباشرة الإفتاء بنفسه.

أما سبب هذا التصرف من الوالي الذي لم يُسبق إليه في مصر، فإنه كان بناء على ترشيح من عارف بك الذي كان قد تولى القضاء بمصر، إذ جرت التقاليد العثمانية بأن القاضي الأكبر في مصر إنما يكون تركيا ويعين من قبل السلطان العثماني، ولما أنهى عمله بمصر وعاد إلى استانبول عين شيخاً للإسلام في تركيا، وكان ذلك أعلى منصب ديني في عاصمة الدولة العثمانية في ذلك الوقت، فلما ذهب إبراهيم باشا إلى تركيا ليتسلم مرسوم ولايته على مصر بعد محمد علي باشا، أوصاه عارف بك بالشيخ محمد

المهدي العباسي ليتسلم منصب الإفتاء الذي كان يشغله والده، لذلك قام إبراهيم باشا فور عودته بإصدار قرار بعزل المفتي الشيخ أحمد تميم الخليلي، وعين بدلا منه الشيخ محمد المهدي في هذا المنصب الذي لم يكن قد تأهل له بعد، لكن عولج الموقف بتعيين أمين للفتوى إلى أن يصل الشيخ محمد المهدي إلى المرحلة التي تؤهله للإفتاء.

لقد كانت ولاية منصب الإفتاء، حافزا للشيخ محمد المهدي على الانكباب على القراءة والبحث والدرس، حتى بلغ مكانة الصدارة بين العلماء، وأصبح جديراً كل الجدارة بمنصب الإفتاء، وجلس للتدريس بالأزهر، وأكب على دراسة كتب الفقه في المذهب الحنفي، كما قرأ عددا كبيرا من أمهات الكتب وكما باشر أمور الفتوى عن جدارة واستحقاق، مع التزامه: العفة والأمانة والدقة، واشتهر بين الناس بالحزم والعزم وعدم ممالأة الحكام في تلبية رغباتهم التي لا توافق الشريعة.

من أروع الأمثلة على ذلك: وقوفه في وجه الوالي عباس الأول فقد طمع هذا الوالي في الاستيلاء على ثروة أسرة محمد علي باشا التي ورثوها عن جدهم هذا، وكانت حجته في الاستيلاء على هذه الثروة أن جده محمد علي، وفد إلى مصر لا يملك شيئاً، فكل ما خلفه لذريته إنما هو من مال الأمة، ويجب رده إليها، ووضعه بيد حاكم الأمة لينفقه في مصالحها، وهي كلمة حق يراد بها باطل، كما نظر إليها العلماء في ذلك الوقت.

أراد الوالي حمل المفتي على إصدار فتوى تؤيد رأيه فرفض الشيخ الفتوى بذلك وأصر على الامتناع، فهدده بالعقاب الرادع فلم يأبه له، فاستعمل معه الوسائل الإرهابية، فلم يحفل الشيخ بما تعرض له من إرهاب، ثم انجلت المحنة فكان موقف الشيخ منها سبباً في علو قدره، وسمو مكانته وإعظام الولاة والحكام لشأنه، ولما تم عزل الشيخ العروسي من المشيخة ولاه

الخديوي إسماعيل المشيخة مع منصب الإفتاء.

وبهذا كان أول من جمع بين المنصبين، كما كان أول حنفي تولي مشيخة الأزهر، وقد كرمه الخديوي إسماعيل، فخلع عليه الخلع التي تُخلع عادة على شيوخ الأزهر، كما أحاطه بالتجلة والاحترام، ولعله أراد بهذا أن يكفر عن خطيئته في خلعه شيخ الأزهر السابق.

باشر الشيخ الإمام الأكبر عمله بحزم وعزم وتدبر، فبدأ بتنظيم شئون الأزهر الإدارية والمالية، فأعاد لأهل الأزهر كل ما كان لهم من المرتبات الشهرية والسنوية، وكان حازماً في إنفاق الأموال الخاصة بالأوقاف على مستحقيها بالأزهر، مع التقيد بشروط الواقفين، دون تلاعب من الحكام، ثم استصدر أمراً من الخديوي بوضع قانون للتدريس، فاستجاب له، وكان الأمر قبله قائماً على أن من آنس في نفسه القدرة على التدريس تصدى له، فألقى درساً بمحضرة شيوخه، فإذا أذنوا له ظل قائماً بعمله، وكان هذا الأسلوب يفتح ثغرات في النفوذ إلى منصب التدريس، ولهذا اندس بين العلماء من لا يستحق هذه المنزلة.

اقتضى قانون الامتحان تعيين ستة من أكابر العلماء الموثوق بأمانتهم وعلمهم، من كل مذهب اثنان إلا مذهب الحنابلة لندرة طلبته، وجعل الامتحان في أحد عشر علمٍ من العلوم المتداولة في الأزهر وهي: التفسير، والحديث، والتوحيد، والفقه، وأصول الفقه، والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع، والمنطق، ومن كان يريد أداء هذا الامتحان لا بد أن يكون قد درس هذه الفنون بالجامع الأزهر، وأن يكون دارساً لمصادرها الكبرى، مثل: السعد في البلاغة، وجمع الجوامع في أصول الفقه، وعليه أن يقدم طلباً لشيخ الأزهر يذكر فيه أنه يريد الدخول في زمرة العلماء المدرسين، وأنه حضر كذا وكذا من الفنون، وحضر مختصر السعد وابتدأ في جمع الجوامع مثلاً فيؤخذ الشيخ

ذلك الطلب حتى يستخبر عن أحواله ممن يعرف حقيقة أمره، ثم يكتب إلى مشايخه لإبداء رأيهم فيه، ولا بد أن يشهد له جمع من المشايخ أقلهم ثمانية، ثم يعين له درس من كل فن، ويُعطى ميعاداً لكل درس.

وينعقد الامتحان في بيت شيخ الأزهر، ويلقي الطالب الدرس المطلوب بوصفه أستاذاً ويمثل العلماء دور الطلبة فيسألونه ويجيب ولا يحضر المجلس غيرهم، فإذا أجاب في كل فن نال التقدير من الدرجة الأولى، وإذا أجاب في أكثر الفنون كتب من الدرجة الثانية، وإذا أجاب في الأقل كتب من الدرجة الثالثة، والأغلبية العظمى من المتقدمين كانوا ينالون الدرجة الثالثة، وقليل منهم كانوا ينالون الدرجة الثانية، وأقل من القليل أو النادر كانوا ينالون الدرجة الأولى، وكان عدد من المتقدمين لا ينجحون إلا بعد عدة محاولات.

كان من المستحسن ألا يقبل من الطلبات في الامتحان لأكثر من ستة في العام إذا زادت الطلبات لأداء الامتحان اختار الشيخ عدداً منهم ويتم الاختيار على أساس الشهرة والعلم أو كبر السن، والذي يظفر بالدرجة الأولى في الامتحان يرسله الأزهر إلى المعية الخديوية، لتكتب له شهادة تشريف، متوجة بخاتم الخديوي الأعظم تكون مع الناجح الممتاز، ويمنحه الخديوي خِلعة – فراجية – ويمنحه شريطاً مزينا بالقصب يضعه في عمامته، ويكتب للجهات المختصة باحترامه، وينال تخفيضاً في أجر السفر بالقطارات.

ولم يزل الشيخ الإمام محمد المهدي قائماً بعمله في المشيخة والإفتاء بما عهد فيه من حزم وعزم وهو موضع الإجلال والتكريم من الحكام والرعية والعلماء حتى قامت الثورة العرابية، فلم يتجاوب معها، فطلب عرابي من الخديوي توفيق عزله، فأجاب طلبه في المحرم سنة ١٢٩٩هـ وولى بدله الشيخ الإمام الإنبابي، بعد ثلاثة عشر عاماً من توليه المشيخة من عام ١٢٨٧هـ إلى عام ١٢٩٩هـ، وانفرد الشيخ المهدي بالفتوى.

ولما اشتدت الثورة العرابية، كتب العلماء وقواد الثورة بعزل الخديوي وطلبوا من الشيخ المهدي توقيعه معهم فرفض قائلاً: "أنا لا أوقع بيدي فإذا كان في الأمر غصب فإن خاتمي معي فخذوه ووقعوا أنتم بأيديكم كما تشاؤون"، ولعله كان يرى أن الذي يملك عزل الخديوي هو الخليفة العثماني وحده، فانحرف العرابيون عنه ووضعوه تحت الرقابة، فاحتجب في داره التي كانت واقعة على شارع الخليج – الذي سمى فيما بعد بشارع بور سعيد – وذلك بالقرب من مدرسة فخري المشهورة بجامع البنات، وتحاشى الناس زيارته فكان لا يخرج من بيته إلا لصلاة الجمعة في أقرب مسجد له".

ولما عاد الخديوي إلى الحكم بعد انتهاء الثورة العرابية، عَرف للشيخ حقه وقدر له وفاءه، فلما ذهب العلماء لتهنئة الخديوي بالعودة إلى الحكم، ذهب الشيخ الإمام المهدي معهم، فخصه الخديوي من دونهم بمزيد من الترحيب والرعاية، وكان بينهم الإمام الشيخ الإنبابي شيخ الأزهر، ولما رأى الشيخ الإنبابي هذا الاهتمام من الخديوي بالشيخ محمد المهدي، خشي أن يعزله الخديوي ليعيد الشيخ المهدي العباسي إلى المشيخة فاستقال بعد أيام فأصدر الخديوي قراراً بإعادة محمد العباسي إلى منصب شيخ الأزهر، إلى جانب بقائه في الإفتاء، وكان قرار الخديوي كما يلي:

"أنه بناء على استعفاء الأستاذ الشيخ محمد الإنبابي من وظيفة مشيخة الجامع الأزهر ووثوقنا بفضائل وعالمية حضرة الأستاذ الشيخ محمد المهدي العباسي، قد اقتضت إرادتنا توجيه هذه الوظيفة لعهدته، كما كانت قبلاً، علاوة على وظيفة السادة الحنفية المتحلي بها من السابق، وصدر أمرنا للمؤتي بذلك في تاريخه، ولزم إصدار هذا لدولتكم إشعاراً بما ذكر في ٤ أكتوبر سنة ١٨٨٢م الموافق ١٨ ذي القعدة سنة ١٢٩٩هـ أي عاد لمنصب المشيخة الذي عزل منه بعد حوالي عشرة أشهر فقط من تنحيته عنه.

وكان بعض علماء الأزهر قد سعوا لتنصيب الشيخ عبد الهادي نجا الإمباري وكتبوا طلباً بهذا ووقعوا عليه، وطافوا على بقية العلماء لتوقيعه ففاجأهم الأمر بإعادة الشيخ الإمام المهدي للمشيخة.

ظل الشيخ يباشر عمله حتى سنة ١٣٠٤هـ وفيها علم الخديوي أن جماعة من الكبراء يجتمعون للسمر في بيت الشيخ الإمام المهدي، فيتكلمون في الأمور السياسية، ويظهرون سخطهم على الاحتلال البريطاني وعلى ممالاة الحكومة المصرية له، ثم قابل الإمام المهدي الخديوي في إحدى المناسبات الاعتيادية، فتجهم الخديوي له، ولما هم الإمام بالانصراف قال له الخديوي: "يا حضرة الأستاذ الأجدر بالإنسان أن يشتغل بأمور نفسه ولا يتدخل فيما لا يعنيه ويجمع الجمعيات بداره" فقال له الشيخ الإمام: "إنني ضعفت عن حمل أثقال الأزهر وأرجو أن تعفوني منه" ولم يكن الخديوي يتوقع منه هذا الرد، فغضب وقال مستفهما وأيضاً من الإفتاء، قال: "نعم ومن الإفتاء أيضاً"، ثم انصرف وذلك بعد أربع سنوات من عودته لمشيخة الأزهر.

ويرجع بعض الباحثين غضب الخديوي، إلى شكوى تقدم بها رئيس النظار – أي رئيس الوزراء – نوبار باشا الأرمني، لأن الشيخ الإمام أفتى فتوى لم يرض عنها نوبار باشا، وذلك أنه كانت هناك قضية مرفوعة أمام المحاكم الأهلية، واقتضى الأمر كشف وجه إحدى المخدرات للتحقق منها، فامتنعت عن الإسفار محتجة بعدم جوازه في الشريعة، وأصدر الإمام المهدي فتوى بعدم الجواز، فشكاه نوبار باشا إلى الخديوي ووصل له: بأنه أصبح عقبة أمام القضاء ومعارضاً لأحكام القضاء، ثم طلب عزل الشيخ الإمام، أو يقبل استقالته هو من رئاسة الوزراء.

استجاب الخديوي وأصدر قراراً بإعادة الشيخ محمد الأنبابي لمشيخة الأزهر، وإقامة الشيخ محمد البنا في الإفتاء، وبقي الشيخ المهدي بداره فترة،

حتى أعيد إلى الإفتاء، ثم أصيب بالفالج ووافته منيته في الساعة الخامسة من ليلة الأربعاء ١٣ من شهر رجب عام ١٣١٥هـ عن اثنتين وسبعين عاماً، بعد أن لازمه المرض أربع سنوات.

فأذن المؤذنون على المآذن إعلاناً بوفاته، وحزن الناس لموته حزنا شديداً وتكاثرت الحشود الحاشدة على داره للاشتراك في جنازته حتى بلغ عدد المشيعين زهاء أربعين ألفاً، وبلغ عدد المصلين عليه نحو خمسة آلاف، ودفن بقرافة المجاورين في زاوية الشيخ الحفني، إلى جوار أبيه وجده.

رثاه كثير من الشعراء المعاصرين له، وقد جمع الشيخ عثمان الموصلي هذه المراثي في كتاب سماه "المراثي الموصلية في العلماء المصرية" جمع فيها بعض المراثي التي قيلت في بعض العلماء الذين ماتوا في سنة وفاته، ومن هذه المراثي ما قاله بعضهم فيه:

عليه دمع الفتاوى بات منحدراً	وللمحابر حزن ضاق عن حد
فيها المسائل قد باتت تؤرخه	مات المجيب الإمام المفتدى المهدي

أما مكانته، فقد كان الشيخ الإمام صارماً في التمسك بالحق والدفاع عنه وحماية أهله، وكانت لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان شديد المحافظة على كرامته وكرامة منصبه الكبير.

وحسبنا أن نذكر موقفه من الحكام الطغاة، كما رواه ابنه: محمد عبدالخالق الحفني في ترجمة لأبيه عن كتاب (تراجم مشاهير الشرق) لجرجي زيدان، قال: طلب منه المرحوم عباس باشا الأول حاكم مصر فتوى، بأن ما في أيدي عائلة محمد علي باشا الأكبر، حق لبيت مال مصر، وكان يريد الاستيلاء على هذه الأموال بهذه الحجة، لأنه حاصل في أيديهم من أموال المصريين، فأبى الإمام أن يفتي بهذا الأمر، فاصدر الحاكم أمره بنفيه إلى أبي قير، وكرر عليه الطلب، فأجابه الإمام: "إن الأمير يأبى إلا أن أترك الشرع،

فيقال عني غير أحكام الله وأهان الشريعة السمحاء، ومع ذلك قابل للنفي وللقتل في سبيل إعزاز ديني" ولما يئس الحاكم من استجابته أكبره في نفسه، وأعاده إلى القاهرة وأنعم عليه إقراراً منه بأحقية ما فعل.

ونذكر موقفاً صلباً آخر مع الخديوي إسماعيل باشا حاكم مصر، إذ في عهده أراد إلحاق الأوقاف الأهلية بالأوقاف العمومية، ليستولى عليها، حيث كان ناظراً لها، وأراد أن يعوض أربابها بما يكفل لهم معاشهم، وسأل الفتيا بالجواز، واشتد في ذلك حين أفتاه بعض العلماء بجواز هذا الضم، فهدد الإمام تهديداً شديداً وتوالى التهديد، فقال الإمام: "إنه ليسهل عليه تجرده مما يملك وما ورث عن آبائه، على أن يُعلَنَ أنه حكم بغير ما أنزل الله، وأنه حابى بدينه، أوراعه التهديد فراعى جانب المخلوق، أو أخذته في الدين لومة لائم".

وبعد ذلك دعاه الوالي وعقد مجلسا تحت رياسته ليناقش الإمام العلماء المخالفين له، وليتبين الحق، وحدثت مناقشة انتهت بإجماع المخالفين على أنهم مخطئون، وأن الإمام على حق، فازدادت مكانته رفعة، حتى أصبح مرجعاً للحكومة في الإفتاء، وأوصى إسماعيل باشا نجله توفيق باشا بالمحافظة على الإمام واستشارته في المعضلات، لأنه رجل الدين والدنيا.

ثم إن الخديوي إسماعيل شرع في الاستيلاء على تركة إلهامي باشا في أطيانها تسديداً لدين غير مستغرق، فتوقف معه، ونصحه بأن يحقق هدفه بما هو أطيب وأطهر عند الله، وأشار عليه باقتران ولي العهد بكريمة إلهامي باشا فنفذ نصيحته.

وهكذا تمسك الإمام بالدفاع عن الدين في وظيفة الإفتاء التي وليها أربعين عاماً، وأما المشيخة فقد وليها ثمانية عشر عاماً.

لمكانته العالية والسامية منحه الباب العالي كسوة التشريف من الدرجة الأولى كما منحه الوسام العثماني الأول في ٢١ صفر سنة ١٣١٠هـ.

كان للشيخ الإمام اختيار القضاة الشرعيين، ورجال الإفتـاء بالأقـاليم، فكان دقيقاً في اختيار أكفأ العلماء، وكان يتحـرى فـي اختيـارهم الـذكاء، والنجابة، والتقوى، والصلاح والعلم الغزير، وكان يحميهم من تدخل الحكـام ويشد أزرهم في التمسك بالحق والدفاع عنه، ثم رأت الحكومة أن يكون أمـر اختيارهم منوطاً بلجنة مؤلفة بنظارة الحقانية – وزارة العدل – برياسة وكيلها إذ ذاك بطرس غالي باشا وهو مسيحي، وعرضوا على الشيخ أن يكون مـن أعضاء تلك اللجنة فرفض ذلك بتاتاً.

وكان كثيراً ما يتدخل لدى الحكام لدفع المظالم حتى قبل ولايته لمشيخة الأزهر، ومن ذلك أن الشيخ الإمام مصطفى العروسي استصدر وهـو شـيخ للأزهر أمراً من الخديوي إسماعيل بنفي الشيخ حسن العدوي إلى إسنا، وكاد هذا النفي يتم لولا أنه استغاث بالشيخ المهدي، فأغاثه، وذهب إلى الخـديوي متشفعاً وألح في الرجاء حتى صدر قرار بالعفو عن الشيخ حسن العدوي.

وحسبنا من الشيخ الإمام موقفه من الشيخ محمد عبده، فـولاه لطـرده العلماء من الأزهر، فقد تقدم الشيخ محمد عبـده للامتحـان للتـدريس عـام ١٢٩٤هـ فتحامل عليه أعضاء لجنة الامتحان من العلماء حتى كـان امتحانـه صراعاً لا امتحاناً، وحلف بعضهم بالطلاق لا يمنحه درجة التـدريس، فقـال الإمام المهدي: إنه يستحق النجاح بالدرجة الأولى، فإنه لم يمتحن أمامه طالب يماثله، فقام أحد المشايخ وكتب نجاحه بالدرجة الثانية، وخـتم وأخـذ أختـام الأعضاء فوافقهم الشيخ الإمام.

وكان الحكام يستشيرون الشيخ الإمام في معضلات الأمور حتى غيـر العلمية منها لما ألفوه فيه من غزارة العلم وجودة الرأي، وصـدق النـصيحة والتقوى والصلاح.

لقد مكث الشيخ في الإفتاء أربعين عاماً لم ترتق إليه أي شائبة أو خطأ،

لأنه ولي الإفتاء صغيراً فحرص على أن يـدرس الفتـاوى دراسـة علميـة وعميقة، وأن يراجعها مراجعة دقيقة، حتى أصبحت لديه ملكـة ملهمـة فـي الإفتاء، وبصيرة نافذة في فهم دقائق الشريعة الغراء، وأصبح المرجـع الأول في الإفتاء.

وكان رحمه الله ربعة أقرب إلى الطول، مليح الوجه، منـور الـشيبة، معتدل القامة ذا هيبة ووقار، ومات عن ثروة طائلة، ورثها عن أبيـه وجـده ونماها، وكان بيته مفتوحاً أمام الجميع الراغبين، ولم تخل مائدته يومـاً مـن الطاعمين.

من أهم مؤلفاته الفتاوى: المهدية في الوقائع المصرية وهـي مطبوعـة بالقاهرة عام ١٣٠١هـ في ثمانية أجزاء وتعتبر من أهم المصادر في الإفتاء.

رحم الله الإمام محمد المهدي العباسي رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته إنه قريب مجيب.



الثاني والعشرون: الإمام الأكبر الشيخ محمد الإنبابي

هو الإمام الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن حسين الإنبابي الفقيه الشافعي ومعلوم أن إمبابة تقع على الجانب الغربي لنهر النيل في مواجهة الزمالك وهي تابعة لمحافظة الجيزة، وكان والده من كبار التجار، وكانت له وكالة لبيع الأقمشة بالغورية حتى الآن تعرف باسمه.

ولد بالقاهرة ١٢٤٠هـ ١٨٢٤م، حفظ القرآن وبعض المتون ثم بدأ الدراسة بالأزهر عام ١٢٥٣هـ وتتلمذ على يد كبار الشيوخ مثل الإمام البيجوري، والإمام السقا، والإمام البولاقي وغيرهم، وكانت جلُ دروسه في اللغة العربية وقد اشتهر عنه أنه كان لا يدرس كتاباً إلا ويكتب عنه تعليقاً في مثل حجمه.

اشتهر الإمام الإنبابي بكرمه وسعة خلقه، ويقابل السيئة بالحسنة، إلا إذا كان شيئاً يمس الأزهر، فيغضب له أشد الغضب، كما اشتهر بحب الخير ومساعدة الضعفاء والمحتاجين.

في عام ١٢٩٩هـ تم تعيينه شيخاً للأزهر وكان ذلك أثناء الثورة العرابية، وقد أنعم السلطان عبد الحميد الخليفة العثماني عليه برتبة شرفية، لكن لم تطل مدته في المشيخة إذا قدم استقالته على أثر حوادث الثورة العرابية لكن في عام ١٣٠٤هـ صدر قرار بتعيينه شيخا للأزهر للمرة الثانية وظل في منصبه هذا تسع سنوات، حتى استقال منها لظروف صحية عام ١٣١٢هـ فكرمه الخديوي عباس، وأرسل إليه رسالة رقيقة يشكره على جهوده في ولايته الثانية للمشيخة كما أنعم عليه بالنيشان العثماني من الدرجة الأولى.

من أهم وظائفه: توليته أمانة الفتوى، والتدريس بالأزهر، وتعيينه رئيساً لعلماء الشافعية بعد وفاة الشيخ السقا.

من أهم تلاميذه الأئمة: حسونة النواوي، وأبو الفضل الجيزاوي، وعلي

البيلاوي وهؤلاء تولوا المشيخة فيما بعد وغيرهم.

لقد ترك ثروة علمية واسعة تزيد عن تسعة وأربعين مصنفاً من أهمهـــا:

١. شرح شذور الذهب.

٢. حاشية على شرح قطر الندى.

٣. تقرير على حاشية الصبان على الأشموني.

٤. رسالة في مداوات مرضى الطاعون وغير ذلك كثير.

توفى إلى رحمة الله تعالى في عام ١٣١٣هـ ١٨٩٦م عن عمـر ينـــاهز الرابعة والسبعين وقد وقف مكتبته وما يملك من عقار، في وجه الخير ودفـــن بقرافة المجاورين.

رحمه الله رحمة واسعة.

* * *

الثالث والعشرون: الإمام الأكبر الشيخ حسونة النواوى

هو الإمام الشيخ حسونة عبدالله النواوى الحنفي؛ من بلدة نواى من أعمال مركز ملوي محافظة المنيا.

ولد الشيخ حسونة النواوي عام ١٢٥٥هـ ١٨٣٩م وحفظ نصف القرآن في قريته وكان هذا هو المقرر للالتحاق بالأزهر ثم يكمل الحفظ داخل الأزهر.

جلس إلى كبار العلماء، مثل الشيخ الإنبابي والشيخ البحيري حتى استوعب المقررات الدراسية في ذلك الوقت، وجلس للتدريس فدرس أمهات الكتب العلمية، فأقبلت عليه جموع الطلاب ولفت إليه الأنظار، فاختاره القائمون على شئون الأزهر فعينوه لتدريس الفقه في جامع محمد علي بالقلعة، كما استرعى أنظار القائمين على نظارة المعارف آنذاك فعينوه إلى جانب عمله بالمسجد المذكور أستاذاً للفقه بدار العلوم، ودراسة الحقوق بكلية الحقوق وبدار العلوم، فقام بعمله خير قيام.

حين مرض الشيخ الإنبابي عين الشيخ حسونة وكيلاً للأزهر، ثم شيخاً له في عام ١٣١٣هـ ١٨٦٩م، وإلى جانب مشيخته للأزهر عين مفتيا للديار المصرية، ثم عضوا بالمجلس الأعلى للمحاكم الشرعية.

أصدر الخديوي قراراً بإبعاد الشيخ حسونة من مشيخة الأزهر لثلاثة أسباب:

أولها: وقوفه ضد القانون الذي أصدره الخديوي بإصلاح المحاكم الشرعية.

ثانيها: اعتراضه على قرار الخديوي بعدم الذهاب إلى الحج بدعوى وجود وباء هناك.

ثالثها: ظهور خلاف بين رئاسة الوزارة والشيخ على بعض القرارات

الإدارية، لذلك أقبل العلماء والشعب على دار الشيخ حسونة أفواجاً يلهجون بفضله، وتمسكه بدينه ووقوفه ضد الطغيان، وحفاظاً على حرمة الأزهر وكرامة رجال الدين.

عين الخديوي ابن عمه الشيخ عبد الرحمن النواوي شيخاً للأزهر، ولكنه توفي خلال شهر من تعيينه، فعين الخديوي الشيخ سليم البشري شيخاً للأزهر، ولكنه استقال بعد ثلاث سنوات من منصبه.

صدر المرسوم بإعادة الشيخ حسونة مرة أخرى شيخاً للأزهر عام ١٣٢٤هـ ولكنه ترك المنصب بعد وقت قليل ليأسه من الإصلاح، فاستقال عام ١٣٢٧هـ.

كان للشيخ حسونة رغبة في إصلاح الأزهر وإدخال العلوم الحديثة إليه، وكان الجو مهيأ فتكونت مجموعة لعمل تقنين اشتمل على اثنتين وستين مادة، وتم وضع قواعد للانتساب والانتظام، وأحقية العلماء والطلاب في المرتبات، والأجور، والمكافآت، وتنسيق قواعد للتدريس والإجازات العلمية وإدخال العلوم الحديثة مثل الرياضة والهندسة وغيرهما إلى رحاب الأزهر، وكان الشيخ حسونة والشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده من بين أعضاء هذه اللجنة التي أنجزت هذا التقنين.

كانت له مجموعة من المؤلفات من أهمها كتاب سلّم المسترشدين في أحكام الفقه والدين، وقد درس هذا الكتاب أيضاً في مدارس التربية والتعليم.

توفي الشيخ حسونة النواوي عام ١٣٤٣هـ ١٦٢٤م ودفن بقرافة المجاورين.

رحمه الله رحمة واسعة.

* * *

الرابع والعشرون: الإمام الأكبر الشيخ عبد الرحمن القطب النواوي

ولد الإمام الأكبر الشيخ عبد الرحمن القطب النواوي في نفس السنة التي ولد فيها قريبه الإمام الأكبر السابق عام ١٢٥٥هـ الموافق لعام ١٨٣٩م، وهو الإمام الشيخ حسونة النواوي، كما أنهما ينتميان إلى بلد واحد وهو بلدة (نواى) من أعمال مركز ملوي بمحافظة المنيا، إلا أن الشيخ حسونة استمرت مدة بقائه شيخاً للأزهر أربعة أعوام من عام ١٣١٣هـ إلى عام ١٣١٧هـ بينما الشيخ عبد الرحمن النواوي لم يبق في منصب مشيخة الأزهر إلا شهراً واحداً انتقل في نهايته إلى رحاب ربه عز وجل.

حفظ معظم القرآن الكريم في بلده، وتمم حفظه في القاهرة ثم تتلمذ على عدد من كبار العلماء، منهم الإمام الشيخ عبد الرحمن البحراوي، والشيخ إبراهيم السقا، والشيخ الإنبابي، والشيخ عليش.

لما تخرج من الأزهر شغل عدة مناصب قضائية هامة من أهمها:

أولاً: أمانة فتوى مجلس الأحكام مساعداً للشيخ البقلي سنة ١٢٨٠هـ،

ثانياً: تولى قضاء مديرية الجيزة عام ١٢٩٠هـ.

ثالثاً: تولى قضاء مديرية الغربية عام ١٢٩٦هـ.

رابعاً: تم نقله إلى المحكمة الشرعية الكبرى بالقاهرة عام ١٣٠٦هـ.

خامساً: تم نقله إلى قضاء الإسكندرية.

سادساً: تم نقله إلى نظارة الحقانية – وزارة العدل- عام ١٣١٣هـ.

سابعاً: ولي مشيخة الأزهر في ٢٥ محرم عام ١٣١٧هـ.

قد اكتسب ثقة الجميع في كل ما وليه من أعمال.

لم يعثر له على مؤلفات، ولعل عمله في القضاء والإفتاء وبعده عن التدريس لم يعطه فرصة للتأليف.

كان رحمه الله مشهوراً بالعلم، والعدل والنزاهة، والحزم، وهذه هي

المؤلفات التي ترفع من شأن القضاة والمفتين إذا توفرت فيهم، وقـد تـوفرت بحمد الله تعالى في الإمام الأكبر الشيخ عبد الرحمن القطب النواوي، وكانـت سر نجاحه والثقة فيه في كل المناصب التي تولاها.

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

❋ ❋ ❋

الخامس والعشرون: الإمام الأكبر الشيخ سليم البشري

هو فضيلة الإمام الشيخ سليم بن فراج بن السيد سليم البشري، نسبة إلى (محلة بشر) إحدى قرى شبراخيت بمحافظة البحيرة.

ولد الشيخ سليم البشري عام ١٢٤٨هـ ١٨٣٢م وقد عاش يتيماً حيث توفي والده وهو في السابعة من عمره، وكفله أخوه الأكبر السيد عبد الهادي البشري.

حفظ القرآن الكريم وجوده وهو في سن التاسعة، في حضن خاله السيد/ بسيوني البشري، أحد شيوخ ضريح السيدة زينب رضي الله عنها والتحق بالأزهر ودرس الفقه المالكي كحال أكثر أهل البحيرة.

كان يحضر الدروس على عدد من كبار الشيوخ مثل الشيخ الحناني، والشيخ عليش، والشيخ الباجوري، وكان شيخه الحناني يدرس لطلاب الدراسات العليا فمرض في نصف العام الدراسي ولما اشتد به المرض قال لطلبته: "إني ذاهب وليس لي قدرة الآن على تحصيل العلم، وإني مستخلف عليكم لإتمام درسي أجدر الناس به" وأمسك بيد الشيخ سليم البشري وأجلسه في مجلسه فأتم الكتاب على غرار شيخه، وكان له اهتمام بالحديث الشريف.

وبعد بضعة أعوام عين شيخاً ونقيباً للسادة المالكية، وكان آنذاك من أكبر المناصب في الأزهر وظل شيخاً للمالكية حتى لقى ربه.

وقع عليه الاختيار ليكون شيخاً للأزهر، وقد اعتذر عن قبول المنصب لكبر سنه لكن تحت الإلحاح الشديد قبل التعيين شيخاً للأزهر عام ١٣١٧هـ ١٩٠١م، وبعد أربع سنوات أمضاها في المنصب استقال حين لم يخضع لضغوط الحاكم، فعين بدلاً منه الشيخ علي الببلاوي، ثم أعيد تعيينه شيخاً للأزهر للمرة الثانية عام ١٣٢٧هـ ١٩٠٤، وظل شيخاً للأزهر حتى عام ١٣٣٥هـ أي ثماني سنوات حتى توفي.

كان الشيخ سليم البشري أحد أعضاء اللجنة التي باشرت الإصلاح في الأزهر سواء في إدخال العلوم الحديثة، أو في رفع مستوى الأساتذة والطلاب مادياً.

تقديراً لجهوده في النهوض بالأزهر منح نيشان المجيدي الأول كما منح الوشاح الأكبر من وسام النيل.

من غرائب الشيخ سليم البشري أنه لم يقبض مرتبه في حياته بيده بل كان يترك ذلك لمن يثق به، وكان يضع في يده بضع جنيهات كل شهر ينفقها على الفقراء.

كان الشيخ سليم يزور تلاميذ الإمام مالك المدفونين في مسجد السادة المالكية بجوار ضريح الإمام الشافعي وضريح السيدة نفيسة رضي الله عن الجميع كل يوم جمعة، وفي يوم الجمعة قبل الوفاة ذهب كعادته وخلع عمته وجبته ونام أمامهم وقال: يعلم الله أني أحبكم وقد قال رسول الله ﷺ: "المرء يحشر مع من أحب، وأنا أحب أن أحشر معكم" وتوفي في يوم الجمعة التالية، وقبل وفاته في حال الاحتضار قال اذهبوا بجنازتي إلى مسجد السادة المالكية فإن قبلوا دفني معهم فادفنوني معهم، وإلا فادفنوني في أي مكان تختارونه، فقبلوا دفنه هناك وله ضريح مقابل أضرحة ابن القاسم وأشهب وبقية المالكية.

يقول حافظ إبراهيم في رثائه:

أيدري المسلمون بمن أصيبوا	وقد واروا سليماً في التراب
وهو ركن- الحديث- فأي قطب	لطلاب الحقيقة والصواب
فما في الناطقين فم يوفي	عزاء الدين في هذا المصاب
قضى الشيخ المحدث وهو يملي	على طلابه فصل الخطاب
ولم تنقض له التسعون عزما	ولا صدته عن درك الطلاب

رحمه الله رحمة واسعة .

السادس والعشرون: الإمام الأكبر الشيخ علي الببلاوي

هو الإمام الأكبر الشيخ علي بن محمد بن أحمد بن محمد المالكي الحسيني الإدريسي الببلاوي نسبة إلى بلدة (بيلا) وهي قرية تقع في شمال (سنبو) غربي بحر يوسف من أعمال ديروط بمحافظة أسيوط.

ولد في عام ١٢٥١هـ ١٨٨٥م بالقرية المذكورة وحفظ القرآن الكريم ودرس مبادئ العلوم بها، ثم التحق بالأزهر ١٢٦٩هـ وتتلمذ على الشيوخ الكبار أمثال الشيخ الأنبابي والشيخ عليش والشيخ الأسيوطي، وعاش في مدة دراسته صديقاً لزميل الدراسة حسونة النواوي؛ يحضران الدروس معاً ولا يفترقان إلا في درس الفقه، حيث يحضر الشيخ الببلاوي على شيوخ الفقه المالكي، والشيخ النواوي على شيوخ الفقه الحنفي.

الشيخ علي الببلاوي من سلالة الإمام الحسن بن علي بن السيدة الزهراء فهو ينتسب للبيت النبوي الكريم، وقد صدر القرار بتعيين الشيخ الببلاوي شيخاً لنقابة الطرق الصوفية، وكان ذلك عام ١٣١٢هـ وبعد استقالة الشيخ سليم البشري من مشيخة الأزهر تم تعيين الشيخ علي الببلاوي شيخاً للأزهر ١٣٢٠هـ ١٩٠٤م، وكان الخديوي يأمل أن يساعده الشيخ الببلاوي في الوقوف ضد حركة الإصلاح التي يقودها عدد من شيوخ الأزهر على رأسهم الشيخ محمد عبده، ولكن الشيخ الببلاوي كان يقف مع حركة الإصلاح التي تقضي بإدخال العلوم الحديثة في الأزهر كالهندسة والرياضة والفلك وغيرها وتحسين حال الأساتذة والطلاب، مما دفعه للاستقالة من منصبه بعد سنتين من توليته لها، لكن مع ذلك ظل في منصبه نقيباً للأشراف ثم قائماً على خدمة إدارة المسجد الحسيني وإلقاء الدروس به.

كما تولي منصب رئاسة دار الكتب المصرية، وأصبح ناظراً في عام ١٢٩٩هـ.

ترك أثراً عظيماً في نقابة الأشراف حيث ضبط أوقافها، ونظم مواردها ومصادرها وكل ما يتعلق بنفقتها، كما بنى من إيراداتها ست دور ليستغل إيراداتها في النفقات الهامة التي تحتاجها الجهات الخيرية.

من أهم مصنفاته التي تركها:

فضائل ليلة النصف من شعبان، وعلق عليها ولده السيد محمد برسالة سماها "عروس الفرقان في الحث على ترك البدع وشوائب النقصان على الرسالة الببلاوية بليلة النصف من شعبان" وهي مخطوطة بدار الكتب.

وكذلك منها: إعجاز القرآن، وهي مجموعة من مقالات نشرها في روضة المدارس وجمعها ابنه السيد محمود وهي مخطوطة بدار الكتب المصرية.

وكذلك منها: الأنوار الحسينية في شرح الحديث المسلسل (يوم عاشوراء) ونصه: "صيام يوم عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله".

وتوفي الشيخ الببلاوي في نفس العام الذي ترك فيه المشيخة ١٣٢٣هـ ١٩٠٥م، ودفن بقرافة المجاورين.

رحمه الله رحمة واسعة.

***

السابع والعشرون: الإمام الأكبر الشيخ عبد الرحمن الشربيني

هو الإمام الأكبر الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشربيني الشافعي من قرية شربين، حفظ القرآن الكريم والمبادئ الأولي للعلوم ثم التحق بالأزهر، فوفِق في دراسته واستيعابه للعلوم التي تخصص فيها ومنها الفقه الشافعي وأصول الفقه، والمنطق، وعلوم اللغة.

كان الشيخ الشربيني مشهوراً بعزوفه عن المناصب زاهداً فيها، كما كان لا يميل إلى التجديد الذي كان بعض العلماء يدعو إليه في الأزهر مثل: الرياضة والهندسة والفلك والمنطق والفلسفة.

علم الخديوي باتجاه الشيخ إلى المحافظة على العلوم الموروثة في الأزهر وعدم رغبته في التجديد فأراد أن يتولى مشيخة الأزهر لقيادة هذا الفكر الذي يحارب التجديد، وأخيراً وافق الشيخ الشربيني على تولي مشيخة الأزهر عام ١٣٢٣هـ ١٩٠٥م، فأقام الخديوي حفلاً كبيراً بهذه المناسبة وخلع على الشيخ كسوة التشريفة، وألقى الخديوي خطبة بهذه المناسبة وقال فيها: "إن الأزهر أسس ليكون مدرسة دينية إسلامية تنشر علوم الدين، وأطلب أنا وحكومتي أن يكون الهدوء سائداً في الأزهر، ولا ينشغل العلماء والطلاب إلا بالعلوم الدينية النافعة بعيداً عن زيغ العقائد والأفكار، لأنه مدرسة دينية قبل كل شيء.

أوعز الخديوي إلى الصحف الهجوم على علماء الأزهر الذين كانوا يقودون فكرة التجديد، وإشاعة أن العلوم الحديثة جناية على الدين وأن الإسلام يكرهها.

كان الشيخ الشربيني في كراهته للتجديد سببه الخوف أن ينشغل الطلاب والأساتذة بالعلوم الحديثة ويهملوا الفقه والحديث والتفسير وعلوم اللغة، وكان يرى أن الإصلاح يجب أن ينصب على تحسين سكن الطلاب، والاهتمام

بغذائهم وصحتهم وأما العلوم الحديثة فوزارة المعارف تقوم به في مدارسها الكثيرة.

كان من أهداف الخديوي وهو يعرف زهد الإمام الشربيني يريد أن يضع يده على أوقاف الأزهر، والتصرف فيها، لكن الشيخ الشربيني وقف له بالمرصاد مما أساء إلى العلاقة بينهما ودفع الشيخ الشربيني إلى تقديم استقالته من المشيخة بعد عام واحد فقط سنة ١٣٢٤هـ وأعيد الشيخ حسونة النواوي للمرة الثانية للمشيخة.

أما آثاره العلمية فكثيرة منها: تقرير على حاشية البناني على شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه.

وتقرير على حاشية ابن قاسم على شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري لمتن البهجة الوردية في الفقه الشافعي، وتقرير على حاشية "عبد الحكم" على شرح السيالكوني على شرح القطب علي الشمسية في المنطق.

توفي الإمام الشربيني عام ١٣٣٤هـ رحمه الله رحمة واسعة.

* * *

الثامن والعشرون: الإمام الأكبر الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي

شيخنا هو الإمام الشيخ محمد أبو الفضل الوراقي الجيزاوي المالكي الذي تولى مشيخة الأزهر لمدة عشر سنين من عام ١٩١٧م إلى ١٩٢٧م.

ولد الإمام أبو الفضل الجيزاوي في وراق الحضر بإمبابة بمحافظة الجيزة عام ١٢٦٤هـ - ١٨٧٤م وعاش مائة عام.

حفظ القرآن الكريم وحفظ بعض المتون وكان عنده عشر سنوات، ثم دخل الأزهر، فانشغل بتجويد القرآن الكريم، وتلقى دروس العلم، في الفقه المالكي، كما تلقى دروس النحو والصرف والفقه وأصول الفقه والتفسير والحديث والمنطق، على أكابر الشيوخ في ذلك الوقت، ومنهم: الشيخ محمد عليش، والشيخ علي العدوي، والشيخ إبراهيم السقا، والشيخ الإنبابي، والشيخ المرصفي، وغيرهم من أكابر الشيوخ.

أمره الشيخ الإنبابي بالتدريس فوافق بعد تردد عام ١٢٨٧هـ كما عين عضواً في إدارة الأزهر في زمن مشيخة الشيخ سليم البشري، ثم وكيلاً للأزهر عام ١٣٢٦هـ، ثم شيخاً للإسكندرية، ثم شيخاً للأزهر ١٣٣٥هـ ١٩١٧م، ثم شيخاً للسادة المالكية ١٣٣٦هـ ١٩١٨م.

عاصر الإمام الجيزاوي أحداث ثورة ١٩١٩م، ضد الإنجليز، حيث كان الأزهر هو مركز هذه الثورة حيث كان يجتمع بداخله، كبار علماء الدين الإسلامي والمسيحي، وزعماء الأحزاب السياسية وكل الطوائف ذات التأثير في الثورة.

يعتبر الشيخ الجيزاوي أول من شرح كاب (الخبيصي) في المنطق وتدريسه مراراً، وكذلك كتاب (القطب على الشمسية) في قواعد المنطق، وكتاب ابن الحاجب في أصول الفقه وغير ذلك.

أما جهوده في إصلاح نظم التعليم في الأزهر فكثيرة، منها إنه قسم

مراحل التعليم العام في الأزهر إلى ثلاث مراحل: المرحلة الابتدائية، الإعدادية، المرحلة الثانوية، ثم المرحلة الجامعية، وجعل كل مرحلة من هذه المراحل أربع سنوات، ثم أنشأ قسم التخصص في الدراسات العليا، وجعله ست تخصصات: التفسير والحديث - الفقه والأصول - النحو والصرف - البلاغة والأدب - التوحيد والمنطق- التاريخ والأخلاق.

كما كون لجنة لإصلاح الأزهر عام ١٩٢٥م على أن ينظر للمرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية أنها مرحلة ثقافة دينية عامة تدرس فيها العلوم الحديثة إلى جانب العلوم الدينية، حيث يدرس التاريخ والجغرافيا والرياضة والفلك والتربية الصحية إلى جانب العلوم الدينية.

وأن على وزارة المعارف أن تفتح مدارسها لاستقبال خريجي الأزهر ليدرسوا بها، حيث صدر: من يحمل الشهادة الابتدائية يستطيع أن يدرس بالمدارس الابتدائية الأولية في الوزارة.

ترك آثاراً علمية عديدة، مثل: الطراز الحديث في فن مصطلح الحديث، تعليقات على شرح العضد في أصول الفقه وغير ذلك.

انتقل إلى رحمة الله تعالى عام ١٣٦٤هـ الموافق ١٩٢٧م، أسكنه الله فسيح جناته.



التاسع والعشرون: الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي

هو الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى محمد عبد المنعم المراغي نسبة إلى مدينة المراغة كانت في عهده تابعة لمديرية جرجا، والآن صارت تابعة لمحافظة سوهاج.

ولد الشيخ المراغي عام ١٨٨٤م فدفعه والده إلى حفظ القرآن الكريم وحفظ بعض المتون الشرعية ثم التحق بالأزهر الشريف، وحضر دروس كبار العلماء في التفسير والتوحيد والبلاغة واللغة العربية، وخلال هذه المرحلة اتصل بالإمام المفتي الشيخ محمد عبده وتأثر بمنهجه في التجديد والإصلاح، مما كان له أثره الكبير في حياته فيما بعد.

في عام ١٣٢٣هـ تقدم لامتحان العالمية فنالها بتقدير "الدرجة الثانية" وهي نفس الدرجة التي نالها سابقاً الشيخ محمد عبده، وبعد ظهور النتيجة دعاه الشيخ محمد عبده إلى منزله لإشعاره بالتكريم.

طلبت حكومة السودان التي كانت تحكم مشاركة بين مصر وبريطانيا قاضيا فاختار الشيخ محمد عبده الشيخ المراغي، فتعين قاضيا لمديرية دنقلة ١٩٠٤م يقول في ليلة سفري: ذهبت إلى الشيخ محمد عبده أودعه، فسألني: هل معك رفقاء السفر؟ فقلت: نعم، بعض الكتب التي آنس إليها واستديم بها اتصالي بالعلم، فقال: أومعك كتاب الإحياء – إحياء علوم الدين للإمام الغزالي – فقلت: نعم فقال: هذا الكتاب لا يجوز لمسلم أن يسافر سفراً طويلاً دون أن يكون رفيقه، وهذا حق.

يقول المراغي: إذ تجتمع في الغزالي مجموعة من أصحاب المعارف: إذ يجتمع فيه الأصولي الحاذق الماهر، والغزالي الفقيه الحر، والغزالي المتكلم إمام السنة وحامي حماها. والغزالي الاجتماعي الخبير بأحوال العالم وخفيات الضمائر ومكنونات القلوب والغزالي الفيلسوف: الذي ناهض الفلسفة وكشف

عما فيها من زخرف وزيف، والغزالي المربي، والغزالي الصوفي الزاهد، ويمكن أن نقول: هو دائرة معارف عصره.

تقلد المراغي عمله قاضيا في دنقلة ثم نقل قاضيا بالخرطوم، ومع ذلك ظل متصلا بشيخه الإمام محمد عبده، ويتبادل معه الرسائل في الشئون الدينية والوطنية، وحتى بعد وفاة الإمام ظل وفيا لأسرته، وكانت أرملة الشيخ محمد عبده كريمة لا ترد سائلاً مع العلم أن معاشها كان جنيهاً ونصفاً لكن الجمعية الإسلامية كانت تساعدها مما جعلها تستدين مبالغ وصلت إلى ثلثمائة جنيه، فما كان من الشيخ المراغي إلا أن زارها ووضع في يدها خمسمائة جنيه.

في عام ١٩٠٧ اختلف في السودان مع السكرتير القضائي هناك وقدم استقالته وعاد إلى مصر، ومما يذكر أن مرتب القاضي بالسودان آنذاك كان أربعة عشر جنيهاً، ثم منح الشيخ ستة جنيهات زيادة فرفض قبولها فقال له السكرتير القضائي ومنصبه هناك يشبه – منصب وزير العدل –إني لأعجب لقاض شرعي يرفض ستة جنيهات علاوة في الشهر، فرد عليه الشيخ المراغي: إن عجبي مثل عجبك من أن القاضي الإنجليزي يتناول خمسين جنيهاً بينما تستكثرون عشرين جنيهاً على القاضي المصري.

وقدم استقالته وعاد إلى مصر فعين مفتشاً للدروس الدينية بوزارة الأوقاف ومع ذلك عاد إلى التدريس بالأزهر مع وظيفة التفتيش.

ثم عاد إلى السودان مرة أخرى عام ١٩٠٨م ولكنه لم يعد قاضيا، بل عاد قاضيا للقضاة، يعني المسئول الأول عن كل القضاة في السودان من حيث التعيين، ثم مراجعاً للقضايا التي تصدر هناك من القضاة، مع تعليم القضاة وإرشادهم وتحديد المذهب الذي يحكمون به، مع انتداب الأساتذة من الأزهر ومن دار العلوم لرفع مستوى القضاة.

ويلاحظ أن هذا المنصب جاء بناء على طلب سلاطين باشا وكيل

الحكومة السودانية بمصر.

وقد أصر الشيخ المراغي أن يكون تعيينه بمرسوم من خديوي مصر، وليس من حاكم السودان الإنجليزي وكان له ما أراد.

كان الإنجليز وضعوا أيديهم على الأوقاف المصرية بالسودان، ولم يكن للمصريين مع كثرتهم هناك بالسودان إلاّ مسجد واحد غير مكتمل، ومعروف أن مصر كانت تحكم السودان مشاركة مع الإنجليز، فقام الشيخ المراغي بجهد كبير في المناقشة مع الحاكم العام الإنجليزي لإعادة هذه الأوقاف، فوافق الحاكم العام على ذلك، باستثناء قطعة أرض مساحتها خمسة أفدنة عليها قصر الحاكم العام فأصر الشيخ على عودتها أيضاً مع تأجيرها للحكومة الإنجليزية بمائتين وخمسين جنيها في السنة، وكان له ما أراد.

قامت الثورة عام ١٩١٩م بمصر ضد الإنجليز فأصدر الشيخ نشرة ثائرة عنوانها الاكتتاب لمنكوبي الثورة بمصر، وطلب من المصريين هناك التبرع لإخوانهم بمصر فقام السودانيون بالتبرع أيضاً مع إخوانهم المصريين فثارت ثائرة الإنجليز وقالوا إن الشيخ المراغي أشعل الثورة في السودان، فقال: إني لا أستطيع أن أكبت مشاعر السودانيين نحو إخوانهم المصريين.

ثم إني حولت التيار الدموي إلى تيار مالي وهذا لا يضر الإنجليز في شيء. فقال له الحاكم الإنجليزي: أفعل ما تريد، لقد قلت للإنجليز – هنا وفي لندن – إن الشيخ المراغي لا يمكن مناقشته أو التغلب عليه، ومن الصعب إقناعه.

كان الشيخ المراغي يعتز بكرامته ومنصبه ووطنه، ويبدو هذا جليا حينما أراد الإنجليز تتويج ملكهم (جورج الخامس) إمبراطورا على الهند ورتبت الحكومة في السودان أن يدعي كبار الموظفين إلى انتظار باخرة الملك في مرفأ السودان على أن لا يصعد إلى الباخرة إلا الحاكم العام، أما بقية

الموظفين فيكفيهم أن يمروا على الشاطئ بحذاء الباخرة، لكن أصر الشيخ المراغي على أن يصعد إلى الباخرة، وفشلت كل محاولات إقناعه وأخيراً وافق الإنجليز، وعدلت المراسم في بريطانيا والسودان لأجل تنفيذ إرادة الشيخ المراغي بالصعود إلى الباخرة.

لما اشتدت الثورة بمصر قاد مظاهرة كبيرة لتأييد رجال الثورة بمصر وعلى رأسهم سعد زغلول باعتبارهم وكلاء الأمة، فثار الإنجليز عليه واقترح بعضهم اعتقاله ونفيه، واقترح آخرون سجنه لكن السكرتير القضائي رأي في ذلك خطراً ورأي منحه أجازة عاجلة غير محددة.

وبهذا عاد إلى مصر نهائياً وانتهى عمله بالسودان، الذي امتد هذه المرة من ١٩٠٨م إلى ١٩١٩م.

بعد عودة الشيخ المراغي من السودان تولى مجموعة من المناصب في سنوات متوالية، حيث عين رئيساً للتفتيش الشرعي بوزارة الحقانية – العدل – ثم رئيساً لمحكمة مصر الكلية الشرعية، ثم عضوا بالمحكمة العليا الشرعية، ثم رئيساً للمحكمة العليا الشرعية كل هذه المناصب تولاها ما بين ١٩١٩م إلى ١٩٢٨.

أصدر عام ١٩٢٠ قانون الأحوال الشخصية حيث أدخل عدة تعديلات للتيسير على المتقاضين.

تعرض الشيخ المراغي لمحنة عاتية حين كان رئيساً للمحكمة الشرعية العليا، حيث طلب منه الحكم لصالح فرد معين مقابل الحصول على مكافأة مالية ضخمة، فرفض في شمم وإباء، فعمل أصحاب القضية على منعه من النظر في القضية فاستأجروا من يقتله، فتربص له المجرم وألقى عليه ماء النار ولطف الله به حيث أصابت النار عنقه وأجزاء من جسمه ولم تقتله.

وتم القبض على المجرم وعلى من حرضه فحكم على المتهمين الثلاثة

بالسجن أربع سنوات وألفي جنيه غرامة، ولكن المتهم الأول بذل جهوداً جبارة، واستخدم فيها الشريف وغير الشريف من الوسائل وعرف الشيخ المراغي ذلك ولكن لم يبلّغ بذلك رافضاً الشكوى ضد القضاة، ونجحت هذه المساعي وأعيدت المحاكمة فخفضت مدة الحبس إلى سنة ونصف والغرامة إلى ألف جنيه فقط، فدفعه إلى أسرة المحامي الذي ترافع له؛ لأنه كان قد توفي بعد مرافعته في القضية.

في عام ١٩٢٨م عين الشيخ المراغي شيخاً للأزهر، فأقبل بعزيمة قوية على النهوض بالأزهر وقدم عدة مقترحات في هذا الشأن لكنه وجد مقاومة شديدة حالت بينه وبين تحقيق أهدافه في الإصلاح فاستقال من المشيخة عام ١٩٢٩م أي بعد عام واحد فقط.

ثار عدد كبير من الأساتذة والطلاب وتمت مجموعة من الإضرابات احتجاجاً على استقالة الشيخ المراغي استمرت خمس سنوات مما اضطر المسئولين بالدولة إلى إعادته ثانية للمشيخة فصدر القرار بتعيينه مرة أخرى شيخاً للأزهر عام ١٩٣٥م فاستأنف جهوده في المطالبة بالإصلاح وكان من بين جهوده للإصلاح أن جعل مراحل التعليم في الأزهر في أربع مراحل.

المرحلة الابتدائية: هي أربع سنوات وتدرس فيها العلوم الدينية والعربية والتاريخ والجغرافيا والصحة.

المرحلة الثانوية: ومدتها خمس سنوات وتدرس فيها العلوم الدينية والعربية على نطاق واسع في المنطق والكيمياء.

المرحلة العالية: ومدتها أربع سنوات وتقسم إلى كلية للغة العربية، وأخرى للشريعة وأخرى لأصول الدين.

مرحلة التخصص ومدتها سنتان: وفيها تدرس لوائح المحاكم والأوقاف والمجالس الحسبية والتوثيقات.

ثم تليها مرحلة أخرى للحصول على شهادة العالمية من درجة أستاذ في الفقه والأصول.

كما وضع لأصول الدين تخصص يناسب المواد التي تدرس، وكذلك وضع للغة العربية التخصص الذي يناسب المواد التي تدرس في كلية اللغة العربية.

وبإيجاز: هذا النظام الذي وضعه الإمام المراغي هو النظام الموجود الآن بالأزهر ما عدا التوسعات التي طرأت في السنوات الأخيرة.

بدأ الشيخ في مشيخته الثانية ١٩٣٥هـ بتكوين لجنة من كبار العلماء من أحد عشراً عضواً من المذاهب المختلفة تتولى الإجابة على الفتاوى التي تصل إليها من العالم الإسلامي.

أنشأ في مشيخته الأولى عام ١٩٢٨هـ قسماً للوعظ والإرشاد وألف لجنة من كبار العلماء لاختيار أعضائه.

كان الشيخ سليم البشري سنة ١٩١١م قد أنشأ هيئة كبار العلماء، وتتكون من ثلاثين عضواً من صفوة العلماء ليتفرغ كل منهم لإلقاء محاضرات علمية بحسب تخصصه في فروع الشريعة المختلفة.

ولما جاء الإمام المراغي غير اسمها إلى "جماعة كبار العلماء" واشترط زيادة على ما سبق أن يكون العضو قد أسهم في الثقافة الدينية وأن يقدم رسالة علمية تتسم بالجدة والابتكار.

أنشأ قبيل وفاته عام ١٩٤٥م مراقبة خاصة للبحوث والثقافة الإسلامية تختص بالنشر والترجمة والعلاقات الإسلامية والبعوث العلمية والدعاة.

في عام ١٩٣٦م انتهز فرصة انعقاد المؤتمر العالمي للأديان في لندن فأرسل رسالة عنوانها: "الزمالة الإنسانية" دعا فيها للتعاون بين الأديان لمقاومة الإلحاد ألقاها بالنيابة عنه الشيخ عبد العزيز المراغي، ولقد لقيت

استحساناً عظيماً، حتى أن المؤتمر اتخذ قرارا بانتخاب الشيخ محمد مصطفى المراغي رئيساً فخريا للمؤتمر.

دعا إلى ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات العالمية ليستضيء العالم بأنوار القرآن الكريم، وبعد مناقشة مطولة صدرت الفتوى بجواز الترجمة، وصدر قرار بذلك من مجلس الوزراء.

ونظراً لمكانة الأزهر في العالم الإسلامي اتجه التفكير إلى إنشاء منصب عالمي باسم (شيخ الإسلام) كما هو الحال في رئاسات الأديان الأخرى، ويكون من حقه الإشراف على الأزهر واختيار شيخه إلى جانب صلته بالعالم الإسلامي.

كان الإمام المراغي صديقاً حميماً للمرحوم محمد محمود باشا زعيم حزب الأحرار الدستوريين وبهذا جعل نفسه هدفاً لحزب الوفد، وهو حزب الأغلبية ورئيسها المرحوم مصطفى النحاس باشا وكان رئيساً للدولة، ورفع التماساً من العلماء إلى الملك يطلبون فيه تنحية الشيخ المراغي من مشيخة الأزهر وأرسل معه خطاباً يؤيد فيه هذا الطلب، ولكن الملك لم يستجب كراهية في حزب الوفد الذي كان مفروضاً عليه من الإنجليز.

لما طلق الملك فاروق زوجته الأولى أراد إصدار فتوى من الشيخ المراغي تمنعها من الزواج بعده ولكن الشيخ المراغي أبى، وكان الشيخ مريضاً بمستشفى المواساة، وذهب إليه الملك في المستشفى بنفسه، ورفض الشيخ ذلك وقال بصوت عال، الطلاق لا أرضاه، وإني لا أملك أن أحرم ما أحل الله.

من أهم مؤلفاته:

- الأولياء والمحجورون نال بها عضوية هيئة كبار العلماء.

- تفسير جزء تبارك.
- رسالة الزمالة الإنسانية التي أرسلها إلى مؤتمر الأديان.
- بحث في ترجمة القرآن الكريم.
- وتوفي في ١٩٤٥م. رحمه الله رحمة واسعة.

* * *

الثلاثون: الإمام الأكبر الشيخ محمد الأحمدي الظواهري

هو الإمام الأكبر الشيخ محمد الأحمدي الظواهري وهو ابن الشيخ إبراهيم بن إبراهيم الظواهري ولقد بقرية كفر الظواهري من محافظة الشرقية سنة ١٢٩٤هـ ١٨٨٧م، وتنحدر أسرة الظواهري إلى قبيلة النفيعات نسبة إلى نافع بن ثوران من قبيلة طئ، وكان جدهم يعيش فوق جبل أبي قبيس المقابل للبيت الحرام وكان يغلب عليه النسك والعبادة، ثم رحل إلى مصر وتناسلت منه ذريته.

كان والده الشيخ إبراهيم الظواهري من علماء الأزهر المتصوفين، وكان جده كذلك متصوفاً مرموقاً أذيع عنه: أنه شاهد ليلة القدر، فدعا الله تعالى فيها، أن يغفر له ولذريته، وكل من أكل طعامه فاستجاب الله دعاءه، وانتشر هذا الخبر فتهافت الناس على بيته يطلب كل منهم رغيفاً أو كسرة من خبز لينال المغفرة.

نشأ الشيخ محمد الأحمدي في هذا البيت الصوفي وتشرب منه التصوف وروحه ونزعته في زيارة الأولياء، وقبور الصالحين، وكان محباً للإمام محمد عبده الذي كان يخالف والده ويفر منه بالرغم من زمالتهما في الأزهر، فحاول أن يجمع بين المسلكين ويتوسط بين التيارين؛ التيار المغرق في التصوف، والتيار الإصلاحي العقلاني الذي يقوده الإمام محمد عبده، فقد كان معجباً بأسلوبه في الكتابة والبحث والتدريس مؤمناً بأسلوبه في إصلاح الأزهر، وله جانب في التصوف، لكن مع تغليب الجانب العقلاني.

كان الشيخ الأحمدي يزور الإمام الشافعي مع والده لا لمجرد كونه إماماً من أئمة الفقه الكبار، ولكن لكونه من أولياء الله تعالى، وفي إحدى زياراته للإمام الشافعي قبل الامتحان بيوم واحد، كانت نفسه ممتلئة بالرهبة لأن رئيس

لجنة الامتحان الإمام محمد عبده وهو شديد النفور من الوالد، كما كانت مناقشاته علمية عميقة، فقرأت عند الإمام الشافعي هذه الآيات ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (١)، وما انتهيت من قراءتي حتى شعرت بوالدي بجواري يقول وهو ملتفت إلي، اقرأ الفاتحة معنا للإمام ليسأل الله أن ينجحك في الامتحان غداً فقرأتها معه، ثم خطر ببالي في هذه اللحظة خاطرة لم تخطر على بالي من قبل، وهي أنه لو كان الإمام الشافعي ولياً حقاً ومحبوباً من الله حقاً، فعليه أن يريني إشارة تدل على ما سيكون عليه امتحاني في الغد أهو نجاح أو رسوب.

ولم تمض علي هذه الفكرة خمس دقائق حتى دخل إلى القبة التي كنا جلوسا فيها رجل مجذوب ينادي بصوت عال ويقول: فين الأحمدي، خذ يا واد يا أحمدي، خذ نفحة الإمام، وأعطاني في يدي قطعة من ذات خمسة مليمات ثم قال: توكل على الله، وانصرف دون أن يسلم على أحد، فاستبشرت أنا ووالدي خيراً وأيقنت في نفسي أن هذه حقيقة إشارة من الإمام.

دخلت الامتحان في اليوم التالي، ونجحت في الامتحان بالدرجة الأولى، وأطراني الشيخ محمد عبده رئيس اللجنة إطراء كثيراً وكان لنجاحي بهذه الدرجة، صدى كبيراً في الأزهر حتى قال البعض: "لا بد أن يكون الأحمدي قد رزقه الله علماً لدنيا".

لكن مع ذلك وسط الرعب الذي كنت أعيش فيه قبيل الامتحان، لم أكن التمس الفرح لهذه النفس أو الانشراح لهذا الصدر إلا من جهة واحدة، هي الجهة التي تسيطر على كل ما في الصدور وكل ما في النفوس وهي جهة الله العزيز المتعال واهب الخير ومسهل الأمر وملقي المعرفة، وملهم الصواب.

---

(١) طه: ٢٥- ٢٨.

كان الشيخ الأحمدي الظواهري يمشي في خطين متوازيين كما عرفنا من قبل، فهو متأثر بمنهج والده المتصوف المغرق في الصوفية، وبين منهج شيخه الإمام محمد عبده العالم العقلاني الذي يريد الإصلاح في الأزهر.

لذلك كانت صوفيته تغاير صوفية والده، فقد اتخذ من التصوف وسيلة للدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، ولمقاومة البدع والخرافات، فهو يقول: "لعل قراءتي لكتاب (حكم ابن عطاء الله) – وهو من أهم كتب التصوف – قد أزكت في نفسي نزعة التعلق الروحي بالذات الصمدانية.

فحاولت أن ابتعد عن الصورة المشوهة التي يظهر بها أدعياء التصوف، بل إن الواجب أن يكون الفقهاء هم الصوفية، والصوفية هم الفقهاء، وأن يكون العلماء هم رجال العمل والإرشاد، وبدأت أجاهد في هذا السبيل.

لما أنشئ المعهد العالي بطنطا رُشح للعمل به الشيخ الأحمدي بعد حصوله على درجة العالمية للتدريس في هذا المعهد بالرغم من صغر سنه، وأقبل الطلاب على حلقته في التدريس، كما كان يجاهد في سبيل تنقية التصوف مما لحق به، وكان على الطريقة الشاذلية، لذلك اتسع نشاط هذه الطريقة في طنطا فبعد أن كانت لها أربع زوايا صار لها عشر زوايا، واهتدى كثير على يديه، وتركوا الخمر والميسر وأقبلوا على الطاعات، كما استطاع أن يقضي على كثير من الخصومات والعداوات بين العائلات.

بالرغم من جهاد الشيخ محمد عبده في سبيل الإصلاح لكن لم ليستطيع أن يقطع فيه مرحلة كبيرة، بسبب النفور بين الخديوي وبين الشيخ محمد عبده، ويؤيده الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد، في هذا الجو ألف الشيخ الأحمدي كتابه: الذي دعا فيه إلى الإصلاح، كما وصف فيه حالة الجمود الذي يلتزم به بعض الشيوخ في وجهة نظره، وسماه (العلم والعلماء) ١٩٠٤م ولكن الخديوي كان ينفر منه، وإن كان رئيس النظار أثنى عليه،

وقال له: لا تهتم بذلك فالحاكم الفعلي لمصر هو (اللورد كرومر).

أصدر الشيخ عبد الرحمن الشربيني شيخ الأزهر قراراً بإحراق هذا الكتاب، وهدده بالعزل من منصبه إذا تلكأ في التنفيذ، وذهب إلى منزله في طنطا فوجد خمسين نسخة من الكتاب فأحرقها في فناء المنزل.

توفى والده عام ١٩٠٧م وكان شيخاً للمعهد العالي بطنطا، فطلب الشيخ الأحمدي أن يتولى هذا المنصب حتى يستطيع أن ينفذ عددا من الإصلاحات، ولكن الخديوي رفض، بحجة صغر سنه، وأن هذا المنصب لا بد أن يتولاه رجل مسن، لكن لا بأس أن يكون وكيلاً له فرفض الوكالة، ولكن عين شيخاً للمعهد الديني بطنطا عام ١٩١٤م فحاول أن يقوم بمجوعة من الإصلاحات في المناهج وطرق التدريس وغير ذلك من أوجه الإصلاح.

بعد أن عين الشيخ الأحمدي شيخاً لمعهد طنطا الديني قام بمجموعة من الإصلاحات من أهمها:

أ- أنشأ جمعية سماها جمعية التوحيد، من طلبة المعهد، وطلب منهم دراسة الشبهات الإلحادية والرد عليها.

ب- كان يستدعي كبار الباحثين من غير الأزهر لإلقاء محاضرات بين الطلبة في الاكتشافات والعلم الحديث.

ج- أنشأ جمعية للخطابة لتكون وسيلة للوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله تعالى.

د- أنشأ جمعية متن اللغة لدراسة فقه اللغة وأساليبها البلاغية.

هـ- أنشأ جمعية الرياضة البدنية لتشجيع الألعاب الرياضية، كما أنشأ فرقة لكرة القدم.

و- أنشأ لجنة لإرشاد الزائرين لضريح السيد أحمد البدوي، إلى مراعاة آداب الزيارة، وترك ما أعتاده الناس من تقاليد غير مألوفة، وغير ذلك من

الجمعيات والأنشطة المتنوعة في مختلف شئون الحياة.

لما تولى السلطان حسين الحكم اتصل به الشيخ وتوثقت الصلات بينهما، وكانت الحكومة قد منحت الموظفين علاوة غلاء مقدارها عشرون في المائة، وضنت بها على علماء الأزهر بالرغم من ضآلة مرتباتهم ونجح في منحهم هذه العلاوة.

تولى الملك فؤاد الحكم في هذه الأثناء، وحصل تباعد بينه وبين الشيخ نتيجة لبعض الدسائس فألغى القسم العالي بطنطا، إنقاصاً لأهميته وأهمية شيخه الأحمدي، ثم صدر القرار بنقله شيخاً لمعهد أسيوط الديني في المرحلة الإعدادية وذلك ليحولوا بين الشيخ وبين المناصب العليا.

فنفذ قرار النقل إلى أسيوط، ولم يكد يستقر في منزله بأسيوط حتى هرع إليه وجوه المدينة يرحبون بمقدمه، فاقترح عليهم إنشاء معهد كبير يليق بمدينة أسيوط، وأنشأ جمعية للمحافظة على القرآن الكريم، فاستجابوا له.

لما أعلن عن إلغاء الخلافة في تركيا، فتألف مؤتمر كبير في القاهرة للنظر في شأن الخلافة التي كان يتطلع إليها الملك فؤاد، ولكن حدثت خلافات كبيرة بين أعضاء المؤتمر فاستطاع الشيخ الأحمدي بلباقته أن ينهي المؤتمر حرصاً على وحدة العالم الإسلامي.

في عام ١٩٣٦ بعد استيلاء الملك عبد العزيز على مكة المكرمة دعا إلى مؤتمر كبير وكان الشيخ الظواهري هو رئيس هذا المؤتمر، وقد استطاع بلباقته، أن يشجع السعودية على الحرية المذهبية بدلاً من سيطرة المذهب الوهابي بحيث يؤدي المسلمون شعائرهم وفقاً لمذاهبهم الإسلامية، كما استطاع أن يستصدر قراراً بوحدة مصر والسودان، وان هذا مكسباً وطنيا، حتى قال وزير الخارجية عبد الخالق ثروت باشاً: لم أكن أعلم أن الأزهر يخرج سفراء في السياسة.

عين الشيخ الأحمدي الظواهري شيخاً للأزهـر بعـد اسـتقالة الإمـام المراغي، وذلك في عام ١٣٤٨هـ ١٩٢٩م وكان قد أعلن منهجه الإصـلاحي من قبل في كتابه (العلم والعلماء) الذي كان له صدى طيبـاً فـي الأوسـاط الاجتماعية، وقد وصفه مستشرق كبير في دائرة المعارف الإسلامية، فقـال: "إن روح الإخلاص والصفاء التي تظهر في هذا الكتاب لتعد نادرة حتى بيننا نحن المسيحيين فما بالك بالإسلام الذي دب فيه الجمود، وهو يدعو في هـذا الكتاب إلى الأخذ عن الأوربيين والآسيويين من الصين واليابان وغيرهما، مما يكون له أثره الطيب على المجتمع المسلم، كما اشتمل الكتاب علـى تطهيـر الإسلام من الخزعبلات والعوائق.

بعد أن تقلد الشيخ الأحمدي مشيخة الأزهر عام ١٩٢٩م أصدر قانونـاً برقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠م وخلاصة هذا القانون ما يلي:

إنشاء كلية للشريعة لتخريج علماء يتولون الإفتاء، والقضاء الـشرعي، والمحاماة، وتوثيق عقود الزواج والطلاق، وإنشاء كلية لأصول الدين لتخريج مدرس الدين في الأزهر والمعاهد الدينية.

أنشأ أقسام التخصص في الدعوة والإرشاد، أو التخصص في التدريس، أو التخصص في القضاء الشرعي، كما أنشأ قسماً لتخصص المـادة، وذلـك لتخريج مدرسين بالكليات.

تم تحديد مدة التدريس في الابتدائي بأربع سنوات والذي سمى الإعدادي فيما بعد.

ومدة التدريس في الثانوي بخمس سنوات، كما حددت لكل منهما المواد التي تدرس في كل قسم.

وكانت المعاهد الثانوية خمس معاهد بالقاهرة والإسكندرية والزقـازيق وأسيوط وطنطا.

نص القانون الجديد على تأليف هيئة تشريفية لها حق النظر في اللوائح والقوانين وتسمى (مجلس الأزهر الأعلى) وهو مؤلف من شيخ الأزهر ووكيله ورئيس المعاهد الدينية ومفتي الديار المصرية ومشايخ الكليات الثلاثة ووكيل وزارة العدل، ووكيل الأوقاف ووكيل وزارة المعارف، ووكيل وزارة المالية واثنان من هيئة كبار العلماء يعينان بأمر ملكي واثنان آخران يحتاج إليهما لمصلحة التعليم بالأزهر.

وقد تمت الموافقة على هذا القانون ونفذ سنة ١٩٣١م وظل هذا القانون سارياً حتى عام ١٩٦١م حيث جاء التطور وأدخلت الكليات العلمية في الأزهر.

أما أقسام التخصص فقد وافق عليها عام ١٩٣٣م كما يلي:

١- التخصص في القضاء الشرعي، ويختار طلابه من كلية الشريعة.
٢- التخصص في الوعظ والإرشاد ويختار طلابه من خريجي كلية أصول الدين.
٣- التخصص في التدريس ويختار طلابه من خريجي كلية اللغة العربية والشريعة وأصول الدين.
٤- أما تخصص المادة ففيه أقسام للفقه، وأصول الفقه والحديث والتفسير والتوحيد والفلسفة والمنطق والأخلاق والتاريخ والنحو والصرف والبلاغة والأدب العربي.

لم يستطع الإمام الظواهري تحقيق كل ما يريد من الإصلاح لأسباب سياسية فواجهه الطلاب والعلماء بالعداء، وزاد الطين بلة أن العالم كان يمر بأزمة اقتصادية وكانت لها آثارها الشديدة على مصر، فلم يجد خريجو الجامعات وظائف وأغلقت الأبواب في وجه خريجي الأزهر، حتى قبل كثيرا منهم العمل بأقل من جنيهين في الشهر، وعمل بعضهم بدون مرتب ليحفظ

لنفسه أسبقية حق التعيين حين تواتيه الظروف.

الظروف كانت قاسية مما اضطره إلى فصل سبعين عالماً بدلاً من مائتين كانت الحكومة تطلب فصلهم وجابهه العلماء بالعداء السافر واشتعلت هذه الثورة مما اضطره إلى فصل عدد كبير من الطلاب كما أن التيارات الحزبية والسياسية نجحت في إحاطته بجو خانق من العداء مما اضطره إلى تقديم استقالته من المشيخة في إبريل ١٩٣٥م وعين بدلا منه الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخاً للأزهر للمرة الثانية.

لقد ترك الإمام الظواهري المشيخة لكنه خلف آثاراً هامة بقي كثير منها بعد رحيله، ومنها:

أ- النظام الدراسي من ابتدائي وثانوي وكليات والتي ظلت الدراسة بها حتى عام ١٩٦١م حين جاء دخول الكليات العملية جامعة الأزهر.

ب- أصدر مجلة باسم نور الإسلام، ثم تغير اسمها إلى مجلة الأزهر، وهي لا زالت تصدر حتى الآن، وكان الهدف منها: أن تحمل حقائق الدين على وجهها الصحيح. وكان من منهجها: ألا تهاجم أحداً، وألا تتعرض لرجال الأديان بمكروه من القول، وألا تمس السياسة في شأن من الشئون، مع عملها على نشر آداب الإسلام وتكشف البدع التي ألصقت بالدين، مع نشر القيم العلمية سواء كانت علمية أو أدبية.

ت- قام بإيفاد بعثات من العلماء للدعوة إلى الإسلام ونشر مبادئه في الخارج، فقد أوفد بعثة إلى الصين، كما أوفد بعثة أخرى إلى الحبشة.

ث- أدخل في الأزهر علوماً حديثة لم يكن للأزهر عهد بها من قبله كدراسة اللغات الأجنبية من شرقية وغربية، والاقتصاد السياسي، والقانون الدولي الخاص وأصول القوانين، وعلم النفس.

تميز فضيلة الإمام الظواهري بمجموعة من السمات الأخلاقية، من بينها:

أ- صلابته فيما يعتقده حقاً، وكان صارماً ضد أعدائه، وألاَّ يهادن أحداً في الحق.

ب- كان مع شدته متواضعاً زاهداً في الدنيا، كان لا يرضى أن يلقب بالإمام الأكبر، ويقول: ما أنا إلا واحد من المشايخ، وما أنا إلا عبد الله محمد الأحمدي، وما أعد نفسي إلا خادماً للأزهر وأبنائه.

ت- كان الملك فؤاد يثق فيه ثقة مطلقة، وكان يستدعيه من طنطا ليستشيره في كثير من الشئون الدينية والمدنية ومع ذلك ظل متواضعاً زاهداً لم يتملكه الغرور.

ث- كان من عادة المبتدئين عقب التخرج والحصول على الدرجة العلمية أن يدرسوا النحو لعدة سنوات قبل تدريسهم للعلوم الأخرى، لكن الإمام الظواهري شرع بعد عام واحد من تخرجه في تدريس المنطق، ثم تدريس جمع الجوامع في أصول الفقه للإمام السبكي مع صعوبته، وكان لا يدرسه إلا عالم بعد عشر سنين من ابتداء مهنة التدريس.

من أهم مؤلفاته:

١- كتاب "العلم والعلماء" وضع فيه منهجه للإصلاح، وقد تحمل بسببه متاعب كثيرة مما حمل الشيخ الشربيني إلى إحراقه.

٢- رسالة الأخلاق الكبرى.

٣- السياسة والأزهر.

وغير ذلك من المؤلفات النافعة التي استفاد بها المسلمون بعد وفاته.

رحمه الله رحمة واسعة.

* * *

الحادي والثلاثون: الإمام الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق

هو الإمام الأكبر الشيخ مصطفى بن حسن بن أحمد بن محمد بن عبد الرازق، ولد في قرية أبو جرج، بمحافظة المنيا، عام ١٨٨٥م تقريباً، وبعد حفظه للقرآن الكريم أرسله والده إلى الأزهر الشريف، وعنده عشر سنوات فنمت مواهبته الأدبية واللغوية والشعرية.

كانت أسرته عريقة في الجاه والعلم والثراء، حيث كان جده عبد الرازق قاضياً على مدينة البهنسا القديمة، ذات التاريخ العريق في التاريخ الفرعوني، والتاريخ المسيحي، والتاريخ الإسلامي، كما كان أبوه عميداً لأسرته وتعلم في الأزهر وعاد إلى قريته لرعاية أسرته، وقد انتخب نائباً عن مديرية المنيا في مجلس النواب، وكان هو الذي يقرأ خطبة الخديوي التي يفتتح بها جلسات المجلس السنوية، ولما دخل مجلس الشورى عام ١٨٨٤م الذي حل محل مجلس النواب تم انتخابه أيضاً عن مديرية المنيا، كما اشترك مع الإمام محمد عبده في إنشاء الجمعية الخيرية الإسلامية، ثم اشترك مع عدد من الزعماء في إنشاء حزب سياسي باسم حزب الأمة وهو حزب معتدل يدعو إلى الإصلاح في رفق وأناة، كما كانت والدته من آل الشريعي، الشهيرة بسمالوط وهي شريفة من جهة أمها.

تأثر الطالب عبد الرازق بأسلوب الشيخ محمد عبده صديق والده، وتوثقت العلاقات بينهما وقد مدحه بعدد من القصائد الشعرية، ومنها قصيدته حين عاد من أوربا والتي جاء فيها:

أقبلْ عليك تحية وسلام	يا ساهراً والمسلمون نيام
أن يُقدروا في الغرب قدرك حقه	فلمصرَ أولى منهم والشامُ
فيك الرجاء، لامة لعبت بما	يُلهي الصغار وجدت الأيام

وكان مولعاً بكتب الشيخ محمد عبده، وإن لم يحصل نسخة من كتاب من كتبه فإنه ينسخه بيده، كما كان شغوفاً برسالته في التوحيد، حتى ترجمها إلى الفرنسية كما جمع تراث شيخ الإمام محمد عبده، وهو جمال الدين الأفغاني.

اشترك مع عدد من الشباب النابهين من الأزهريين وألفـوا (الجمعيـة الأزهرية) وانتخبوا الشيخ مصطفى عبد الرازق رئيساً لهـا، وكانـت تهـتم بالبحث في إصلاح الأزهر.

في عام ١٩٠٨م تقدم الشيخ مصطفى عبد الرازق لامتحـان العالميـة ونجح في ذلك الامتحان بتفوق، ونال الشهادة العالمية من الدرجة الأولى التي لا يحصل عليها إلا أهل النبوغ من العلماء.

اتجه الشيخ مصطفى عبد الرازق إلى فرنسا لدراسة اللغة الفرنسية عام ١٩٠٩م وحضر دروس كبار علوم الاجتماع في فرنسا، وهناك أعد رسـالة الدكتوراه عن الإمام الشافعي، ثم عاد إلى مصر وعين عضواً بمجلس الأزهر الأعلى، ثم سكرتيراً للمجلس الأعلى للأزهر والمعاهد الدينيـة عـام ١٩١٦هـ ومن ذلك التاريخ صار بيته ندوة للأدباء والعلماء والمفكرين.

كان الشيخ مصطفى عبد الرازق مثقفاً ثقافة عالية متنوعة في الكثير من مجالات المعرفة ففي سنة ١٩١٧م أنشأ رجل سـويدي اسـمه (برونـردر) الموظف بصندوق الدين في مصر أنشأ ما سماه (جامعة الشعب) وضم إليهـا كبار المثقفين في مصر لإلقاء محاضرات علمية في شتى المجالات وضم إليها الشيخ مصطفى عبد الرازق فلقيت محاضراته رواجاً كبيراً.

بعد الحرب العالمية الأولى ألف سعد زغلول حزب الوفد، وفاز بتأييـد شعبي عام، وألف جماعة آخرون "الحزب الديمقراطي" الذي سمى فيما بعـد بـ "الأحرار الدستوريين" فانضم إليه الشيخ مصطفى عبد الرازق.

في عام ١٩٢٧م عين أستاذاً مساعداً في الجامعة المصرية، ولما خلا كرسي أستاذ الفلسفة بالجامعة عين الشيخ مصطفى عبد الرازق في ذلك المنصب ١٩٣٥م كما نال رتبة البكوية عام ١٩٣٧م، كما تم اختياره وزيراً للأوقاف في الوزارة التي ألفها محمد محمود عام ١٩٣٨م، وظل وزيراً للأوقاف في كل الوزارات التالية حتى عام ١٩٤٥م.

وفي هذه المرحلة عين عضواً بمجمع اللغة العربية عام ١٩٤٠، كما نال رتبة الباشوية عام ١٩٤٤م، وظل وفياً لزيه الأزهري طوال حياته وفي كل المواقع التي شغلها.

في عام ١٩٤٥م عرضت الدولة تعيينه شيخاً للأزهر، لكن كبار العلماء عارضوا ذلك بحجة أن شيخ الأزهر ينبغي أن يكون عضوا بهيئة كبار العلماء، ولم يكن الشيخ مصطفى عبد الرازق عضوا بهذه الهيئة، كما أنه لم يتول المناصب القضائية أو التدريس بجامعة الأزهر، ولم يعترفوا بأستاذيته بالجامعة المصرية.

فحلت الدولة هذه المعضلة بإصدار قانون يقضي بأن يكون التدريس في الجامعة المصرية مساوياً للتدريس في الكليات الأزهرية في الترشيح لمشيخة الأزهر فأذعن معظم العلماء لذلك، إلا قليلاً منهم ظلوا يؤلبون عليه بعض القوى، وخصوصاً حزب الوفد الذي كان في ذلك الوقت مناوئاً للحكومة.

وأخيراً تم تعيينه شيخاً للأزهر عام ١٩٤٥م ولكن أعداءه واتتهم الفرصة الذهبية لمناهضته فقد حدث عقب ولايته لمشيخة الأزهر أن نشرت جريدة "ليموند الفرنسية" حديثاً نسبته إليه ذكر فيه أن فرنسا أحرزت مكاناً ممتازاً في نشر الثقافة بين المسلمين ورجا ألا تتخلى عن خطتها لتحتفظ بالحب الذي يكنه لها العالم الإسلامي، فهبت الصحف في مصر والعالم العربي إلى نقده وتزييف رأيه في مدح فرنسا، ثم زادت الطين بلة بأن أهدته

فرنسا (وسام جوقة الشرف من رتبة الصليب الأكبر) فازدادت الحملة عليه اشتعالاً لقبوله لهذا الوسام وما يحمله من المعنى الذي لم يعترف به القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [1].

قبل أن يمضي عام كامل على تولي الشيخ مصطفى عبد الرازق مشيخة الأزهر كلف برئاسة بعثة الحج إلى بيت الله الحرام عام ١٩٤٦م وبعد عودته استأنف جهده في بحث وسائل الإصلاح بالأزهر، لكنه في يوم عاد إلى بيته وقد شعر بإعياء شديد وتوفى بإثر ذلك بعد أن قضى عامين في المشيخة.

قال عنه الشيخ عبد الحليم محمود: الشيخ مصطفى عبد الرازق عالم فيلسوف حيي كريم، فتح مكتبته الغنية بشتى الكتب لكل طالب علم مُجد.

اهتم بدراسة المنطق وتدريسه كما اهتم بأصول الفقه، حتى أنه قال: إن منطق المسلمين هو أصول الفقه.

كانت لدى الشيخ موهبة أدبية عظيمة كانت تظهر من خلال مقالاته في جريدة (السياسة الأسبوعية) كما أن ثقافته الحديثة لم تحل بينه وبين أزهريته في جميع مراحل حياته، كما لا يمكن إغفال سماحته وعطفه على المحتاجين من طلاب العلم وغيرهم.

كان ينتمي إلى الأحرار الدستوريين، ولكن حين نفي سعد زغلول زعيم حزب الوفد المناوئ لحزب الأحرار الدستوريين، ذهب الشيخ مصطفى عبد الرازق إلى بيت سعد زغلول حيث توجد زوجته وترك بطاقته هناك لتتصل به حين تكون في حاجة ما، ولكن الوزير في حزبه استشاط غضباً حين علم بهذه الزيارة، وفصله عن عمله، إذ كان مفتشاً في الوزارة وذلك قبل تعيينه شيخاً للأزهر، لكن رئيس الوزراء ثروت باشا عاتب الوزير على ذلك وأعاده

---

(١) النساء: ١٥٧.

إلى عمله، إذ لا دخل للمجاملات في السياسة.

كان الشيخ علي عبد الرازق أخا للشيخ مصطفى، وكان قاضياً بإحدى المحاكم ولكن صدر له كتاب باسم (الإسلام وأصول الحكم) نفي فيه تنظيم الإسلام لنظام الحكم، وقامت الدنيا ولم تقعد في ذلك الحين، وعقد له مجلس تأديب في الأزهر وفصل من عمله وصودر الكتاب.

ولكن جمعتني ظروف العمل مع الشيخ مسلم، الذي عين فيما بعد رئيساً للجنة الفتوى بالأزهر، أنه التقى بالشيخ علي عبد الرازق وأكد له أنه لم يكتب حرفاً واحداً في ذلك الكتاب، ولكن الذي كتبه الدكتور/ طه حسين ووضع اسمه عليه، ونظراً للصداقة الحميمة التي كانت تربط بينهما، لم يشر إلى ذلك أثناء مجلس التأديب أو بعده، لذلك آثرت ذكر تلك الواقعة لتبرئة ساحة تلك الأسرة العريقة في الدين والعلم والأخلاق. غفر الله لهم جميعاً.

من أهم الكتب التي خلفها الشيخ مصطفى عبد الرازق ونشرت:

- التمهيد لتاريخ الفلسفة.
- الدين والوحي في الإسلام.
- الإمام الشافعي.
- الإمام محمد عبده.
- مذكرات مسافر، وغير ذلك من المؤلفات القيمة التي لم يطبع الكثير منها، رحمه الله رحمة واسعة.



الثاني والثلاثون: الإمام الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوي

هو الإمام الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوي، الذي ولد في عام ١٨٧٨م بالسنبلاوين بالدقهلية، أتم القرآن الكريم وعنده اثنا عشر عامًا وذلك بقريته الزرقا، ثم جاء إلى الأزهر وبعد أن قضى بعضا من الوقت لم يسترح إلى كثرة المواد التي تدرس به والوقت الطويل الذي يقضيه الطالب في التحصيل فترك الأزهر وعاد إلى قريته، وكان والده رجلا صالحاً، فأخبره بأنه رأى رؤيا تدل على أنه سيكون له ولدان عالمان، أحدهما أخوه الأكبر الشيخ سيد الشناوي، وسيكون هو الثاني إن شاء الله تعالى.

عاد فاستأنف الدراسة بجد واجتهاد ومثابرة، حتى نال إعجاب شيوخه، كما كان موضع إعجاب الشيخين الكبيرين: الإمام محمد عبده، و الإمام أبو الفضل الجيزاوي، ونال رعايتهما.

اتهم الشاب محمد مأمون الشناوي بأنه شاعر وكانت تلك التهمة كفيلة بفصله من الأزهر، كما اتهم بأنه ينقد شيوخه بالأزهر، وكانت هذه تهمة خطيرة، لكن رعاية الشيخين الكبيرين له كان لها أثرها في عدم المساس به.

تقدم لنيل درجة العالمية وكانت برئاسة الإمام أبو الفضل الجيزاوي، لكن معظم اللجنة كانوا ممن يأخذون عليه هاتين التهمتين، فحصلت له شدة وإجهاد قبل الامتحان فذهب لأحد العلماء الأتقياء ليستفتيه في أمره، فبشره بأنه سيكون: عالماً فاضلا، فقاضيا عادلاً، فإماماً نبيلاً، فرئيساً جليلاً، فشيخاً كبيراً، وقد تحققت نبوءة هذا الشيخ بتوالي الأيام، وكأنه كان يقرأ في كتاب ودخل الامتحان وحصل على العالمية عام ١٩٠٦م.

عين بعد تخرجه مدرساً بمعهد الإسكندرية الديني ١٩١٧م، ثم اختير قاضياً شرعياً وإماماً للسرايا الملكية.

في عام ١٩٣٠م صدر قانون تنظيم الأزهر والمعاهد الأزهرية في عهد

الشيخ الظواهري وأنشئت الكليات الأزهرية الثلاث: كلية الشريعة واختير شيخاً لها، الشيخ محمد مأمون الشناوي، وكلية أصول الدين واختير شيخاً لها الشيخ عبد المجيد سليم، وكلية اللغة العربية واختير شيخاً لها الشيخ إبراهيم حمروش.

في عام ١٩٣٤م نال الشيخ مأمون الشناوي عضوية هيئة كبار العلماء، وفي سنة ١٩٤٤م عين وكيلاً للأزهر كما تولى منصب رئاسة لجنة الفتوى بالأزهر.

في عام ١٩٤٥م توفى شيخ الأزهر الإمام محمد مصطفى المراغي، فاتجهت الأنظار إلى الشيوخ الثلاثة: الشيخ مأمون الشناوي والشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ إبراهيم حمروش، لكن الملك تخطاهم جميعاً وعزم على تعيين شيخ جليل من خارج الأزهر، هو الشيخ مصطفى عبد الرازق، لكنه فوجئ بأنه ليس عضواً بهيئة كبار العلماء، وهو شرط أساسي فطلب الملك تعديل قانون الهيئة ليكون عضواً بها حتى يحق له أن يتولى المشيخة، ولكن هؤلاء العلماء وقفوا في سبيل تعديل القانون فأرغموا على تقديم استقالاتهم جميعاً فقدموها في ١١ ديسمبر عام ١٩٤٥م.

بعد أن أرغم العلماء الثلاثة الشيخ مأمون الشناوي والشيخ حمروش والشيخ عبد المجيد سليم على تقديم استقالاتهم، عين الشيخ عبد الرحمن حسن وكيلاً للأزهر، وحينئذ استطاعت الحكومة تعديل قانون الأزهر وتم تعيين الدكتور مصطفى عبد الرازق شيخاً للأزهر عام ١٩٤٥م.

لم يكن اعتراض شيوخ الأزهر على تعيين الدكتور مصطفى عبد الرازق لنقص في شخصيته فقد كان شخصية عظيمة لها وزنها لدى الجميع، ولكن كان الاعتراض على تعديل القانون الخاص بالأزهر والتدخل في شئونه.

وحينئذ نشر الشيوخ الثلاثة بياناً على الأمة وضحوا فيه انتهاك الحكومة

لكرامة الأزهر ومخالفتها لقانونه، وتهديد رئيس الديوان للمفتى الأكبر.

توفى الدكتور مصطفى عبد الرازق بعد عامين من مشيخته للأزهر، فلم تجد الحكومة بدا من تعيين الشيخ محمد مأمون الشناوي شيخاً للأزهر عام ١٩٤٨م.

وتلقت الأمة بكل طوائفها هذا الخبر بالسعادة والسرور، وقد نشط الإمام الجديد في مطالبة الحكومة برفع ميزانية الأزهر فاستجابت له ووصلت ميزانية الأزهر في عهده إلى مليون جنيه مصري.

اجتهد الشيخ في إرسال البعوث إلى الكثير من الدول للدعوة للالتزام بأحكام الشريعة، كما أرسل بعثة إلى بريطانيا لإجادة اللغة الإنجليزية لتساعد هذه البعوث على الدعوة إلى الله باللغة التي يتعاملون بها، كما أنشأ عدداً من العاهد الدينية، فأنشئت في عهده خمسة معاهد كبيرة وهي معاهد: المنصورة والمنيا وسمنود ومنوف وجرجا، كما نجح في جعل دراسة الدين الإسلامي إجبارية في وزارة المعارف، كما فتح أبواب الوزارة لخريجي الأزهر للتدريس بها كما نجح في مساعيه لإلغاء البغاء الرسمي الذي كان وصمة عار في جبين الأمة.

دهمه المرض بعد سنتين من مشيخته وحاول جاهداً أداء واجبه بالرغم من شدة مرضه إلى أن توفي في عام ١٩٥٠م، وشيعته الأمة في جنازة شعبية عظيمة إلى مثواه الأخيرة.

كان رحمه الله كريم الخلق، كما كانت لديه نزعة شعرية عفيفة، كما كانت لديه نزعة صوفية سامية فكان لسانه دائماً رطبا بذكر الله، وكان بيته بالحلمية مورد علم وفضل وجود تتزاحم عليه الوفود.

حاولت الدولة أن تضمه إلى حزب الاتحاد فأبى إباء شديداً لأن الحزبية تؤدي إلى التفرق والعصبية في الأمة، وفي عام ١٩٣٠م استبدل بجزء من

معاشه قطعة أرض زراعية هي التي خرج بها من الدنيا.

ولم يترك من المؤلفات إلا مجموعة مقالات جمعها الشيخ عبد المنعم خفاجي بعنوان "الإسلام ومبادئه الخالدة" وبحثا قد نال به عضوية هيئة كبار العلماء.

رحمه الله رحمة واسعة بقدر ما قدم من جهود في خدمة إسلامه وأزهره وأمته. آمين.



الثالث والثلاثون: الإمام الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم

هو الإمام الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم الذي تولى مشيخة الأزهر لمدة عامين من ١٩٥٠م إلى ١٩٥٢م فعاصر آخر أيام الملكية وبداية ثورة عام ١٩٥٢م وترك بصمة ظاهرة على كلا النظامين.

ولد الإمام الشيخ عبد المجيد سليم في قرية (ميت شهالة) وهي الآن من أحياء مدينة الشهداء منوفية، عام ١٨٨٢م والتحق بالأزهر، وكان شغوفاً بفنون العلوم متطلعاً إلى استيعاب جميع المعارف، بما في ذلك تعمقه في دراسة الفلسفة، حتى اشتهر بين زملائه من الطلبة باسم (ابن سينا) الفيلسوف العربي المشهور.

كان ينتقى كبار العلماء الذي يحضر عليهم فكان منهم الإمام محمد عبده، حيث تلقى عليه دروس البلاغة ودلائل الإعجاز للجرجاني، وتفسير جزء من القرآن الكريم، وجزء من دروس المنطق والفلسفة.

كما درس على الشيخ حسن الطويل أساليب فنون الجدل والقياس، كما درس على الشيخ أحمد أبي خطوة الفقه، وكان أبو خطوة بحراً زاخراً في معرفة التفصيلات الفقهية والفتاوى الدينية وقد تأثر به الشيخ عبد المجيد سليم، حيث ظل عشرين عاماً في الإفتاء دون أن يتقيد بمذهب معين.

حصل على شهادة العالمية عام ١٩٠٨م وشغل بعدها وظيفة التدريس بالمعاهد الدينية، مع التدريس بمدرسة القضاء الشرعي لمادتي الفقه وأصول الفقه كما تولى القضاء جامعاً بينه وبين الإفتاء كما كان مشرفاً على الدراسات العليا.

كان له دوره مع الشيخين الشناوي وحمروش في معارضة الحكومة في تعديل قانون الأزهر بقصد تعيين الدكتور مصطفى عبد الرازق شيخاً للأزهر، وقد هدده رئيس الديوان الملكي وأنذره بغضب الملك عليه، وما سيتعرض له

بسبب هذا الغضب الملكي عليه، فرد عليه الشيخ "هل تستطيعون الحيلولة بيني وبين المسجد فقال له: لا، فأجابه بمقولته المشهورة: "إنني ما دمت أتردد بين بيتي وبين المسجد فلا خطر علي" وقدم استقالته مع الشيخين السابقين عام ١٩٤٥م.

في عام ١٩٥٠م خلا منصب المشيخة بوفاة الإمام الشيخ محمد مأمون الشناوي، فصدر القرار بتعيينه شيخاً للأزهر ١٩٥٠م، ولما ضغطت الحكومة ميزانية الأزهر، غضب الشيخ عبد المجيد وقال عبارته المشهورة "قصدٌ هنا وإسراف هناك" يقصد التوسع في الإنفاق على الجامعات والتقتير على الأزهر، لكن الأعداء فسروا قوله بالإسراف فيما كان ينفقه الملك فاروق في كابري بإيطاليا التي كانت مصيفاً له، وبسبب ذلك أعفى الشيخ عبد المجيد من منصبه في مشيخة الأزهر في شهر سبتمبر عام ١٩٥١م لكن بعد أن تأكد الملك من حسن نيته أعيد للمشيخة مرة أخرى في فبراير عام ١٩٥٢م، ولكنه استقال في شهر سبتمبر من نفس العام ١٩٥٢م فقد حاول الأستاذ فتحي رضوان الوزير المشرف على الأزهر في عهد الثورة أن يقنعه بسحب استقالته ولكنه أصر عليها ورفض العودة إلى منصب المشيخة.

كان الإمام الشيخ عبد المجيد سليم ذا موهبة تشريعية قائمة على العلم العميق بآراء كبار الفقهاء، ولما تألفت لجنة تشريعية لإصلاح قوانين الأحوال الشخصية برئاسة الشيخ المراغي وعضوية الشيخ عبد المجيد سليم، وشيوخ المذاهب بالأزهر، وأساتذة الأزهر وأساتذة الشريعة بكليات الحقوق ورئيس المحكمة الشرعية العليا، ووكيلي وزارة العدل والمعارف، هذه اللجنة انتفعت انتفاعاً عظيماً بآراء الشيخ عبد المجيد سليم، يقول عنه رئيس محكمة الاستئناف الأستاذ محمد محمود "لقد كان المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم في هذه اللجنة النجم الساطع والحركة الدائبة، حيث يعرض آراء المذاهب ذاكراً

رأي الأئمة والمجتهدين والفقهاء، وهو في هذا كله كالبحر المتدفق".

كان قوياً في آرائه مدعماً رأيه بالأدلة القاطعة، والبراهين القوية، نعم كان متأثراً بشيخه الإمام محمد عبده، لكنه كان يزيد عليه تدعيم رأيه بالأدلة القوية التي لا يجد السامع بداً من الخضوع لها.

فمثلاً كان الإمام محمد عبده أصدر فتوى بجواز لبس البرنيطة، فقامت الدنيا وجاء الهجوم على الفتوى من كل مكان، وبعد سنين عرضت هذه القضية مرة أخرى فقام الشيخ عبد المجيد سليم بدراستها مستحضراً الأدلة ذاكراً أقوال العلماء ثم أصدر الفتوى بجواز لبس البرنيطة فلم يعترض عليه أحد.

كان منهجه في الإصلاح يتلخص في كلمته التي وجهها إلى الطلاب سنة ١٩٥٠م قال فيها: "إن مهمة الأزهر تشمل تعليم أبناء الأمة الإسلامية دينهم ولغة كتابهم تعليماً قوياً مثمراً، يجعلهم حملة الشريعة، وأئمة الدين واللغة حراساً على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتراث السلف الصالح.

كانت خطواته للإصلاح تتلخص فيما يلي:

١- مراجعة الكتب الدراسية وإبقاء الصالح منها.
٢- تشجيع حركة التأليف والتجديد عن طريق الجوائز العلمية وغيرها.
٣- إعداد جيل قوي من أبناء الأزهر يستطيع أن يحمل الرسالة.
٤- تشجيع حركة البعوث العلمية التي ترسل إلى أوربا لتتزود من شتى الثقافات.
٥- تنظيم جامعة الأزهر تنظيما يتفق مع خطر رسالتها وذلك بإنشاء المكتبة الكبرى بها.

أما خطواته للإصلاح الديني فتتلخص فيما يلي:

١- العمل على نشر الثقافة الإسلامية.

٢- العناية بإصلاح حال الأسرة.
٣- تشجيع البعوث الإسلامية الوافدة إلى الأزهر.
٤- ربط الأزهر بالجامعات الإسلامية.
٥- إنشاء مراكز ثقافية للأزهر في الحواضر الإسلامية.

يقول الإمام الأكبر المرحوم الشيخ محمود شلتوت في حديث له عن جماعة التقريب وأثر الشيخ عبد المجيد سليم الذي كان وقتها شيخاً للأزهر في الستينات من القرن الماضي: "كنت أود لو أستطيع أن أبرز صورة كصورة الرجل السمح الزكي القلب، العف اللسان، رجل العلم والخلق، المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق أو صورة الرجل المؤمن القوي الضليع في مختلف علوم الإسلام المحيط بمذاهب الفقه أصولاً وفروعا الذي كان يمثل الطود الشامخ في ثباته، والذي أفاد منه التقريب، في فترة ترسيخ مبادئه أكبر الفائدة المغفور له أستاذنا الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم رضي الله عنه وأرضاه.

هذه الجماعة وهي جماعة التقريب بين المذاهب الفقهية: والتي قامت أساساً على التقريب بين السنة والشيعة الإمامية في الستينات من القرن الماضي، وذلك لإزالة الجفوة وردم الهوة بين الفريقين خصوصاً وأن الإسلام يدعو إلى الوحدة وعدم الاختلاف ما دام الجميع يؤمن بإله واحد ويتمسك بكتاب واحد وهو القرآن الكريم، ويؤمن برسول واحد وهو سيدنا محمد ﷺ.

وكان من أهم الشخصيات التي اشتركت في إقامة هذه الجماعة من مصر هم:

الشيخ محمد مصطفى المراغي، والشيخ مصطفى عبد الرازق، ولكن كان اشتراكهما بالتأييد العلمي والدعم المعنوي فقط دون اشتراك لهما في الاجتماعات لظروف خاصة بهما.

أما الاشتراك الفعلي في العضوية فكان الشيخ عبد المجيد سليم والشيخ محمود شلتوت، والشيخ علي الخفيف،والشيخ عبد العزيز عيسى، والشيخ محمد المدني، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ سيد سابق،وغيرهم.

وكان من الجانب الشيعي الإيراني: السيد محمد تقي الدين القمي، والسيد/ محمد الحسيني آل كاشف الغطاء، والسيد/ شرف الدين الموسوي، والسيد/ محمد جواد مغنية، والسيد/ صدر الدين شرف الدين وغيرهم، وكان رئيس الجماعة الزعيم المصلح: محمد علي علوبة باشا.

وكان يقدم العون والمساعدة في إقامة هذه الجماعة هو السيد/ محمد أنور السادات، قبل أن يكون رئيساً لمجلس الشعب ونائباً لرئيس الجمهورية، ثم رئيساً للجمهورية فيما بعد، فقدم يده بسخاء لهذه الجماعة وأعانها على إصدار مجلتها "رسالة الإسلام " كما قام بدعوة عدد من كبار علماء الشيعة بإيران وبالغ في إكرامهم والحفاوة بهم والتعاون معهم على إزالة العقبات التي كانت تحول بين التقاء الشيعة والسنة، في مجال الأحكام الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة واعتراف كل من الفريقين بما عند الآخر.

لكن كان الشيخ عبد المجيد سليم هو فرس السباق في هذه الجماعة حيث أسهم فيها بكل طاقاته المادية والروحية، ودعا إلى تأييدها بقلمه ولسانه؛ حتى قيل كان الشيخ عبد المجيد سليم لسان هذه الجماعة المبين وقلمها البليغ ورائدها الممتاز.

في أول العام الهجري ١٣٧٠هـ وجه الإمام الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم كلمة إلى طلاب الأزهر جاء فيها: "نصيحتي لكم أن تعلموا أنكم مجندون في سبيل الله، فأقبلوا على دراساتكم وتحلوا بالفضيلة بينكم وبين الناس، لتحقيق آمال أمتكم فيكم، وإعلاء كلمة الدين والعلم بكم، فإذا شعر كل أزهري أنه جندي مكلف برسالة عالمية عظمى، أدرك قيمة المسئولية، وواجب الجندي

في ميدان الجهاد، وأدرك إلى هذا أن وسيلته لأداء رسالته تقوم على دعامتين:

أولاهما: سعة العلم.

والثانية: حسن الخلق، فإذا أدى رسالته حق الأداء، حقق أمل أمته الإسلامية وأرضى ربه، ونال حسن الثواب في آخرته.

في مقال للشيخ عبد المجيد سليم صور فيه ضعف ثقة المسلمين بأنفسهم ومغالاتهم في تقديس الغربيين ومغالاتهم في قوتهم، يقول: من أهم ما يحرص عليه القادة في الجيوش أن تكون روح- الجنود قوية عالية، وأن يدرعوا عن أنفسهم روح الوهن التي من شأنها أن تزلزل القلوب قال تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]، فالقرآن ينهانا عن أسباب الانهيار والهزيمة فهل حافظ المسلمون على هذه المنزلة وحرصوا أن يكونوا في العالم هم الأمة الواثقة بنفسها المطمئنة إلى أن الله وعدها وعد الحق يؤسفني أن اقرر أن الأمر صار إلى العكس فأصبحنا نرى المسلمين قد وهنت عزائمهم وانحطت قواهم المعنوية".

إن كل إصلاح لا يقوم على أساس تقوية الروح الديني في الأمة لا بقاء له ولا خير فيه، نريد الأخذ العلمي بالشريعة، عن ثقة وإيمان لا أن نكتفي بما نص عليه الدستور، من أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام، ثم نكون في أكثر أحوالنا وأفعالنا وتشريعاتنا وأخلاقنا على خلاف ما يأمر به الإسلام أو ينهى عنه الإسلام ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[2].

الشيخ يذم التعصب للفكر أيا كان دليله، ومهما كانت قوته سواء كان هذا

---

(١) آل عمران: ١٣٩.

(٢) الحديد: ١٦.

الفكر للإصلاح أو كان لإمام مذهب معين، نعم التعصب يكون محموداً إذا قام على فكر سليم ودليل قوي وحجة واضحة، أما التعصب بدون ذلك فهو مذموم ففي الحديث الشريف: "ليسِ منّا من دَعا إلى عصبيّةٍ، وليس مِنا من قاتل على عَصبيّةٍ، وليس منا من مات على عصبيّة"(١).

فعلى كل صاحب فكر أن يوضح فكره ويجلي دليله ويظهر جوانب القوة فيه ولا يبالغ فيه، ويستمر في ذلك إلى النهاية، فقد جاء الخبر الصحيح: "أن المجتهد إذا أصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر واحد"، يعني في كلا الحالين فهو مأجور ما دام كان مخلصاً في فكره وليس صاحب غرض شخصي يريد الوصول إليه.

كان الشيخ عبد المجيد سليم يكره السياسة الحزبية ويعتبرها سبباً من أسباب البلاء للبلاد والعباد وهذا الموقف جعله في حالة خلاف في الرأي مع كبار الشيوخ في عصره، وخصوصاً مع الإمام محمد مصطفى المراغي، ومع الإمام الدكتور مصطفى عبد الرازق، وكان فضيلته يتولى الإفتاء في مصر طوال تلك الفترة.

لقد كتب الشيخ عبد المجيد سليم بعد وفاة الشيخ المراغي في صحيفة الأهرام: "رحم الله الشيخ المراغي وأحسن إليه لقد كان عظيماً حقاً وكان ذا فطرة سليمة صافية يمدها ذكاء شديد واستعداد طيب، لقد كنت أنا والشيخ المراغي صديقين حميمين، ولكننا اختلفنا وسببه الجوهري: ميله رحمه الله إلى ناحية السياسة الحزبية، وشدة نفوري من ذلك، حيث أرى الخير أن يتجنب العلماء السياسة الحزبية ومكائدها ومتاعبها التي تفضي إلى ما لا يحمد من العواقب".

---

(١) سنن أبي داود، باب في العصبية (٧/ ٤٤١).

وكذلك الحال مع الإمام مصطفى عبد الرازق فمع تقديره وحبه له، ولكنه يختلف معه بسبب تعديل قانون الأزهر له وأن الشيخ مصطفى كان منغمسا في السياسة الحزبية هو وأسرته، وهو يكره السياسة، وينصح أهل العلم بالبعد عن السياسة.

هذا الموقف جعل الشيخ عبد المجيد سليم يتعرض لمواقف في غاية الصعوبة لأن رجال السياسة هم في نفس الوقت هم رجال الحكم، ومن هذه المواقف:

تلقى الشيخ عبد المجيد سليم سؤالاً عن حكم الشرع في رجل يراقص النساء ويشرب الخمر في الحفلات، وكان المقصود بهذه الفتوى ما يجري في قصور الأمراء والأميرات ويحضرها الملك، وعرف الشيخ المقصود بهذه الفتوى، ومع ذلك أصدر الفتوى بحرمة ذلك مما أثار الدوائر الرسمية والسياسية، واتصل الملك بالإمام المراغي الذي كان شيخاً للأزهر وطلب منه أن يطلع على كل فتوى يُصدرها المفتي الشيخ عبد المجيد سليم منذ الآن، قبل السماح بنشرها.

كذلك وقف الشيخ عبد المجيد سليم ضد الملك في رغبته في تعديل قانون الأزهر لتعيين الدكتور مصطفى عبد الرازق شيخاً للأزهر، مما جعل رجال الحاشية يحذرونه من اتخاذ هذا الموقف، ولكنه لم يأبه بذلك، وقال لهم: أهل هذا الموقف يحول بيني وبين دخول المسجد للصلاة، قالوا: لا، قال: إذن لا بأس.

ومن هذه المواقف عبارته الشهيرة "تقتير هنا وتبذير هنا" وقد حملت هذه العبارة إلى الملك الذي كان وقتها في كابري في إيطاليا وسط ألوان اللهو والخلاعة والمجون، مما جعل الدولة تدفعه لترك مشيخة الأزهر قبل أن يكمل عامه الثاني فيها، ولما قيل للملك أنه لم يقصد جلالتكم وإنما قصد الإنفاق ببذخ

على جامعة القاهرة مع التقتير الشديد على الأزهر، أعيد للمشيخة مرة أخرى ولكنه تركها بعد ستة أشهر من إعادته إليها.

ومن مواقفه النبيلة: أن مصلحة الترام أهدته تصريحين لركوب الترام مجاناً هو وتابعه فرفض استعمال تصريحه، وأمر تابعه ألا يركب هو أيضاً بتصريحه، فلما علم أن تابعه ركب به مرة واحدة، ذهب بنفسه إلى مصلحة الترام ودفع ثمن تذكرة تابعه.

انتقل إلى رحاب ربه في عشرة صفر ١٣٧٤هـ الموافق ٧ أكتوبر ١٩٥٤م.

رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة.

* * *

الرابع والثلاثون: الإمام الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش

هو الإمام الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش الذي كان أحد أعمدة الأزهر الشريف خلال عقود الأربعينات والخمسينات والستينات من القرن الماضي أي القرن العشرين الميلادي.

ولد الشيخ إبراهيم حمروش سنة ١٢٩٧هـ الموافق ١٨٨٠م في قرية الخوالد التابعة لمركز إيتاي البارود، من أعمال محافظة البحيرة، وبعد حفظه للقرآن الكريم في سن الثانية عشرة من عمره أرسله والده إلى الجامع الأزهر الشريف وكانت وصية والده التقى له حين ودعه: "أن يلتزم أداء الصلاة لأوائل وقتها، لأن التسويف قد يكون وسيلة للتمهل، ثم التهاون، ثم الإهمال، وقد التزم الشيخ إبراهيم حمروش بهذه الوصية طوال حياته، فكان لا يسمع الأذان حتى يقوم لأداء الصلاة".

أتاح الله تعالى له شيوخاً أجلاء، حيث درس الفقه الحنفي على الشيخ أبي خطوة، والشيخ محمد بخيت ودرس النحو على الشيخ علي الصالحي المالكي، ودرس أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز على الإمام محمد عبده، كما تأثر به في دعوته لإصلاح الأزهر، وكانت للشيخ حمروش موهبة عظيمة في العلوم الرياضية، فلما أعلنت الدولة عن مكافآت مالية لمن يفوز في امتحانات الرياضة، فاز الشيخ في هذه الامتحانات غير مرة.

تقدم الشيخ لامتحان الشهادة العالمية مع صغر سنه بالنسبة لأقرانه عام ١٩٠٦م ١٣٢٤هـ وكان الامتحان في مقدمة أصول الفقه في كتاب (جمع الجوامع) وكان الشيخ إبراهيم حمروش درس الكتاب كله، وكانت المفاجئة أن الشيخ الشربيني الذي كان شيخاً للأزهر، جعل الامتحان في كل الكتاب فأحجم معظم الطلاب فسمح للمجموعة التالية بالتقدم وكان من بينهم الشيخ إبراهيم حمروش فنجح بالدرجة الأولى عن جدارة واستحقاق ولم يقض في اللجنة

أكثر من ثلاث ساعات بينما كان الطلاب يقضون سحابة النهار أمام اللجنة.

عين الشيخ حمروش مدرساً بالأزهر عام ١٩٠٦م ثم اختير مدرساً في مدرسة القضاء الشرعي ١٩٠٨م ثم عين قاضيا شرعياً، حيث تحرى العدالة وقد أغضب الملك فؤاد حين قضى في قضية أغضب فيها الملك فؤاد فعزل، فأعيد للأزهر، وعين شيخاً لمعهد أسيوط الديني ١٩٢٨م ثم شيخاً لمعهد الزقازيق ١٩٢٩م وعند إنشاء الكليات عين شيخاً لكلية اللغة العربية ١٩٣١م ثم شيخاً لكلية الشريعة عام ١٩٤٤، وكان في سنة ١٩٣٢م عين مفتيا للديار المصرية مع احتفاظه بعمادة كلية اللغة العربية.

في عام ١٩٣٤م نال عضوية هيئة كبار العلماء برسالته (عوامل نمو اللغة) وبذلك مُنح كسوة التشريفة من الدرجة الأولى سنة ١٩٣٦م، وكان عضواً بمجمع اللغة العربية منذ إنشائه، قال عنه الأستاذ زكي المهندس النائب عن رئيس المجمع "عاصر الفقيد المجمع منذ إنشائه وكانت له مواقف تشهد له بالإطلاع الواسع والعلم الغزير والرأي الأصيل، فما من كلمة لغوية عرضت للمجمع إلا كان للفقيد الكريم الرد الحاسم الفاصل".

لقد كان أعز أمانيه أن يتمكن من مواصلة البحث والدرس مع تقدم سنه فقلت له: "أما يكفي علمك الواسع في مدى هذه الحياة الطويلة فقال: يا زكي بالعكس، لقد بدأت أن أتعلم، فقد قال أبو عمرو بن العلاء حين سئل: متى يحسن بالمرء أن يتعلم؟ قال: ما دامت الحياة تحسن.

كان الإمام الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش يعتز برأيه، ولا يحرص على ما يهتم به غيره من جاه أو مال أو منصب، وقد أشرنا من قبل إلى استقالته مع كبار شيوخ الأزهر حين تدخلت الدولة لتغيير قانون الأزهر، ووجه معهم بياناً إلى الأمة باعتبارها مصدر السلطات بهذا الاعتداء على قانون الأزهر.

لم يكن الشيخ يحب المشاركة في الأمور السياسية، لكن في الأمور

الوطنية كان يتقدم الصفوف في جرأة بالغة وشجاعة نادرة متحدياً كل السلطات القائمة.

في الثاني من شهر سبتمبر ١٩٥١م صدر القرار بتعيينه شيخاً للأزهر، فكان أول عمل قام به أن وجه عنايته إلى إنهاء الخلاف حول ميزانية الأزهر فقد تمسك بزيادة الميزانية وإعادة الدرجات التي حذفت منها.

كانت البلاد في تلك الفترة تمر في مرحلة حرجة قاسية حيث اشتد ضغط الإنجليز عليها فتقدم الشيخ إبراهيم حمروش لأداء واجبه الوطني، فدعا إلى توحيد الصفوف وأصدر بيانا حماسياً يدعو فيه الأمة إلى الوحدة، وإلى الجهاد في سبيل السيادة والحرية والاستقلال.

حينما اعتدى الإنجليز على الإسماعيلية وحاصروا مقر البوليس وقتلوا عشرات الجنود من رجال الأمن أشتد غضب الأمة، وأصدر الشيخ إبراهيم حمروش بيانا باسم علماء الأزهر وطلابه ضد الإنجليز، وناشد الضمير العالمي أن يثور على هذا الوضع المهين لكرامة الإنسان، وأنذر الإنجليز بأن الشعب لن يسكت بعد اليوم على ضيم يراد به، ولم يفرط في حق من حقوقه، وحينئذ اشتد غضب الإنجليز فضغطوا على الملك، فأعفاه من منصبه في التاسع من شهر فبراير ١٩٥٢م أي بعد توليه لهذا المنصب بخمسة أشهر.

لقد كتبت جريدة المصري، فقد توقعت الجريدة للملك بعد إقالته للشيخ إبراهيم حمروش ومن قبله الشيخ عبد المجيد سليم مصيراً سيئاً للملك بسبب تجرئه على مقام شيوخ الأزهر وعمد إلى إخراجهم بطريق الإقالة، الأمر الذي لم تحدث له سابقة في عهد الأزهر ولا في تاريخ الإسلام، وحسبه الآن ما يلقي.

لقد أبّنه فضيلة الشيخ محمد علي النجار عضو مجمع اللغة العربية فذكر جهده الكبير في قيادته لكلية اللغة العربية وقد كان يحرص على المرور بحجر

الدراسة في اليوم غير مرة، ثم ذكر جهده كذلك في قيادته لكلية الشريعة،وجهده في هيئة كبار العلماء كما ذكر أثره البارز في مجمع اللغة العربية الذي دخله عام ١٩٣٤م وظل عضوا فيه حتى وفاته، وكان له جهده العظيم في إرساء قواعده، ووضع نظام لجانه وإسهامه في تعريف كثير من الألفاظ.

من مؤلفاته:

١- عوامل نمو اللغة.

٢- الدراسات العديدة التي نشرتها مجلة المجمع.

٣- المقالات الكثيرة التي نشرتها الصحف ويمكن أن تؤلف كتاباً.

رحم الله الإمام الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته جزاء ما قدم لربه ولأمته ولأزهره، إنه قريب مجيب.

* * *

الخامس والثلاثون: الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين

هو الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين الذي ولد بمدينة "قفصة" بالقطر التونسي في عام ١٢٩٣هـ ١٨٧٣م وهو من أسرة كريمة أصلها من الجزائر، وأبوه ينتمي إلى أسرة الأدارسة التي حكمت المغرب مدة طويلة من الزمن، وأمه تنتمي إلى أسرة عريقة فالتدين، والعلم، في تونس وهي أسرة عزوز.

حفظ القرآن الكريم وألم بمبادئ الأدب والعلوم العربية والشرعية وانتقل مع أسرته إلى العاصمة التونسية وهو في الثانية عشرة من عمره، والتحق بجامع الزيتونة ١٣٠٧هـ ١٨٨٩م وأسهم بجهوده في إنشاء مجلة (السعادة العظمى) كما تولى قضاء بنذرت عام ١٣٢٤هـ ١٩٠٥م.

في عام ١٣٢٩هـ وجهت إليه تهمة بث روح العداء للغرب في تونس فسافر إلى الآستانة عاصمة الدولة العثمانية والتي تسمى الآن "اسطنبول"، ثم منها إلى دمشق وأقام بها مدة ثم عاد إلى تونس وظل يتنقل ما بين تونس ودمشق واستنبول وبرلين لتعلم اللغة الألمانية عدة مرات، ثم استقر أخيراً بالقاهرة، عام ١٣٣٩هـ ١٩١٩م، واشتغل بدار الكتب المصرية وألف رضي الله عنه رسالة قيمة بعنوان: "الخيال في الشعر العربي".

في عام ١٣٤٠هـ ١٩٢٠م منح الجنسية المصرية، وتقدم لنيل شهادة العالمية بالأزهر، وحصل على هذه الدرجة وبذلك انضم إلى طليعة علماء الأزهر وفي عام ١٣٤٢هـ ١٩٢٢م أسس جمعية (تعاون جاليات إفريقيا الشمالية) وكان من أعضائها الورتلاني عن المغرب والبشير الإبراهيمي عن الجزائر، وأبو رقيبة عن تونس.

في عام١٣٤٤هـ ١٩٢٢ ظهر كتاب الشيخ علي عبد الرازق بعنوان "الإسلام وأصول الحكم" وكنت أشرت من قبل إلى هذا الكتاب وقد أحدث

ضجة عظيمة في العالم الإسلامي، حيث ادعى أن الإسلام ليس دين حكم، وأنكر دليل قيام الخلافة، وقد انتقد الشيخ محمد الخضر حسين هذا الكتاب انتقادات شديدة وبين ما فيه من أخطاء وأصدر كتابه القيم في الرد عليه بعنوان: "نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم" فنفذت طبعته في شهر واحد لشدة الإقبال عليه، وفي السنة التالية ١٣٤٥هـ ١٩٢٥ ظهر كتاب "في الشعر الجاهلي" للدكتور/ طه حسين فأحدث ضجة أكبر من الكتاب السابق حيث صرح فيه بمخالفته للقرآن حيث قال: "للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ولكن هذا لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي" وكانت مهمة الكتاب إنكار الشعر الجاهلي وأنه منتحل، وكانت هذه فكرة المستشرق "جب" ولكن المستشرق الإنجليزي "تشارلس ليال" ألف كتاباً بالإنجليزية نقض فيه فكرة كتاب الشعر الجاهلي وأثبت بالبراهين وجود الشعر الجاهلي ونشر عدداً من دواوين الشعر الجاهلي، وقام الشيخ محمد الخضر حسين بتأليف كتابه "نقض كتاب في الشعر الجاهلي" ورد الحق إلى نصابه.

في عام ١٣٤٦هـ الموافق ١٩٢٣م قام الشيخ محمد الخضر حسين والأستاذ أحمد تيمور باشا صديقه الحميم مع مجموعة من الفضلاء بتأسيس جمعية "الشبان المسلمين" لنشر التعاليم الإسلامية والدفاع عن القيم الروحية في مصر وفي ربوع العالم الإسلامي، ولا زالت تؤدي رسالتها إلى اليوم.

بعد نجاح جمعية الشبان المسلمين في أداء رسالتها، تفرغ الشيخ محمد الخضر حسين لإنشاء جمعية "الهداية الإسلامية" حيث ضم إليها عددا من شيوخ الأزهر وطلابه، ومن طبقات المثقفين ثقافة مدنية، وأنشأ بها مكتبة كبيرة جعل نواتها مكتبته الخاصة وأنشأ لها مجلة تحمل اسمها ولها فروع في الأقاليم، وكان يلتقي فيها بطلاب المعرفة، فيفيض عليهم من علمه وتوجيهاته

الرشيدة ما يفيدهم في دينهم ودنياهم.

في عام ١٣٤٩هـ الموافق ١٩٢٩م أنشأ الأزهر مجلة "نور الإسلام" وهي المسماة الآن بمجلة الأزهر فتولى الشيخ محمد الخضر حسين رئاستها حتى عام ١٩٣٢م حين استقال من رئاستها، وسبب هذه الاستقالة أنه كانت مناقشات علنية في الصحف مع الأستاذ محمد فريد وجدي وفوجئ بعد ذلك بتعيين الأستاذ وجدي رئيساً لمجلة نور الإسلام، على أن يكون الشيخ محمد الخضر حسين مشرفاً على المجلة فقدم استقالته قائلاً: كيف يتعاون مع رجل كان يرد عليه أفكاره، وقد ألح عليه شيخ الأزهر حينذاك الشيخ الظواهري بالاستمرار فأبى إباء شديداً، مع أن معاشه في ذلك الوقت كان لا يتجاوز خمسة جنيهات ولكنه كان شديد الاعتزاز بكرامته.

بعد ذلك عين الشيخ محمد الخضر حسين مدرساً بكلية أصول الدين، فأفاد طلابه بعلمه الغزير وبحوثه القيمة فكان يقضي نهاره دارساً ومدرساً ويقضي صدر ليله في إلقاء المحاضرات العامة بجمعية الهداية وغيرها، وفي تحرير المقالات والدراسات وقد جمع كثيراً من هذه الدراسات في كتاب سماه "رسائل الإصلاح" طبعه في ثلاثة أجزاء.

حينما تم إنشاء المجمع اللغوي كان في مقدمة من وقع عليهم الاختيار لعضويته، كما تم اختياره عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق.

وكان من أهم أبحاثه التي نشرت في مجلة المجمع:

١- المجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة العربية.
٢- شرح قرارات المجمع والاحتجاج لها.
٣- الاستشهاد بالحديث في اللغة.
٤- وصف جمع العاقل بصيغة فعلاء.
٥- طرق وضع المصطلحات الطبية وتوحيدها في البلاد العربية.

٦- من وثق من علماء العربية ومن طعن فيه.

وقد اشترك في كثير من لجان المجمع والتي منها: لجنة اللهجات، لجنة الآداب والفنون، لجنة دراسة معجم فيشر، وهو مستشرق وضع معجماً لغويا تاريخيا كبيراً فكان يتتبع معاني الألفاظ وتطورها في مختلف العصور ولكنه توفي قبل إتمامه.

رأس تحرير مجلة لواء الإسلام ١٣٦٦هـ ١٩٤٦م وظل يشرف عليها حتى وفاته.

في عام ١٣٧٠هـ ١٩٥٠م نال عضوية هيئة كبار العلماء برسالته "القياس في اللغة العربية".

عرف عن الشيخ محمد الخضر حسين اعتزازه بكرامته والتعامل بذلك مع الجميع مهما كانت مراكزهم الاجتماعية، ومن ذلك زار الحبيب بورقية رئيس الجمهورية التونسية وكانت تجمع بينهما صداقة ومودة أيام الكفاح المشترك فأرسلت إليه السفارة التونسية لزيارة الرئيس التونسي الموجود بالقاهرة فأبي وقال للرسول الذي طلب منه ذلك: ولماذا لا يأتي رئيس الجمهورية لزيارتي؟

وكان الشيخ محمد الخضر حسين أخذ عليه أنه لم يلتزم في حكمه بالتشريع الإسلامي.

قامت الثورة في مصر عام ١٩٥٢م وكانت أهدافها القضاء على الظلم والطغيان ومقاومة الاستعمار لا في مصر وحدها ولكن في العالم العربي كله، وأعلنت شعائر القومية العربية، ومدت يدها إلى جميع حركات التحرر في البلاد العربية، والأفريقية والإسلامية لذلك رأت الثورة أن يتولى قيادة الأزهر مناضل عربي من زعماء المسلمين ومن قادتهم، وانعقد الإجماع على اختيار الشيخ محمد الخضر حسين وفعلا في يوم ١٦ سبتمبر عام ١٩٥٢م خرج من

مجلس الوزراء أثناء انعقاده ثلاثة من الوزراء توجهوا لبيت الشيخ محمد الخضر حسين بشارع خيرت وعرضوا عليه باسم الثورة مشيخة الجامع الأزهر فقبل، وما كان يتوقع أن يلي هذا المنصب في يوم من الأيام حتى أنه قال لبعض خلصائه "لقد سقطت المشيخة في حجري من حيث لا أحتسب".

لقد أعطى الإمام المنصب حقه من الرعاية والتكريم، فكان لا يجامل أحداً على حساب عقيدته ودينه، ويذكر أصدقاؤه أنه استقال من منصبه الكبير عدة مرات، وأصر في آخر مرة على ترك المنصب بسبب توحيد القضاء بدمج القضاء الشرعي في الأهلي لأنه كان من رأيه أن يندمج القضاء الأهلي في القضاء الشرعي وليس العكس، لأن الشريعة الإسلامية ينبغي أن تكون هي المصدر الأساسي للقوانين، فهو رحمه الله لم يكن أسيراً للمنصب في يوم من الأيام، وكثيرا ما كان يقول: يكفيني كوبُ لبن وكسرة خبز وعلى الدنيا بعدها العفاء، وفعلا استقال الشيخ من منصبه في السابع من يناير عام ١٩٥٤م.

تفرغ الشيخ بعد استقالته للكتابة والبحث والمحاضرة حتى لقى ربه راضياً مرضيا في مساء الأحد الثالث عشر من رجب عام ١٣٧٧هـ الموافق الثاني والعشرين من فبراير عام ١٩٥٨م.

وقد مشى في موكب جنازته علماء الأزهر وأعيان الأمة والمنتسبون للعلم، وكانت جنازته ممتدة من باب الخلق إلى الأزهر، ودفن بجوار صديقه أحمد تيمور باشا بوصية منه. رحمه الله رحمة واسعة

شيخ الأزهر الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين الذي كنا عرفنا أن رجال ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قلدوه مشيخة الأزهر وبعد سنة ونصف استقال: حين ألغت الحكومة القضاء الشرعي وأدمجته في القضاء الأهلي المدني وكان يرى أن العكس هو الذي كان يجب أن يحصل بأن يندمج القضاء

الأهلي المدني في القضاء الشرعي.

أثنى عليه علماء عصره بعد وفاته فقال فيه المرحوم الشيخ محمد علي النجار عضو المجمع اللغوي "لقد اجتمع في الشيخ محمد الخضر حسين من الفضائل ما لم يجتمع في غيره إلا نادراً وكان قوي الحجة، حسن الجدال، عف اللسان والقلم.."

أما الدكتور الشيخ عبد الحليم محمود، فقال عنه: "إنه ممن أثر في حياته، وقال عنه "إنه مؤمن صادق الإيمان، مجاهد مناضل في صفوف الوطنيين حتى حكم عليه بالإعدام، وجاء إلى مصر عالماً ثبتاً فقيها لغويا كاتبا من الرعيل الأول، فقد كان عالما تفرغ للعلم لم يشغله عنه شاغل من شواغل الدنيا أو الجاه أو السلطان، وحينما تولى مشيخة الأزهر لم يغير شيئاً من عاداته، كان على استعداد كامل ودائم لأن يعيش على كسرة من الخبز وكوب من اللبن، ولأنه لم يكن له في شهوات المنصب من حظ، فإنه كان دائماً يحتفظ باستقالته في جيبه، ولقد كان يقول: "إن الأزهر أمانة في عنقي أسلمها حين أسلمها موفورة كاملة، وإذا لم يتأت أن يحصل للأزهر مزيد من الازدهار على يدي، فلا أقل من ألا يحصل له نقص، وقد مات رحمه الله ولم يخلف من حطام الدنيا شيئاً، مات وقد قدم لأخراه النصيب الأوفر من حياته، بل كل حياته رضي الله عنه وأرضاه.

وقال عنه صديقه في مرحلة طويلة من عمره حوالي خمسين عاماً هو الأستاذ محب الدين الخطيب، حيث قال فيه "هذا رجل آمن بالإسلام ودعوته وأحب من صدر حياته أن يكون من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1].

---

(١) فصلت: ٣٠.

من عبارات الشيخ الخضر حسين: إن من الناس من يتعاظم كبراً ويسمى تعاظمه عزة، أو يهوى إلى الأقدام ذلة ويسمى ذلك تواضعاً، وقد يحصل العكس كما قال الشاعر:

وفي الناس من عد التواضع ذلة

وعد اعتزاز النفس – من جهله – كبراً

وكذلك المداهنة: أن تصف إنساناً بالعلم وهو جاهل، أو تصفه بالشجاعة وهو جبان، أو تصفه بالعدل وهو ظالم، أو يخطئ في الحكم فتقول له: أصبت الحق، وغير ذلك.

أهم مؤلفاته:

١- رسائل الإصلاح في ثلاث مجلدات، أبرز ما فيها منهجه في الدعوة الإسلامية، والنهوض بالعالم الإسلامي.
٢- الخيال في الشعر العربي.
٣- القياس في اللغة العربية.
٤- ديوان شعر (خواطر الحياة).
٥- نقض كتاب (الإسلام وأصول الحكم).
٦- نقض كتاب (في الشعر الجاهلي).
٧- تعليقات على كتاب الموافقات للشاطبي.
٨- أبحاثه ومقالاته في مجلة الأزهر، ولواء الإسلام، والهداية، وغيرها.

رحمه الله رحمة واسعة.

* * *

السادس والثلاثون: الإمام الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج

ولد الإمام الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج عام ١٨٩٦م بأسيوط ونشأ بها، فحفظ القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره، ثم جوّده وتلقى بعض الروايات في قراءاته على كبار القراء، كما تلقى بعض مبادئ العلوم الدينية والعربية، وانتقلت أسرته إلى الإسكندرية والتحق بالسنة الثانية بمعهد الإسكندرية الديني في ١٩١٠م وكان هذا المعهد على درجة عالية من الإصلاح والتعليم كما ضم عدة من الأساتذة الكبار، وكان المعهد به مرحلتي الإعدادية والثانوية.

تميز الطالب بالنبوغ إذ كان يقرأ الدرس قبل أن يتلقاه من الأساتذة ويناقشهم فيه أثناء الدرس، حتى وثقوا به وبعلمه وكانوا يكلفونه بإلقاء الدرس نيابة عنهم – أمامهم – وكان ترتيبه الأول في معظم سنوات الدراسة وقد نال شهادة الإجازة العالية عام ١٩٢٣م وكان أول الفائزين.

كانت حركة الإصلاح بالأزهر قائمة على قدم وساق حيث تم إلغاء مدرسة القضاء الشرعي وحلّ محلها تخصص القضاء الشرعي حيث التحق به، ونال منه شهادة التخصص عام ١٩٢٦م وأدى فريضة الحج، وتم تعيينه مدرساً بمعهد أسيوط الديني عقب تخرجه، ثم نقل مدرساً بمعهد القاهرة ١٩٣١ وفي عام ١٩٣٣م عين مدرسا بقسم تخصص القضاء في كلية الشريعة، وفي عام ١٩٣٥م عين عضواً بلجنة الفتوى ممثلاً للمذهب الحنفي مع قيامه بعمله في كلية الشريعة.

في عام ١٩٣٦م وقع الاختيار عليه ليكون عضواً في بعثة الأزهر إلى جامعة السوربون بفرنسا وصحب معه أسرته، وكانت مكونه منه وزوجته وثلاثة أطفال، فدرس اللغة الفرنسية وأجادها ثم واصل دراسته الجامعية، وكانت الحرب العالمية قد بدأت واشتدت فلم تعقه أعباء الأسرة ولا أهوال

الحرب عن التعمق في دراسته حتى نال الدكتوراه في الفلسفة وتاريخ الأديان عن بحثه القيم عن (البابية والإسلام) نسبة إلى علي بن محمد كاظم الرشتي الذي أدعى أنه الباب الموصل إلى الإمام الثاني عشر المختفي، والبابية هي أساس البهائية وعاد من باريس عام ١٩٤٣م فعين مدرساً بكلية الشريعة في تخصص القضاء الشرعي وعضواً بلجنة الفتوى كما كان، ثم عين مفتشا للعلوم العربية والدينية بالمعاهد الدينية، ثم قام بإدارة كلية الشريعة، ثم بإدارة معهد الزقازيق الديني، ثم شيخاً للقسم العام والبعوث الإسلامية بالأزهر ومشرفاً على بعث البعوث الدينية للأقطار الإسلامية، وفي هذه الأثناء كتب رسالته القيمة في (السياسة الشرعية) حيث نال بها عضوية كبار العلماء سنة ١٩٥١.

ثم اختير أستاذاً للشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة عين شمس، مع بقائه عضواً بجماعة كبار العلماء وعضوا بلجنة الفتوى، ثم عضوا بلجنة الدستور التي أتمت عملها وصدر المرسوم بتعيينه شيخاً للأزهر بعد استقالة الشيخ محمد الخضر حسين وذلك عام ١٩٥٤م.

بعد أن صدر القرار الجمهوري بتعيين الشيخ عبد الرحمن تاج شيخاً للأزهر الشريف قام بمجموعة من الاصطلاحات بالأزهر، من أهم هذه الإصلاحات:

١- إصلاح النظم الإدارية وقواعد الامتحانات.
٢- الإنفاق على إنشاء مدينة البعوث الإسلامية لسكنى الطلاب الوافدين للدراسة بالأزهر من شتى أقطار الأرض، وتضم ٤١ عمارة، ومسجداً، وعيادة طبية، ومطابخ ومرافق ومساحات للألعاب الرياضية.
٣- أدخل التربية العسكرية إلى الأزهر.

ظل شيخاً للأزهر حتى عين وزيراً في اتحاد الدول العربية عام ١٠٥٨م والذي كان يضم اليمن وسوريا ومصر، حتى ألغى هذا الاتحاد عام ١٩٦١م، وفي عام ١٩٦٣ انتخب عضواً بمجمع اللغة العربية فاشترك في لجنة القانون والاقتصاد ولجنة الأصول، ولجنة المعجم الكبير، ثم اختير عـضواً بمجمـع البحوث الإسلامية.

كان رحمه الله إلى جانب ثقافته الواسعة وخلقه القويم، وعلمه الغزيـر، شديد التمسك بالشعائر الإسلامية، والفضائل الدينية علماً وعملاً وتطبيقاً.

كان مع تواضعه شديد الاعتزاز بكرامتـه، وخـصوصاً أمـام كبـار المسئولين فقد تلقى دعوة رسمية ١٩٥٥م من سـوكارنوا رئـيس جمهوريـة إندونيسيا لزيارتها، والمشاركة في احتفالاتها بعيد استقلالها، بوصـفه شـيخاً للأزهر مع من يختاره من العلماء لصحبته.

وفي نفس الوقت تلقى مجلس قيادة الثورة بمصر دعوة لإرسـال وفـد للمشاركة في هذا الاحتفال، فتألف الوفد بقيادة المرحوم جمال سـالم، وكـان عضواً بارزاً بمجلس قيادة الثورة ونائباً لرئيس الجمهورية، وكانت فيه حـدة وعنف، وسافر الوفدان في طائرة واحدة.

هبطت الطائرة في كراتشي بباكستان، فاستقبل الباكستانيون وفد الأزهر، استقبالاً منقطع النظير وأقام جماعة علماء باكستان سرادقاً كبيراً للحفاوة بهذا الوفد، وأعدوا للإمام سيارة مزينة بالزهور والورود وغمروا الوفد بمظـاهر الحفاوة والتكريم ولم يهتم الشعب ولا العلماء باستقبال الوفد الآخر، وتكرر هذا الموقف في كل بلد نزل فيه الوفدان، حتى وصلاً إلى جاكرتا، فاستقبل الشعب الإندونيسي وزعماؤه وفد الأزهر أروع استقبال، ولم يطق جمال سالم صـبراً فتحدث إلى الشيخ الإمام قائلاً له: أنا رئيس الوفد أم أنت، فقال له الإمام: كل منا رئيس فيما جاء من أجله.

فقال جمال سالم: لا بد من عودة حفنة الفقهاء الذين حضروا معك إلى القاهرة، فقال له الإمام هؤلاء علماء أفاضل حضروا لنشر الثقافة الإسلامية، فإما أن أعود أنا وهم، وإما أن نبقى جميعًا، وأصر الشيخ على بقائه مع وفده، وهنا: انفصل كل فد عن الآخر.

ولما عاد الوفدان إلى القاهرة تحدث الإمام مع الرئيس جمال عبد الناصر فاعتذر له وطيب خاطره.

وفي سنة ١٩٥٧م حاول السيد/ علي صبري، التدخل في شئون الأزهر اعتمادًا على سلطاته التي منحها إياه رئيس الجمهورية فأبى الشيخ هذا التدخل وقاومه وظل مقاوماً له حتى ترك المشيخة وعين وزيراً في اتحاد الدول العربية عام ١٩٥٨م كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

وهكذا كان رموز العلم على امتداد التاريخ؛ كان مالك، وكان علي بن زياد وغيرهما على نفس المنهج.

بعد إلغاء اتحاد الدول العربية تفرغ الإمام الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج لموالاة جهوده في البحث والدراسة وبخاصة في مجمع اللغة العربية ومجمع البحوث الإسلامية وظل مستغرقاً في أبحاثه ودراساته بضعة عشر عاماً ولم تعوقه الشيخوخة ولا الأمراض عن مواصلة هذه الجهود حتى لقى ربه عام ألف وتسعمائة وخمسة وسبعين عقب فراغه من صلاة المغرب رضي الله عنه وأرضاه.

قال عنه الأستاذ علي عبد الرازق في حقل استقباله بمجمع اللغة العربية: "إن فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن تاج نال من الرتب العلمية والدرجات ما رفعه إلى مستوى لا مطمع لكثير من الناس في أن يصلوا إليه، لقد بلغ من الفضل مقاماً فوق ذلك. مظهراً وأرفع قدرا تتهاوى دونه درجات العلماء، ومقامات الخبراء، وتتخاذل دونه الألقاب.

وقال عنه فضيلة الشيخ علي الخفيف في حفل تأبينه بالمجمع: "كان رضي الله عنه واسع الإطلاع كامل الثقافة وافر المعرفة لقد فقدنا بفقده الشيخ الجليل والإمام العظيم والمعلم الكبير، والنابغة في الفقه والتفسير واللغة العربية فكان الخطب فيه جللا، والخسارة فادحة لا للأزهر وحده، ولا لمجمع اللغة العربية فحسب بل للأمة الإسلامية جمعاء، لقد ترك بوفاته فراغاً لا يملأ، وأسى لا ينس.

وقال عنه الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع: لقد كان من السلف الصالح الذين امتلأت قلوبهم بالإيمان الصادق واتسعت صدورهم لكل جديد نافع، أخذنا عنه كثيراً وكنا نود أن نأخذ أكثر ولكنها سنة الله في خلقه، لقد جمع الإمام بين الثقافتين الشرقية والغربية، وكتب في الفلسفة ومقارنة الأديان والفقه، والفقه المقارن، وتاريخ التشريع الإسلامي والسيرة النبوية وفي تفسير القرآن الكريم وفي علوم اللغة العربية.

وحين انتهى المجمع من التفسير الوسيط، راجعه فضيلته دون تكليف من أحد، ولاحظ عليه بضع ملاحظات اتصل بي رحمه الله وجلست إليه في بيته وراجعنا هذه الملاحظات فوافقته على الكثير من ملاحظاته وراجعته في بعضها فقبل مراجعتي في سماحة فكر ورحابة صدر، وانتهت الجلسة إلى وفاق تام، ومن ملاحظاته القيمة على هذا التفسير لقوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**(١).

فذكر أن ظاهر الآية يدل على أن الله تعالى خلق الأرض ثم خلق بعدها السموات، ولكن ما ورد في خلق الكون في سورة النازعات يدل على أن

---

(١) البقرة: ٢٩.

السموات خلقت أولاً وبعدها خلقت الأرض وهناك إشارات في سورة فصلت والأنبياء، أوردت بعض التفصيلات واقترح فضيلته أن تجتمع لجنة التفسير وتجمع كل الآيات المتعلقة بخلق السموات والأرض وتستخرج منها الحقيقة وقد وافق أعضاء المجمع على ذلك، وقد استعنت بالله وكتبت ما اقترحه الإمام، فوافق عليه الأعضاء، ولكنهم رأوا إرجاءه ليوضع في تفسير سورة فصلت لأنه أنسب لهذا الموضع من التفسير، وأشهد أنني استفدت كثيراً من آرائه القيمة، وملاحظاته النافعة وتوجيهه الرشيد.

مؤلفاته وأبحاثه:

١- البابية وعلاقتها بالإسلام.

٢- السياسة الشرعية في الفقه الإسلامي.

٣- الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية.

٤- مذكرة في الفقه المقارن.

٥- تاريخ التشريع الإسلامي.

٦- مناسك الحج وحكمه.

٧- الإسراء والمعراج.

٨- حكم الربا في الشريعة الإسلامية.

٩- شركات التأمين من وجهة نظر الشريعة الإسلامية.

١٠- وله ستة عشر بحثاً في اللغة العربية.

رحمه الله رحمة واسعة، وأدخله فسيح جناته جزاء ما قدم من الخير الجزيل لأمته الإسلامية إنه قريب مجيب.

* * *

السابع والثلاثون: الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

ولد الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله سنة ١٨٩٣م في منية بني منصور من أعمال مركز إيتاي البارود، حفظ القرآن الكريم والتحق بمعهد الإسكندرية الديني عام ١٩٠٦م وكان أول فرقته في جميع المراحل الدراسية، ونال شهادة العالمية ١٩١٨م وفي هذا العام قامت الثورة الشعبية المصرية القوية بزعامة سعد زغلول، وامتدت الثورة فشملت جميع طبقات الشعب، كما اتسعت حتى شملت جميع القرى والمدن وجمعت تحت لوائها المسلمين والمسيحيين فقام الشيخ شلتوت فيها بواجبه الديني والوطني وشارك فيها بقلمه ولسانه.

ولما عين الشيخ المراغي شيخاً للأزهر رأي الانتفاع بمواهبته وليساعده في التجديد والإصلاح، فنقله إلى القاهرة مدرساً بالقسم العالي الذي كان يرأسه الشيخ عبد المجيد سليم.

ولما تقدم الشيخ المراغي بمذكرته للإصلاح للأزهر كان الشيخ شلتوت في مقدمة المستجيبين له، ولم يكتف بتأييده الشفوي بل أسرع بكتابة عدة مقالات في جريدة السياسة اليومية لتأييد ما جاء فيها، ولما كان عدد كبير يقاومون هذه الفكرة حفاظاً على سمعة الأزهر وكان الملك لا يستريح لها، فقامت العقبات في طريقها مما دعا الشيخ المراغي إلى تقديم استقالته.

ولي المشيخة الشيخ الظواهري وهو وإن كان من دعاة الإصلاح لكن كان يرى التأني ومراعاة الظروف والتفاهم مع ولاة الأمور في تنفيذ خطوات الإصلاح، فقابله كثير من العلماء والطلاب بثورة عاتية، فقابل ثورتهم بالشدة والعنف، ففصل الشيخ شلتوت من منصبه، كما فصل العشرات من صفوة العلماء الذين كانوا في طليعة المصلحين، فاشتغل الشيخ شلتوت بالمحاماة أمام المحاكم الشرعية فازدادت خبرته بالجوانب الفنية والقانونية والشرعية، وفي

عام ١٩٣٥م أعيد إلى عمله بالأزهر مع إخوانه المفصولين، فعين مدرساً بكلية الشريعة ولما عاد الشيخ المراغي إلى المشيخة عام ١٩٣٥ عينه وكيلاً لكلية الشريعة.

لما عقد مؤتمر لاهاي بهولندا في عام ١٩٣٧م للقانون الدولي المقارن، اختار المجلس الأعلى للأزهر فضيلة الشيخ محمود شلتوت عضواً في الوفد، فتقدم فضيلته إلى المؤتمر برسالة قيمة عن (المسئولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية) ونالت الرسالة إعجاب أعضاء المؤتمر، فأصدروا قراراً بصلاحية الشريعة الإسلامية للتطور، وأنها مصدر من مصادر التشريع الحديث، وأنها أصيلة وليست مقتبسة من غيرها من الشرائع الوضعية ولا متأثرة بها، كما أصدر المؤتمر قراراً بأن تكون اللغة العربية – لغة هذه الشريعة – إحدى لغات هذا المؤتمر في دوراته المقبلة، وأن يدعي أكبر عدد من علماء هذه الشريعة إلى هذا المؤتمر على اختلاف المذاهب والأقاليم.

في عام ١٩٣٩م عين الشيخ شلتوت مفتشاً بالمعاهد الدينية، فكانت ملاحظاته وتقريراته عبارة عن دراسات نافعة لأحوال المعاهد الدينية في مختلف النواحي العلمية والإدارية، وقد رأى الشيخ المراغي إعادته مرة أخرى وكيلاً لكلية الشريعة ليتمكن من تحقيق برامجه الإصلاحية فيها.

فضيلة الشيخ محمود شلتوت تقدم برسالته (المسئولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية) إلى جماعة كبار العلماء فنال عضويتها بإجماع الآراء، وكان أول نشاط له بها اقترح إنشاء مكتب علمي للجماعة، تكون مهمته:

١. الرد على الهجوم الذي يوجه للإسلام من خصومه.
٢. بحث المعاملات التي جدت على الساحة الإسلامية أو تجد عليها في المستقبل.

٣. وضع مؤلف لتنقية كتب التفسير من الإسرائيليات.
٤. تنقية كتب الدين من البدع والخرافات. وقد ألفت لجنة لدراسة هذه المقترحات برياسة المغفور له الشيخ عبد المجيد سليم.

في عام ١٩٤٦م صدر قرار بتعيين فضيلته عضواً بمجمع اللغة العربية، كما انتدبته جامعة الملك فؤاد (جامعة القاهرة) لتدريس القرآن والسنة لطلبة دبلوم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق.

في عام ١٩٥٠م عين مراقباً عاما لمراقبة البحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر واستطاع أن يوثق صلاته بالعالم الإسلامي في مختلف القارات.

في عام ١٩٥٧م اختاره السيد/ أنور السادات سكرتير عام المؤتمر الإسلامي – في ذلك الحين – مستشاراً للمؤتمر الإسلامي، ثم تم تعيينه وكيلاً للأزهر فنهض برسالته على خير وجه.

ومع ذلك كله كان عضواً في اللجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية، وعضواً في مجلس الإذاعة الأعلى، ورئيساً للجنة العادات والتقاليد بوزارة الشئون الاجتماعية، وعضواً في اللجنة العليا لمعونة الشتاء، كما كان عضواً هاماً مؤسسا لدار (التقريب بين المذاهب الإسلامية) مع حديثه في الإذاعة صباحاً والمحاضرات في الجمعيات الثقافية، والكتابة في الصحف والمجلات، ويشارك في الندوات في العاصمة والأقاليم، ويخطب الجمعة في كل أسبوع بالمسجد الذي أنشأه الأمير محمد علي ولي العهد بقصره بالمنيل، ويرد على الرسائل، ويفتي في المشكلات ويلتقي بزعماء المسلمين، ويحاضر في الكليات ثم يتابع تأليف الكتب والأبحاث.

في شهر أكتوبر عام ١٠٥٨ عين شيخاً للأزهر، وقد ركز جهوده بعد هذا التعيين في إنشاء مجمع البحوث الإسلامية الذي كان يتطلع لإنشائه منذ وقت بعيد، وفعلاً صدر القرار الجمهوري بإنشائه ضمن القانون رقم ١٠٣

لسنة ١٩٦١م بشأن تنظيم الأزهر، والهيئات التي يشملها، وتم انعقاد المؤتمر الأول للمجمع سنة ١٩٦٤ ولا زال يؤدي دوره إلى الآن.

كان فضيلة الشيخ محمود شلتوت رحمه الله يتطلع إلى تحقيق الوحدة الإسلامية، بعد أن فرقتهم العصبيات الجنسية، والفروق المذهبية، والخلافات الطائفية، فبدأ جهاده في ذلك من خلال جماعة التقريب بين طائفتي السنة والشيعة الإمامية الاثنا عشرية في إيران، ولم يعرف أن دار التقريب دخل إليها أحد من الجماعات التي تنتمي إلى الإسلام، وخصوصاً من طوائف الشيعة الأخرى التي تصل أعداد طوائفهم إلى أكثر من ستين طائفة، ويصل تعداد الشيعة إلى أكثر من ستين مليونا منهم ثلاثون مليوناً في إيران وهم ما يطلق عليهم الشيعة الإمامية الذين ينتمون إلى أئمة آل البيت ابتداء من سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الإمام الثاني عشر وهو أبو الحسن العسكري ذلك الإمام الصغير الذي يقولون أنه موجود في سرداب تحت الأرض وسيخرج آخر الزمان باسم المهدي المنتظر ليملأ الأرض عدلاً، كما ملئت ظلماً، أما بقية طوائف الشيعة فيوجدون في العراق واليمين وسوريا ولبنان والخليج العربي وباكستان والهند.

وكان من أهم العلماء الذين كان لهم دور في التقريب الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد المجيد سليم، و الدكتور مصطفى عبد الرازق والأستاذ محمد علي علوبة، والشيخ محمد المدني عميد كلية الشريعة أيام أن كنت طالباً فيها، ومن الجانب الإيراني: الإمام الأكبر للشيعة الحاج أقاحسين، والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، والسيد عبد الحسين شرف الدين، والشيخ محمد تقي القمي.

كان للسيد أنور السادات أيام أن كان نائباً لرئيس الجمهورية ومشرفاً على المؤتمر الإسلامي جهدٌ كبيرٌ في دعم دار التقريب، أدبياً ومالياً.

الفتوى التي أقامت الدنيا ولم تقعدها، السؤال: إن بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم لكي تقع عبادته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلد أحد المذاهب الأربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة، فهل توافقون على هذا الرأي، فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الإمامية الأثنى عشرية مثلاً.

فأجاب فضيلته: إن الإسلام لا يوجب على أحد اتباع مذهب معين، بل نقول: لكل مسلم الحق في أن يقلد أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة، ولمن قلد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره، إن مذهب الجعفرية المعروفة بمذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة لا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات.

لكن الصورة التي كانت مطبوعة في أذهان كثير من العلماء عن الشيعة جعلتهم يستنكرون هذه الفتوى ومن أهم معالم هذه الصورة السب العلني من علماء الشيعة في عدد من كبار الصحابة، مثل أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، والسيدة عائشة رضي الله عنهم بسبب موقفهم من سيدنا علي حيث كانوا يرونه أحق بالإمامة من أبي بكر وعمر ثم محاربة السيدة عائشة لسيدنا علي في موقعة الجمل.

كذلك عدم اعترافهم بمصادر أهل السنة للسنة الشريفة، ومن ذلك قوله ﷺ "نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة" ويعتبرون ذلك حرماناً للسيدة فاطمة الزهراء من ميراثها لوالدها، بل كانوا يعتبرونها الوارثة الوحيدة له.

علي آية حال انتهت دار التقريب بوفاة المؤسسين لها في العقد الثامن من القرن الماضي.

كان الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت متميزا في شخصيته وفي خلقه،

وفي نظرته الطبيعية فاحتل مكانة سامية في فقه الشريعة الإسلامية كل ذلـــك أتاح له ليكون المرجع الأكبر في عصره لمعرفة مشكلات العـــصر الحـــديث وموقف الإسلام منها، وقد أعانه على ذلك.

أ- مواهبه الشخصية: من ذكاء حاد وذاكرة قوية، وحب للبحث والقراءة والاستيعاب وبصيرة ملهمة.

ب- تأثره القوي بالفقيهين المجتهدين: ابن تيمية وابن القيم، وبالإمامين الكبيرين: جمال الدين الأفغاني والشيخ محمـــد عبـــده، وصـــداقته للبـــاحثين الكبيرين: الشيخ المراغي والشيخ عبد المجيد سليم، إلا أنه لم يكون مقلداً لأحد منهم ولكنه تأثر بهم في انطلاقه في الدعوة بما يعتقد أنه الحق.

ج- تعمق في دراسة المذاهب الإسلامية من أهل السنة والمعتزلة كمـــا درس المذاهب الأربعة ومذهب الشيعة الإمامية والشيعة الزيديـــة والإباضـــية والظاهرية.

كما استفاد من مباشرته لكثير من الأعمال الثقافية الهامة فـــي الإذاعـــة والمؤتمر الإسلامي ووزارة الشئون الاجتماعية وغيرها، ثم رحلاته إلى العالم الإسلامي ولقائه بكبار مفكري العالم الإسلامي وكبار المستشرقين مما أتاح له الاطلاع على أنواع الثقافات التي يموج بها العالم.

كان يتمتع ببصيرة نافذة وفهم جيد للقرآن الكريم والسنة المطهرة حتـــى بلغ مرحلة الاجتهاد فيما يصدره من فتاوى وآراء أو يؤلف من مصنفات، غير ملتفت إلى من يخالفه أو ينتقده، ما دام اقتنع برأيه وأدلته على ما يقول، ومن ذلك: أفتى بحل إيداع الأموال في صناديق التوفير، كما أفتى بـــصحة التعبـــد على المذاهب الفقهية الثمانية المعروفة التي أشرنا إليها قبل قليل، كما أفتـــى بحل تنظيم النسل، وفي كتابه (الفتاوى) الكثير من هذه الفتاوى لحل مشكلات عصره من وجهة نظر الإسلام، وقد خالفه من خالفه في حل إيداع الأموال في

صناديق التوفير بالبريد، والتعبد على مذاهب الشيعة.

للشيخ محمود شلتوت رحلات عظيمة إلى عدد من دول العالم التي وجهت إليه الدعوة من حكومات أو جهات رسمية ومن ذلك زيارته الشهيرة إلى كل من الملايو - قبل أن تسمى ماليزيا - وإندونيسيا والفلبين، وقد استقبلته الحكومات استقبالاً رسمياً بكل حفاوة وتقدير كما استقبلته الشعوب من هذه البلاد استقبالات رائعة وعظيمة كما وجهت إليه دعوات أخرى من المغرب والهند وأمريكا وألمانيا ويوغسلافيا والبرازيل وباكستان، ولكنه لم يتمكن من تلبية هذه الدعوات لظروفه الصحية ولأشغاله الكثيرة خصوصاً في مجال تطوير الأزهر.

نال فضيلته درجة الدكتوراه الفخرية من دول عديدة من ذلك، جامعة شيلي في أمريكا الجنوبية، والجامعة الإسلامية بإندونيسيا، وجامعة سومطرة الشمالية، وكلية كامل الإسلامية بالفليبين.

ومنحه وسام الشرف الملك محمد الخامس ملك المغرب، والملك محمد ظاهر شاه ملك أفغانستان، والفريق إبراهيم عبود رئيس السودان، كما منحه أحمد أهيدو رئيس جمهورية الكاميرون لقب مواطن فخري وغير ذلك من مظاهر التكريم من مختلف الجنسيات.

كان الشيخ محمود شلتوت خليفة لأنصار التجديد والإصلاح بعد رحيلهم وهم الإمام محمد عبده، والشيخ عبد المجيد سليم،والشيخ المراغي، وحين عقد مؤتمر الملحقين الثقافيين خطب فيه طالبا أن يعاد النظر في مناهج الأزهر وكتبه حتى يواكب الأزهر النهضة الحديثة وقد استجاب رجال الثورة فصدر القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م.

وكان هناك مجموعة من العلماء يشفقون من هذه التيارات الحديثة حتى لا تجرد الأزهر من كيانه التاريخي وتقاليده العريقة التي تميز بها على مر التاريخ.

نص القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م في مادته الثانية على أن الأزهر هو الهيئة الإسلامية الكبرى التي تقوم على حفظ التراث الإسلامي ودراسته وتجليته ونشره وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب كما تهتم بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية والعربية والأجنبية.

نصت المادة الثالثة على تعيين وزير للأزهر، وأن شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر وصاحب الرأي في كل ما يتصل بالشئون الدينية، والمشتغلين بالقرآن الكريم وعلوم الإسلام، ويرأس المجلس الأعلى للأزهر.

ونصت المادة الثامنة على أن الأزهر يشمل الهيئات التالية: المجلس الأعلى للأزهر، ومجمع البحوث الإسلامية، وإدارة الثقافة والبعوث الإسلامية، وجامعة الأزهر، والمعاهد الأزهرية.

كما نص فيه على إنشاء كليات للدراسات الإسلامية، وللدراسات العربية، وللمعاملات والإدارة، والطب والهندسة والصناعات، ويجوز إنشاء كليات أخرى مستقبلاً.

نص في هذا القرار: على أن لغة التعليم في الأزهر هي اللغة العربية إلا إذا وجدت ظروف تقتضي استعمال لغة أخرى في بعض الكليات.

نص في هذا القرار: على أن تتساوى فيه فرص القبول للتعليم بالمجان في كليات الجامعة ومعاهدها المختلفة للمسلمين من كل جنس وفي كل بلد في حدود الميزانية.

نص فيه على أن تقوم مدارس تحفيظ القرآن الكريم مقام مدارس المرحلة الأولى بالنسبة للمتقدمين إلى المعاهد الأزهرية وأن الطلاب الحاصلين على الثانوية الأزهرية لهم الحق في الالتحاق بالجامعات الأخرى حسب القواعد التي توضح ذلك ويحق لطلاب الثانوية العامة حق الالتحاق

بجامعة الأزهر بعد امتحان تأهيلي يحقق التعادل في الفرص مع نظرائهم من الثانوية الأزهرية.

أنشئت في عهد الشيخ شلتوت كلية البنات سنة ١٩٦٢م وبذلك فتح المجال أمام الفتاة المسلمة لتتلقى التعليم الديني الإسلامي داخل جامعة الأزهر، وتعددت هذه الكليات للألسن والتجارة والعلوم، وغيرها.

كما أنشئت معاهد للفتيات عام ١٩٦٢م كما أنشئ معهد البعوث الإسلامية للوافدين في المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية، وقد كفل المعهد لطلابه المعيشة المناسبة ليتفرغوا للدراسة ولذلك أنشئت مدينة البعوث الإسلامية لتقوم بكل الخدمات المناسبة بما في ذلك المكتبة والموظفين المؤهلين لخدمة هؤلاء.

عاد الشيخ الدكتور محمد البهي من بعثة الدكتوراه في الفلسفة فقربه إليه الشيخ شلتوت وأسند إليه رياسة الجامعة، ثم تعيينه وزيراً للأوقاف ولشئون الأزهر، لكن وقع الخلاف بين الشيخين بسبب عدم تحديد الاختصاصات لكل منصب.

إذ كان الدكتور البهي يعتبر نفسه بحكم منصبه مسئولاً عن الأزهر أمام مجلس الوزراء، وأمام مجلس الشعب، وأمام رئيس الجمهورية حتى أنه استصدر فتوى بأنه يحق له إصدار قرارات تنظيم بعض ما جاء في القرار ١٠٣ لسنة ١٩٦١ واتسعت هوة الخلاف بين الشيخين، وتقدم كل منهما بشكاوى ضد الآخر بسبب تدخله في شئونه، مما اضطر الإمام الأكبر إلى أن يقدم استقالته من المشيخة في أغسطس من عام ١٩٦٣م.

من أهم مؤلفات الشيخ:

فقه القرآن والسنة- ومقارنة المذاهب- ومنهج القرآن في بناء المجتمع، وتنظيم النسل، الإسلام عقيدة وشريعة وغير ذلك من المؤلفات النافعة.

رحمه الله رحمة واسعة.

الثامن والثلاثون: الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون

كان الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون قد ولد في أسرة دينيـــة إذ كـــان والده الشيخ مصطفى مأمون من علماء الدين المعروفين، إذ كان إماماً لمسجد الفتح بقصر عابدين، وإمام هذا المسجد كان إماماً للملك، فكان يراعـــي فـــي اختياره العلم الغزير، والخلق الكريم، والأدب العظيم.

ولد الشيخ حسن مأمون في عام ١٨٩٤م فحفظ القرآن الكـــريم وجـــوده والتحق بالأزهر الشريف وبعد الثانوية التحق بمدرســـة القـــضاء الـــشرعي، وكانت تقبل صفوة طلاب الأزهر وتخرج منها عام ١٩١٨م وبعدها تـــدرج في عدة مناصب في وظائف وزارة العدل ثم في القضاء حتى عـــام ١٩٣٩م حتى عين بمرسوم ملكي قاضياً لقضاة السودان عام ١٩٤١م ونظراً لاشـــتداد الثورات حينئذ ضد المستعمرين إبان الحرب العالمية الثانية أصـــدر الحـــاكم العسكري البريطاني للسودان قراراً بعدم تعيين أحد من المصريين فـــي هـــذا المنصب وقصروه على من يختارونه من السودانيين.

حين عاد الشيخ حسن مأمون إلى القاهرة عين رئيساً لمحكمة القـــاهرة الشرعية الابتدائية عام ١٩٤٧م ثم في عام ١٩٥٢ عين رئيساً للمحكمة العليـــا الشرعية وفي عام ١٩٥٥ اقترح وزير العدل على مجلـــس الـــوزراء إســـناد منصب المفتي إلى فضيلته للانتفاع بكفاءته الممتازة وواسع خبرتـــه، فوافـــق المجلس على ذلك في عام ١٩٥٥ لمدة سنتين واستمر في ذلك المنصب وفـــي عام ١٩٦٤ صدر القرار الجمهوري بتعيين فضيلته شيخاً للأزهر.

إلى جانب القيام بمهام هذا المنصب كان الشيخ حريـــصاً علـــى إلقـــاء الدروس على طلبة تخصص قسم القضاء بكلية الشريعة كما كان الشيخ معتزاً برئاسته لمجلس إدارة مسجد الإمام الشافعي فكان يحضر الاحتفال بمولده كل عام ويلقي فيه كلمة عن مناقب الإمام الشافعي رحمه الله.

في عام ١٩٦٩ أحس الشيخ بأمراض الشيخوخة وطلب إعفاءه من المنصب فأعفوه وقلدوا بدلا منه الإمام الشيخ الفحام.

كان الشيخ حسن مأمون مهتماً بأمر موسوعة الفقه الإسلامي التي يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذي كان يرأسها بحكم منصبه، وكان له جهد كبير في تنظيم شئونها، وكانت قد خرج منها خمسة عشر مجلداً.

ظل الشيخ حسن مأمون مشغولاً بأمر الدراسات الفقهية وعبادة ربه حتى وافته المنية عام ١٩٧٣م.

تغمده الله تعالى برحمته وأسكنه فسيح جناته.

كان للإمام حسن مأمون مواقف وطنية باهرة وكان ذلك سبباً في إنهاء عمله كقاض في السودان، مع عدم تعيين أي مصري في هذا المنصب فيما بعد، وذلك بسبب تشجيعهم للثورات الوطنية ضد الاستعمار.

لم يترك الإمام مناسبة وطنية إلا وكان له فيها موقف، ويحدثنا الشيخ عن ذلك قائلاً: "اذكر في عام ١٩٥٦م أثناء العدوان الثلاثي على مصر أني كنت أمر بسيارة على جسر (كوبري قصر النيل) وان معي أصغر أبنائي وكان طالباً بكلية الهندسة، وكان يقود لي السيارة، وبغتة نظر إلي وهو يبكي، وأشار إلى مجموعة من الشباب تقف على أهبة الاستعداد في حراسة الكوبري، وقال لي: هؤلاء أصغر مني سنا، وهم يقومون بواجبهم الوطني وأنا أسوق عربية، فقلت له: ما دام هذا شعورك فاترك السيارة واتركني وقم بواجبك، ولم يلبث أن نفذ الوصية، وتقدم برغبته إلى المسئولين وتولى حراسة كوبري مسطرد ولم يعد إلى البيت إلا بعد النصر".

كما وجه فضيلته إلى الدول العربية والإسلامية بعد وقوع العدوان على مصر عام ١٩٦٧م نداء إلى حكام تلك الدول يناشدهم فيه: استخدم سلاح

البترول قائلاً: "أيها المسلمون إن مصر لا تحارب إسرائيل وحدها، إنها تكافح العدوان الموتور عدوان أمريكا وبريطانيا" وكان قطع البترول من أهم الأسلحة الفتاكة التي حققت النصر للبلاد فيما بعد.

كان الإمام حسن مأمون يخشى من إيقاظ الفتنة بين أبناء مصر، من مسلمين ومسيحيين، فكان ينتهز الفرصة في المواسم المسيحية فيوجه فيها التهنئة إلى المسيحيين ويذكرهم بالروابط الوثيقة بين المسيحية و الإسلام، منذ عهد رسول الله ﷺ.

وقال في عام ١٩٨٦م في ذكرى ميلاد المسيح عليه السلام "أحيي إخواننا المسيحيين متمنيا في هذه المناسبة الطيبة التي يحتفل فيها العالم كله بميلاد رسول السلام عيسى عليه السلام، وأن تتجه الأمم كلها إلى تلك الأرض المقدسة التي ولد فيها المسيح ليروا كيف اعتدى فيها على السلام، وكيف شردت الفئة الباغية المعتدية من اليهود أهل بلد المسيح عليه السلام".

كان فضيلة الإمام حسن مأمون، يأبى كل الإباء أن يجعل الدين في خدمة السياسة أو يتخذه وسيلة لإرضاء الحكام، لقد حدث وهو شيخ للأزهر أن تقدم أحد أعضاء المجمع البارزين، إلى مؤتمر البحوث الإسلامية مقترحاً أن يصدر أعضاء المؤتمر قراراً بأن الاشتراكية، هي روح الإسلام، فوجم الأعضاء وغضب الشيخ، وأعلن أن الإسلام فوق جميع المذاهب السياسية التي وضعها البشر وأن وجود شبه بين الإسلام وبعض المذاهب السياسية لا يعني أن الإسلام هو روح هذا المذهب أو ذلك، أعلن الإمام حسن مأمون هذا فوافقه الأعضاء مع علمه أن هذا الموقف لا يرضى عنه بعض المسئولين وقت قيام المؤتمر.

كان الشيخ حسن مأمون مفتياً وفقيها، دارساً للمذاهب الأربعة ولم يتقيد في فتاويه بمذهب معين، فمن أهم فتاويه كانت إجابة على الأسئلة التالية:

أ- هل يصل ثواب القراءة للميت؛ الجواب: نعم يصل ثواب القراءة مستدلاً بحديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأله سائل فقال يا رسول الله إنا نتصدق عن أمواتنا ونحج عنهم وندعو لهم، فهل يصل ذلك لهم، قال: نعم، إنه ليصل إليهم، وإنهم ليفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق يهدى إليه، في شرح فتح الباري.

ب- ما حكم ختان الإناث؟ فأجاب بأن الحنفية والمالكية: يعدون الختان سنة، وأن الشافعية يعدونه واجباً، وأن الحنابلة: يرونه واجباً في حق الذكر ومكرمة في حق الأنثى، لذلك يستحب ختان الإناث عند جميع الأئمة.

ت- أفتى بعض علماء المغرب بجواز صلاة الجمعة خلف المذياع أو التليفزيون فأجاب الشيخ حسن مأمون: لا تجوز صلاة الجمعة أمام التلفزيون ولا خلف المذياع اقتداء بالإمام الذي تنقل صلاته بهذه الأجهزة، ولو اكتفينا بالصلاة خلف المذياع أو التلفزيون في بيوتنا لألغيت المساجد وعطلت صلاة الجمع والأعياد.

ث- في مصر جمعية كبرى لها مساجد كثيرة تمنع قراءة القرآن في مساجدها يوم الجمعة بحجة أن ذلك بدعة، وكل بدعة ضلالة؟ فأجاب: بأنه لم يؤثر عن النبي ﷺ أنه نهى المسلمين عن تلاوة القرآن في المسجد أو غيره من الأماكن المحترمة، لذلك نرى ما أحدثه المسلمون من ذلك فيه خير وهو عبادة لله رب العالمين، أما ما جاء في الحديث: بأن كل بدعة ضلالة، فالمقصود من ذلك: ما يكون فيه ضرر على الأمة ومخالفة لأحكام الشريعة.

ج- ما حكم الصوم في البلاد القريبة من القطب الشمالي، حيث يستمر النهار ستة أشهر؟ فأجاب: بأنهم لا يصومون وهم هناك فإذا عادوا إلى بلادهم قضوا تلك الأيام، أما أهل تلك البلاد فإنهم يقدرون اليوم بأقرب البلاد

إليهم ويصومون ويفطرون تبعاً لذلك.

ح- هل تغني الضرائب عن الزكاة؟ فقال إن الزكاة فرض من الله سبحانه على الأمة في أموال مخصوصة بمقادير مخصوصة في مدة مخصوصة فلا تزيد ولا تنقص وتصرف في مصارف مخصوصة، بخلاف الضرائب فإنها من وضع الحاكم رعاية لمصالح الدول العامة، كما أنها قابلة للزيادة والنقصان لذلك لا تغني عن الزكاة.

خ- هل يجوز صرف الزكاة إلى جمعيات الإسعاف وفائدتها للمجتمع معروفة؟ فأجاب: بأنه لا يجوز في مذهب من المذاهب صرف الزكاة بجميع أنواعها لجهة من جهات البر كبناء المساجد مثلاً لكن أجاز بعض الفقهاء صرفها في طرق الخير كشراء كتب العلم للطلاب الفقراء وإنشاء المعاهد الدينية ولكن بقدر الحاجة حتى لا يطغى ذلك على المصارف الأصلية.

د- وسئل عن تحديد النسل و تنظيمه، فأجاب بأنه يجوز التنظيم إذا دعت إليه الحاجة، أما التحديد فحرام عند جمهور الفقهاء.

أهم مؤلفات الإمام حسن المأمون:

١- الفتاوى.

٢- دراسات وأبحاث في موسوعة الفقه الإسلامي.

٣- السيرة العطرة.

٤- الجهاد في سبيل الله.

٥- تفسير موجز لسور: الضحى والانشراح، والقدر.

وقد توفي الإمام حسن مأمون رحمه الله في شهر مايو ١٩٧٣م تغمده الله برحمته.

* * *

التاسع والثلاثون: الإمام الأكبر الشيخ محمد الفحام

ولد الإمام الأكبر الشيخ محمد الفحام بالإسكندرية عام ١٨٩٤م ١٣٢١هـ ثم حفظ القرآن الكريم والتحق بالمعهد الديني بالإسكندرية، وقد استفاد الطالب من الأساتذة المتميزين بالمعهد كما لفتت أنظارهم موهبته المتنوعة، حتى أن أحد شيوخه، وهو الشيخ (عبد الهادي الضرغامي) أهداه وهو بالسنة الأولى الابتدائية بعض مصنفاته، وعليها إهداء بخطه، وكان يعتز بها حتى أنه صحبها معه إلى باريس فيما بعد.

وقد زار الشيخ سليم البشري معهد الإسكندرية ومعه لفيف من كبار العلماء، وفي مقدمتهم الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي الذي صار شيخاً للأزهر فيما بعد، وكان الوقت وقت امتحان، فجئ بالطالب/ محمد محمد الفحام، الطالب بالسنة الثانية الابتدائية أمام لجنة الامتحان، فسأله الشيخ البشري في باب نائب الفاعل، فقال الطالب: إن بعض النحاة يسميه باب المفعول الذي لم يسم فاعله، فقال له الشيخ البشري: أي العنوانين تختار؟ فقال الطالب: أفضل عنوان نائب الفاعل، لسببين: أنه أوجز عبارة، ولأن نائب الفاعل لا يكون دائماً هو المفعول به؛ كأن يكون ظرفاً مثل قوله سُهِرَت الليلة، أو مصدرا:....

مثل كتبت كتابة حسنة، أو جاراً ومجروراً، مثل نُظِر في الأمر، وأفاض الإمام البشري في الأسئلة، وأفاض الطالب بالسنة الثانية الابتدائية في الإجابة، فقال الشيخ البشري: أهذا طالب بالسنة الثانية الابتدائية أو في الثانية الثانوية، ثم قرأ له الفاتحة، ودعا له بالخير والبركة، فهنيئاً له بهذا الدعاء.

كان الطالب محمد الفحام مولعاً بجميع المعارف والعلوم لا باللغة العربية وحدها، وبخاصة علم المنطق وعلم الجغرافيا، فقد ألف رسالة في المنطق، وهي كتاب: "الموجهات" وهو طالب بالسنة الثانية الثانوية، وتم

طبعها عام ١٩٣٢م وانتفع بها الطلاب، أما الجغرافيا فقد بلغ في شغفه بها أنه كان يستأذن أستاذه في أن يذهب إلى حجرة الخرائط فيغلقها على نفسه طـول الليل، ويضيئها بسراج من عنده ويظل يفحصها ويدرسها حتى الصباح.

وأثناء الدراسة لاحت أمامه فرصة للالتحاق بدار العلوم، كمـا كانـت رغبة كثير من طلاب الأزهر، رغبة في التجديد وطمعاً في مستقبل أفـضل، واستشار والده في ذلك، فقال له: إنني واثق بجودة رأيك وحـسن اختيـارك، فاتجه إلى ما تراه صواباً والله معك، أما أمه فكانت تتفاءل بالأزهر فأوصـته ألا يترك الأزهر، واستجاب لوصية أمه وكانت سيدة صالحة، وظل متمـسكا بوصيتها طوال حياته.

واصل الدراسة بالقسم العالي بمشيخة علماء الإسـكندرية حتـى نـال شهادة العالمية النظامية بتفوق في امتحان أداه بالأزهر عام ١٩٢٢م.

بعد تخرجه نفر من قيود الوظائف فاشتغل بالتجارة ونجح فيها نجاحـاً باهرا، لكن موهبته العلمية ثم نصائح أصدقائه بالعودة إلى ميدان العلـم، وأن هذا ميدانه الذي يفيد به المسلمين، وكان الأزهر قد أعلن عن مسابقة لتعيـين مدرسين في الرياضة في المعاهد الدينية فنجح فيها، وعـين مدرسـا بمعهـد الإسكندرية عام ١٩٢٦م فكان يدرس إلى جانب الرياضـة، علـوم الحـديث والنحو، والصرف والبيان، والجبر تسع سنوات.

في عام ١٩٣٥ نقل الدكتور محمد الفحام من معهد الإسكندرية إلى كلية الشريعة لتدريس المنطق وعلم المعاني وفي عام ١٩٣٦م وقع الاختيار عليـه لإرساله في بعثة تعليمية إلى فرنسا فرحل إليها ومعه زوجته وبعض أبنائـه، وحين قامت الحرب العالمية الثانية عاد كثير من المصريين الذين كانوا فـي بعثات لكنه آثر البقاء مع ظروف الحرب، حتى أنه ولد له بنتان في فرنسا في هذه المرحلة، فكان يتفاءل بهما، إلا أنه انتقل من العاصمة إلى مدينة (بوردو)

واستطاع خلال هذه المرحلة أن يحصل على دبلوم مدرسة الإليانس فرانسيز ١٩٣٨م كما نال في نفس العام، دبلوما آخر من مدرسة اللغات الشرقية الحية في الأدب العربي ١٩٤١، كما نال دبلوما ثالثاً في اللهجات اللبنانية والسورية، كما نال دبلوما في التأهيل لتعليم اللغة الفرنسية من كلية الآداب بجامعة (بوردو) عام ١٩٤١، ثم نال شهادة الدكتوراه بدرجة الشرف الممتازة من جامعة السوربون في عام ١٩٤٦م وكان موضوع الرسالة: "إعداد معجم عربي فرنسي للمصطلحات العربية في علمي النحو والصرف" وقد نال إعجاب الأساتذة، هناك حتى قال أحدهم "ما أظن أنه وطئت أرض فرنسا قدم رجل أعلم منك باللغة العربية".

في نفس العام ١٩٤٦م عاد من فرنسا ليعمل مدرساً بكلية الشريعة، ثم نقل منها إلى كلية اللغة العربية مدرساً للأدب المقارن وللنحو والصرف حتى رقي لدرجة أستاذ صاحب كرسي، ثم إلى عميد كلية.

في عام ١٩٤٧ طلبته لجنة المؤتمر الثقافي العربي الأول المنعقد في (بيت مري) في لبنان ليمثل الأزهر وقد صحبه في تمثيل الأزهر كل من المرحوم الشيخ محمد عرفة، والشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، وقد انتهز هذه الفرصة فزار معظم المدن اللبنانية والسورية والتقى بعلماء هذه المدن.

في عام ١٩٤٩م طلبته جامعة الإسكندرية ليدرس بكلية الآداب بها، مادتي النحو والصرف، بمرتب كبير أكبر من المرتب الذي كان يحصل عليه من الأزهر، ولكنه تذكر وصية أمه، بعدم ترك الأزهر، فرفض هذا الغرض واعتذر لهم، لكنهم انتدبوه بعض الوقت ليقوم بالتدريس في الجهتين معاً، فوافق على ذلك.

عام ١٩٥١م زار نيجيريا، وهي أكبر دولة إسلامية في إفريقيا بتكليف من المجلس الأعلى للأزهر فقضى بها خمسة أشهر، زار فيها أهم مدنها

وقابل أمراءها وعلماءها واستقبلته الجماهير هناك بحفاوة بالغة.

في عام ١٩٥٢ زار باكستان ممثلاً للأزهر في المؤتمر الإسلامي المنعقد بكراتشي حيث ألقى بحثاً قيماً نال إعجاب أعضاء المؤتمر.

في مارس ١٩٥٩ صدر قرار تعيينه عميداً لكلية اللغة العربية، حتى حان موعد إحالته إلى المعاش في سبتمبر ١٩٥٩م، فصدر قرار جمهوري بمد خدمته عاماً، ولما انتهى صدر قرار بمد خدمته ثلاثة أشهر حتى ترك العمل الوظيفي في ديسمبر عام ١٩٦٠م.

ما أكرم الله تعال به الشيخ الدكتور محمد محمد الفحام من سعة أفق ودراية واسعة بالعالم وثقافاته المتعددة، وما تميز به من أخلاق كريمة، وما اجتمع لديه من علوم نافعة اتجهت أنظار المسلمين إليه تسعى إليه راجية زيارته إليها، وقد لبى أكثر هذه الدعوات بالرغم من كثرتها، والمشقات التي تحملها فيها.

حتى بعد أن أحيل للمعاش استمرت هذه الزيارات ففي عام ١٩٦١م سافر إلى باكستان بناء على طلبهم له لوضع بعض المناهج الدراسية هناك، ثم سافر منها إلى الهند والتقى بعلمائها، وفي عام ١٩٦٣ سافر إلى موريتانيا ممثلاً للأزهر حيث اجتمع به علماؤها ومنحوه لقب (مواطن موريتاني) موقع عليها من وزير الداخلية مع توقيع العلماء.

وفي عام ١٩٦٤ سافر إلى إندونيسيا بتكليف من المجلس الأعلى للأزهر للاشتراك في المؤتمر الإسلامي هناك.

وفي عام ١٩٦٥م عاود السفر إلى إندونيسيا لحضور مؤتمر مندوبي الدول الإسلامية والإفريقية.

وفي عام ١٩٦٧ زار ليبيا والجزائر وأسبانيا، كما لبى الدعوة لزيارة الاتحاد السوفيتي وجمهورية أوزباكستان وجمهورية طاجيكستان.

كما زار إيران بدعوة من وزارة الأوقاف هناك والتقى بعلماء الشيعة، كما زار اليابان، عام ١٩٧٦.

أما السعودية فقد زارها عدة مرات حيث أنه حج ست مرات واعتمر ثلاث مرات.

أما نتيجة هذه الزيارات فيقول عنها الشيخ الفحام:

إن المسلمين مقصرون في حق الدعوة الإسلامية وأن العالم مستعد الآن لقبول هذه الدعوة إذا عرّفناه بالإسلام على حقيقته وهذا يحتاج إلى إعداد الداعية الإسلامي الذي يفهم أهداف الإسلام فهما واعيا والذي يجمع إلى العلم الغزير والعمل الصالح: الخلق الكريم حتى يصبح قدوة صالحة حسنة بصلاحه وتقواه.

صدر القرار الجمهوري بتعيين الدكتور محمد محمد الفحام شيخاً للأزهر عام ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م وقام بأعباء الأزهر في مرحلة خطيرة وسط تيارات عنيفة وكان من بينها فتنة التبشير التي جاهد فيها جهاداً كبيراً ليقضي عليها. وقد ساعده على ذلك مجموعة من الدعامات:

أولها: موهبته الفطرية المزدهرة.

ثانيها: علمه الغزير.

ثالثها: رحلاته العديدة المتنوعة.

رابعها: صداقاته الوثيقة بزعماء العالم الإسلامي.

خامسها: معرفته بالعوامل الاقتصادية والطبائع البشرية.

سادسها: عمله بمجمع البحوث الإسلامية ومجمع اللغة العربية.

في عام ١٩٧٢م تم انتخاب الدكتور محمد الفحام عضواً بمجمع اللغة العربية وأقام المجمع حفل استقبال له، وألقى الدكتور أحمد عمار كلمة رحب فيها بالدكتور الفحام، وقال: إن بين الأزهر الشريف ومجمع اللغة العربية

لرحماً ماسة ونسباً قريباً، هذا يحافظ على القرآن الكريم كتاب العربية الأكبر، وهذا يراعي اللغة العربية ويجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون والحضارة.

رد الدكتور الفحام وقال: إني لأعلم أنكم تكرّمونني إنما تكرّمون الأزهر الذي أسعد بخدمته والذي كان وما زال ولن يزل إن شاء الله تعالى الحصن الحصين والحارس الأمين لعلوم الشريعة الإسلامية وعلوم اللغة العربية، إن اللغة العربية دخلت في صراع مرير مع لغات أخرى كثيرة فكتب لها النصر دائماً بفضل القرآن الكريم والسنة المحمدية، والحضارة الإسلامية، ثم تحدث عن العامية وهاجم أنصارها، وفند آراءهم بأدلة قوية.

كما كان له دور في القضاء على الفتنة التبشيرية التي كان يقصد بها تمزيق الشعب المصري، حيث بدأت هذه الفتنة في لبنان، بإصدار سلسلتين من الكتب التبشيرية، إحداهما بعنوان: (في الحوار المسيحي الإسلامي) والثانية بعنوان: (دراسات قرآنية) وكان الهدف منها ادعاء أن الإسلام امتداد للمسيحية وأن محمداً ﷺ ليس رسولاً وإنما هو مسيحي مؤمن بالمسيحية، حيث درس السريانية والعبرية، وترجم عنهما الكتاب المقدس، وهذه الترجمة هي القرآن الكريم، وأنه رأي الناس منصرفين عن المسيحية فجاء ليردهم إليها، وتوالت الكتب التبشيرية وغمرت العالم الإسلامي وبخاصة مصر، حيث صارت فيها فتنة طائفية عمياء.

عقد الإمام الدكتور الفحام اجتماعاً لمجمع البحوث عام ١٩٧١م، وقرر المجلس اختيار خمسة باحثين للرد على هذه الكتب التبشيرية، لكن قبل أن تبدأ الجنة عملها، قامت مظاهرة مسيحية في مدينة الخانكة حيث أطلق المسيحيون النار على المسلمين، فثار بعض المسلمين للانتقام من المسيحيين، وهنا تحرك الرئيس محمد أنور السادات وألف لجنة برئاسة الدكتور جمال العطيفي وكيل مجلس الشعب، وكانت اللجنة تضم ثلاثة من المسلمين وثلاثة من المسيحيين،

وزارت اللجنة الإمام الأكبر الشيخ محمد الفحام والأنبا شنودة واستجاب الجميع لصوت العقل والحكمة، وعاد الشعب المصري إلى وحدته التاريخية.

لقد أثقلت الأعباء الجسام الإمام الأكبر الشيخ الفحام واشتدت به الأمراض فطلب الإقالة من المشيخة فصدر القرار بقبول استقالته وتعيين الدكتور عبد الحليم محمود شيخاً للأزهر في مارس عام ١٩٧٣م.

اشتهر الإمام الفحام بدماثة أخلاقه، حيث كان يدفع السيئة بالحسنة، ويقابل العدوان بالإحسان ويعالج المشكلات بالرفق واللين، ويلوم نفسه في مواجهة أي تقصير صدر من الآخرين في حقه.

آثاره العلمية:

١- رسالة (الموجهات) في المنطق التي ألفها وهو في مرحلة التعليم الثانوي.

٢- بحث عن (سيبويه) ناقش فيه أراءه النحوية دون عصبية.

٣- مقالاته العديدة المتنوعة التي كان ينشرها في مجلة المعرفة في باريس، وكذلك مجلة الأزهر، ومجلة مجمع اللغة العربية.

٤- كتاب (المسلمون واسترداد بيت المقدس).

٥- محاضرته في نادي ضباط الشرطة في الزمالك بعنوان (أثر الإسلام في توجيه القادة والإداريين).

وأخيراً لقي ربه بعد جهاد طويل مع العلم ثم مع المرض في الثمانين من عمره المديد. رحمه الله رحمة واسعة .

* * *

الأربعون: الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود

ولد الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود بقريته التي أسمها (أبو أحمد) من ضواحي مدينة (بلبيس) بمحافظة الشرقية سنة ١٩١٥م والتي سميت فيما بعد باسم (السلام).

نشأ في أسرة صالحة مشهورة بالتمسك بشعائر الإسلام وكان والده الشيخ محمود علي رحمه الله شغوفاً بالثقافة الدينية في حلقات العلم بالأزهر، ولكن والده توفي فاضطر إلى أن يعود إلى قريته لرعاية أسرته بها، وترك الأزهر، ولكن ظل قلبه معلقاً بالأزهر وتمنى أن يرزق ولداً يدرس بالأزهر ويكمل دراسته وحقق الله تعالى أمنيته فرزق بعبد الحليم.

كان الوالد ذكيا حسن التأني والتصرف في المشكلات مع التمسك بالحق والجهر به، مما دعا الحكومة أن تعينه قاضياً في المحاكم الإقليمية التي كانت تعرف (بمحاكم الخط) وكانت أحكامها نافذة وكان لها دور في سرعة الفصل في الخصومات.

أسلم ولده لكتاب القرية فحفظ القرآن الكريم ثم ألحقه بالأزهر سنة ١٩٢٣م ولما أنشئ معهد الزقازيق حوله إليه لقربه من القرية، وفي الزقازيق افتتح معهد مسائي للمعلمين لتخريج مدرسين بالمدارس الأولية في زمن قصير لمدة سنتين فالتحق به عبد الحليم مع استمراره بالأزهر حيث جمع بين الدراستين، ونجح الطالب في الدراستين وعين مدرسا ولكن والده رفض قبول هذا التعيين لأنه كان يعد ابنه لمستقبل أكرم.

أكب على دراسته الأزهرية واختزل مدة الدراسة حيث عكف على الاستذكار في المنزل وحصل على الشهادة الثانوية في عامين وذلك عام ١٩٢٨ وكان النظام في الأزهر يتيح هذه الفرصة، ثم أتم دراسته العالية وحصل على الشهادة من الكلية عام ١٩٣٢ وكان أصغر الناجحين فيها.

تطلع إلى استكمال دراسته العالية في الجامعات الغربية، وفعلا اتجه إلى جامعة السوربون في باريس وكان ذلك على نفقته الخاصة، وآثر أن يدرس تاريخ الأديان، والفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس وحصل على شهادة عليا في كل منها، وكان قبل ذلك قد أتقن الفرنسية، وفي عام ١٩٣٧م التحق بالبعثة الأزهرية مما خفف عن كاهله النفقات الباهظة التي كان يتكبدها، وآثر أن تكون رسالته للدكتوراه في التصوف الإسلامي، وأن يكون موضوعها (أستاذ السائرين: الحارث بن أسد المحاسبي).

وفي أثناء إعداد رسالته قامت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر عام ١٩٣٩ وبالرغم من عودة الكثيرين إلى أرض الوطن، ولكنه آثر البقاء لإكمال رسالته، وفعلا أتم رسالته، ونوقشت في ٨ يونيه عام ١٩٤٠ ونال درجة الدكتوراه بدرجة الامتياز بمرتبة الشرف الأولى، وقررت الجامعة طبعها بالفرنسية على نفقتها وهو تقدير لم ينل مثله إلا القليلون.

حينئذ قرر العودة إلى وطنه من مرسيليا عن طريق البحر، ولكن دخول إيطاليا الحرب ضد فرنسا أغلق في وجهه الطريق، فسافر إلى أسبانيا وهو بلد محايد في ذلك الحين وتعذرت عليه سبل المواصلات وظل يتردد بين فرنسا وأسبانيا وأخيراً قرر السفر عن طريق رأس الرجاء الصالح حول قارة إفريقيا فقضى في هذا الطريق أربعة أشهر قاسى فيها كثيراً من المتاعب حتى عاد إلى وطنه أخيراً في أواخر عام ١٩٤٠م.

تولى الدكتور عبد الحليم محمود العمل أستاذاً لعلم النفس بكلية اللغة العربية، ثم أستاذاً للفلسفة بكلية أصول الدين عام ١٩٥١م، ثم عميداً لها عام ١٩٦٤، ثم عين عضواً بمجمع البحوث الإسلامية، ثم عين أميناً عاماً لهذا المجمع، وبعد أن استوعب فهم مهام المجمع بدأ بتكوين الجهاز الفني والإداري من خيار موظفي الأزهر، كما عنى باختيار المكان المناسب لهذا

الجهاز مع تجهيزه بمكتبة ضخمة وذلك من خلال صلاته بأصحاب المكتبات والمؤلفين والباحثين دون أن يكلف الدولة شيئاً.

ثم أقنع المسئولين بتخصيص قطعة أرض بمدينة نصر وبنى عليها مبنى كبيراً ليضم المجمع وجميع أجهزته العلمية والإدارية إلى جانب عمل قاعة فسيحة لعقد المؤتمرات.

كما اهتم بالمكتبة التي كانت تشغل جانباً من أروقة الأزهر فأقنع المسئولين بتخصيص قطعة أرض لإنشاء مكتبة الأزهر وقد تم ذلك على أعلى مستوى، كما استطاع إنشاء جهاز فني من الباحثين في كل التخصصات لتساعد المجمع على أداء مهمته.

في عام ١٩٧٠م تم تعيينه وكيلاً للأزهر، فضاعف جهوده للقيام بكل ما يخدم الدعوة الإسلامية مع استمراره في إلقاء محاضراته في كلية أصول الدين، ومعهد الدراسات العربية، ومعهد الدراسات الإسلامية، ومعهد تدريس الأئمة إلى جانب محاضراته العامة في الجمعيات والأندية الكبرى، كما كان يواصل الكتابة في الدراسات الإسلامية والإشراف على رسائل الدكتوراه وهذا أيضاً إلى جانب أحاديثه في الإذاعة والتليفزيون.

لم يقتصر نشاطه وجهاده في داخل مصر بل امتد نشاطه إلى خارج البلاد فسافر إلى أكثر من عشرين دولة بدعوات من قادة هذه الدول، تمتد هذه الدول من الفلبين وإندونيسيا شرقاً إلى أمريكا غربا، وإلى تشاد في إفريقيا جنوباً

تم اختياره وزيراً للأوقاف وشئون الأزهر حيث قام بتنظيم الأجهزة الفنية والإدارية في الوزارة، كما أنشأ مجلساً استشاريا يجتمع كل أسبوع من وكلاء الوزارة وعدد من الفنيين من داخل الوزارة وخارجها والاجتماع كان يرأسه وذلك لاتخاذ القرارات الخاصة بالمشروعات الهامة كما أنشأ عدداً

كبيراً من المساجد وأعطى مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط عناية خاصة إذ كادت معالمه تندرس، كما وضع منهجاً لتحفيظ القرآن في جميع قرى مصر ومدنها، وبين طلبة الجامعات والمعاهد والمدارس، ورصد مكافئات مجزية للحافظين والمحفظين، حتى وصل عدد حلقات التحفيظ إلى ألف حلقة، لا يقل عدد المنتسبين إليها عن عشرين ألفا، وضم إلى الوزارة في عام واحد ألفاً وخمسمائة مسجد، ورسم خطة لتوالي ضم بقية المساجد الأهلية.

طلبت منه حكومة ليبيا إعداد منهج لكلية كبرى للدعوة الإسلامية لتخريج مبشرين بالإسلام في أنحاء أوروبا وأمريكا وسائر القارات، فأعد منهجا مفصلاً تستطيع الدول الإسلامية جميعها أن تنتفع به لنشر الدعوة الإسلامية في ربوع العالم.

كان يفتح مكتبه يوم الخميس من كل أسبوع لجميع الزائرين ولمن كان عنده اقتراح للإصلاح ورصد مكافأة لأصحاب الاقتراحات المفيدة، كما استعاد أراضي الوقف من الإصلاح الزراعي التي كان قد ضمها لإدارته لصالح الوزارة، فتضاعفت حصيلتها، لذلك استعادها وأنشأ لها إدارة خاصة لإدارة شئونها.

لذلك ترك بصمات واضحة أثناء توليه الوزارة إلى أن صدر قرار بتعينه شيخاً للأزهر.

صدر القرار الجمهوري بتعيين فضيلة الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود شيخاً للأزهر في ٢٧ مارس ١٩٧٣م وبذلك تفرغ من الأعمال الإدارية والأجهزة التنفيذية التي كانت تستهلك معظم الوقت، وخصص وقته لما فيه خدمة الإسلام والمسلمين، في مجال العلم والدرس والبحث والتأليف، والدعوة الدينية، وكان من مطالبه: إعادة أوقاف الأزهر إليه من الإصلاح الزراعي، وكان مما قاله في كتابه (أبو البركات سيدي أحمد الدردير).

لقد كان موقوفاً على الأزهر ما لا يكاد يحصى من أموال، وكان الأزهر يعيش في حدود أوقافه، كريم النفس رافع الرأس، وكان لا يشعر بضيق في دنياه لأنه يعرف ماله، وفي حدود دائرته ينفق ولا يتجاوز دائرته.

كانت الفتوى إن الذين استولوا عليها إنما يأكلون حراماً ولا يتقبل لهم عمل، وإن الرجل ليقذف باللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل له عمل أربعين يوماً، حتى ولو كان أخذها بالشراء، لبطلان البيع والشراء فيها، وقد وفق في ذلك وردت الأوقاف وعمل لها إدارة خاصة بها وقد أشرنا إلى ذلك من قبل.

لقد فشل الاستعمار في القضاء على القرآن الكريم، ولا ينسى العالم موقف اللورد (غلادستون) في مجلس اللوردات ممسكا بالمصحف في يده قائلاً لأعضاء المجلس: "ما دام هذا الكتاب على الأرض فلا سبيل لنا إلى إخضاع المسلمين" كما فشل في القضاء على اللغة العربية ولكنه نجح نجاحاً كبيراً في إبعاد الشريعة الإسلامية عن التطبيق حيث استبدلها بقوانين أجنبية ولم يبق من التشريعات الإسلامية إلا أحكام الأحوال الشخصية، لذلك ألقى الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود محاضرة في نادي القضاء بين فيها: أن المشرعين من رجال الفكر يختلفون في تشريعاتهم اختلافاً كبيراً بيّناً وضرب مثلاً بأفلاطون الذي وضع مخططاً لقيام جمهورية مثالية، ودعاه أولوا الأمر إلى تطبيق تشريعي لهذه الجمهورية، ففشل فشلاً ذريعاً وكذلك قامت النازية والفاشية ففشلا فشلاً ذريعاً، وكذلك قامت الشيوعية وهي تترنح الآن لتسقط، لأنها تختلف من شيوعية السوفيت إلى شيوعية الصين إلى شيوعية يوغسلافيا إلى شيوعية حزب العمال البريطاني، بل كل حزب شيوعي يختلف في قواعده ومناهجه عن الحزب الشيوعي في بلد آخر، وكذلك الحال في الرأسمالية فهي تختلف من بلد إلى بلد، بل ومن جيل إلى جيل، أما شريعة الله تعالى فهي خالدة ثابتة ما بقيت الأرض والسموات، ولهذا نزلت الأديان هادية للعقل

البشري من ذلك التخبط في النظم والأفكار والنظريات.

لذلك كان هدف الاستعمار القضاء على هذه الشريعة، حتى يجد فرصته للتحكم والإذلال للشعوب الإسلامية، لذلك جاء بالقوانين الوضعية وعشرات القضاة ليحكموا بها من خلال المحاكم المختلطة ثم انتقلت منها إلى المحاكم الأهلية؛ فباسم الحرية الشخصية قتلوا كرامة الإنسان، بإباحة الربا من خلال الفوائد البنكية، وإباحة البغاء العلني بإعلانات تعلق على بيوت الدعارة، وكذلك إباحة المقامرة ما دامت غير مقترنة بالغش، وإباحة معاقرة المسكرات، وهكذا خرج الاستعمار من مصر بجنوده، لكن ترك فيها كليات الحقوق وكان نصيب دراسة الشريعة فيها ساعتين من اثنتين وعشرين ساعة في الأسبوع، وكانت النتيجة أن المحامي والقاضي وعضو النيابة يتخرج من كلية الحقوق بعقلية أوربية وفكر أوربي، وأنماط أوربية في القياس، والتوجيه والمنطق، وماذا يريد الاستعمار أكثر من أن يربط إليه أبناء أمة يتركها بهذه الطريقة.

قام الدكتور عبد الحليم بتكوين لجنة بمجمع البحوث الإسلامية لتقنين الشريعة الإسلامية في صيغة مواد قانونية في كل مذهب من المذاهب الأربعة، وأرسل ذلك إلى مجلس الشعب.

كذلك أرسل رسالة إلى رئيس مجلس الشعب يقول فيها: إن الأزهر يذكّر كل من مكن الله له في الأرض أن الإسلام لن يبقى في انتظار المناقشات باسم الديمقراطية، فقد ارتضى شعبنا الإسلام دينا، ورفع رئيس الجمهورية شعار (العلم والإيمان) فلا تعطيل لشريعة الإسلام وإنما هو مسئولية الهيئة التشريعية ومسئولية كل من يملك القدرة على تنفيذ أحكام الله تعالى.

فمن العجب أن نجد من يقول في وسائل الإعلام؛ أن الشريعة الإسلامية التي نزلت ببيئة محدودة منذ أربعة عشر قرنا لا تصلح للحكم بها الآن، وهكذا يتطاولون على شريعة الله تعالى.

من جهاد الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود: جهاده في الحفاظ على استقرار اللغة العربية والتمكين لها في مصروفي محيطها العربي والإسلامي، هذه اللغة التي ظلت لغة الحضارة والعلوم والعقيدة الدينية، من تخوم الصين إلى المحيط الأطلسي، ومن مشارق جبال البرانس إلى أواسط أفريقيا، وقد استوعبت حضارة الإغريق والرومان والفرس والهند والصين.

لقد شن أعداء الإسلام حروباً عنيفة على اللغة العربية وعلى الخط العربي، معتقدين أن في القضاء عليهما قضاء على العروبة والإسلام، وقد اهتم الإمام الأكبر بهذه الحملات فجمع أعضاء مجمع البحوث الإسلامية وأصدر باسمه وباسم مجمع البحوث الإسلامية النداء التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم: نداء إلى شعوب الأمة الإسلامية، بشأن: تعليم اللغة العربية وخطورة كتابة لغات المسلمين غير العربية بالحروف اللاتينية.

باسم الإسلام الذي جمع كلمة المسلمين على ما فيه خيرهم وخير الإنسانية، وجعلهم في مشارق الأرض ومغاربها أخوة متساويين لا فرق بينهم على أساس من الجنس أو الوطن أو اللون، يتقدم مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بهذا النداء إلى جميع المسلمين الذين يتكلمون بلغات وطنية غير العربية ليضع أمامهم رأي الإسلام في تعلم لغة الإسلام التي هي أساس عبادتهم ووسيلة تفاهمهم في دينهم، ووعاء ثقافتهم الروحية، ورمز وحدتهم"، كما جاء في النداء أيضاً ما يلي:

لقد صرح الإمام الشافعي بوجوب تعليم اللغة العربية على جميع المسلمين، كل بالقدر الذي يستقيم به دينه للعبادة، فأشار إلى قوله تعالى: **﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾**[1] وإلى قوله تعالى: **﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً**

---

(١) الشعراء: ١٩٢- ١٩٥.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

وعلى ذلك فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلوا كتاب الله تعالى وينطق بالذكر فيما افترضه الله عليه من التكبير، وأمره به من التسبيح والتشهد وغير ذلك.

وإن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر يذكّر المسلمين جميعاً بأن قيام الدين الإسلامي متوقف على العلم بلغة كتابه المنزل، وسنة نبيه المرسل، سواء في ذلك هدايته الروحية، ورابطته الاجتماعية، وبدوري[2]:

اذكر الإخوة المصريين أصحاب المحلات التجارية بالقاهرة الذين أزالوا اللافتات التي كانت على محلاتهم باللغة العربية، وأحلوا محلها لافتات مكتوبة باللغات الأجنبية، أن يعودوا إلى وطنيتهم وعروبتهم وإسلامهم، برفع هذه اللافتات الدخيلة على وطننا وعلى عروبتنا وعلى إسلامنا، فإن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم الذي نتعبد الله تعالى به، فالاستهتار باللغة والاستهانة بها: هي استهانة بلغة القرآن الكريم واستهانة بلغة الدين الذي جاء به القرآن الكريم، فما حدث خلال هاتين السنتين من الاستهانة باللغة العربية وإزاحتها من واجهات المحلات لا يرضاه الله تعالى ولا يرضاه مسلم غيور على دينه، ولا عربي غيور على لغته العربية: اللهم إني قد بلغت اللهم فاشهد.

لم يقتصر جهد الدكتور عبد الحليم محمود على الأزهر، والأمور الداخلية في مصر، بل تعداها إلى محاولة علاج المشاكل التي تهب على العالم العربي والإسلامي، ففي عهده نشبت الحرب بين المغرب والجزائر بسبب مشكلة الصحراء التي كانت أسبانيا تحتلها، فأسرع الإمام الأكبر بإرسال برقية

---

(١) الزخرف: ٣.

(٢) أنا الفقير إلى الله د/ أحمد علي طه ريان.

إلى كل من ملك المغرب ورئيس الجزائر يقول فيها بعد البسملة والتحية، فقد روّعنا كما روعت العالم الإسلامي كله تلك الأنباء المؤسفة عن نشوب صدام عسكري بين قوات القطرين الشقيقين: الجزائر والمغرب، فإن من شأن هذه الحوادث أن تمزق أواصر الصداقة والأخوة، وحسن الجوار، بين الإخوة الأشقاء، لذلك يناشد الأزهر الشريف الرئيس (هواري بومدين) وجلالة الملك (الحسن) أن يتغلبا على نوازع الخلاف، وعوامل الشقاق والفرقة، نناشدكم باسم الدين، وباسم الإسلام، وباسم الأخوة والحق والعدل، أن تلقوا السلاح بينكم وأن تجلسوا على مائدة الأخوة وأمامكم الكتاب الكريم ومبادئ الإسلام القوية لتتفاهموا على قضاياكم في جو من حسن النية، والرغبة في الحفاظ على وحدة الصف العربي، ثم ختم هذه لرسالة المطولة - التي اقتصرت على بعضها - بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]، شيخ الأزهر الدكتور/ عبد الحليم محمود.

ولم يكتف بذلك بل أرسل رسالتين إحداهما إلى رئيس مصر السيد/ أنور السادات، والملك خالد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية يحثهما على التدخل بين المغرب والجزائر والتوسط لحل الخلاف بينهما.

وقد تلقى الرد منهما بشكره على رسالته وأنهما سيبذلان جهدهما مع الفريقين لحل هذه القضية.

ولما اندلعت الفتنة الكبرى في لبنان التي كادت تدمره، أصدر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود بيانا شديد اللهجة جاء من عباراته: إلى متى؟ وإلى أين؟ هل يراد إنقاذ لبنان؟ إذن ففيم ذبح الوحدة الوطنية في لبنان؟ هل يراد تحرير فلسطين؟ إذن ففيم إبادة الشعب الفلسطيني في لبنان؟ وهل من أساليب العلاج أن يتحول بعضنا عن مقاومة العدو إلى تصفية أعداء العدو في

---

(١) آل عمران: ١٠١.

لبنان؟ إن الأزهر شيخه وعلماؤه وجامعته، ومعاهده، وجميع العاملين فيه، ومن ورائه العالم الإسلامي والعربي يستنكرون اشتعال الفتنة واستمرارها. ويناشدون كل ملك وكل رئيس في موقع عربي وإسلامي وجامعة الدول العربية: التحرك للإصلاح والتوفيق، شيخ الأزهر الدكتور/ عبد الحليم محمود.

الأزمة العاتية التي دفعت الدكتور/ عبد الحليم محمود إلى الاستقالة ولزوم بيته:

كان سبب هذه الأزمة؛ تعيين وزير لشئون الأزهر وهو الشيخ عبدالعزيز عيسى، وجاء في قرار التعيين: التوسع في الاختصاصات، بما في ذلك التصرف في كل شئون الأزهر، حتى أن منصب شيخ الأزهر صار شكليا وكذلك المجلس الأعلى للأزهر، فكتب الدكتور/ عبد الحليم محمود رسالة مطولة لرئيس الجمهورية شرح فيها أسباب استقالته، كما أرسل رسالة للشيخ بيصار وكيل الأزهر أن يدير شئون الأزهر حتى يتم تعيين شيخ جديد للأزهر كما طلب منه تسوية معاشه.

وكان الرد عليه: بأن هذه الاختصاصات التي يتمتع بها وزير شئون الأزهر مدتها أربعة أشهر؛ حيث توضع اللائحة التنفيذية التي سيوضح فيها الاختصاصات التفصيلية لكل من شيخ الأزهر ووزير شئون الأزهر، فكان رد الدكتور/ عبد الحليم محمود، إن هذه اللائحة حدد لصدورها أربعة أشهر منذ عام ١٩٦١م منذ صدر قانون الأزهر، وحتى الآن في عام ١٩٧٤م لم تصدر اللائحة، وهي نفس المشكلة التي تسببت من قبل في استقالة الشيخ محمود شلتوت من قبل، وأخيراً صدرت اللائحة في عام ١٩٧٥م وحينئذ سحب الدكتور/ عبد الحليم محمود، استقالته وعاد لممارسة مهام المشيخة كما كان، لكن توالت عليه مشكلات عاتية أخرى مثل:

بعد عودة الدكتور/ عبد الحليم محمود للمشيخة هبت عليه مجموعة من الأزمات العاتية، فتصدى لها بكل حزم وقوة.

أ- الأزمة الأولى: قانون الأحوال الشخصية حيث كانت السيدة عائشة راتب حريصة كل الحرص على إصدار قانون جديد للأحوال الشخصية دون أن ترجع إلى الأزهر في إقرار هذا القانون وأعدت مشروعاً أصدره المكتب الفني لرئيس الجمهورية، وكانت مهتمة بإقراره من مجلس الشعب على وجه السرعة حيث وضع فيه قيوداً على حقوق الزوج التي قررها الإسلام.

فأصدر بياناً قويا حذر فيه من الخروج على تعاليم الإسلام وأرسله إلى جميع المسئولين وإلى أعضاء مجلس الشعب، وإلى الصحف، وجاء في هذا البيان:

"إن وضع قيود على حق الرجل في الطلاق لا يجوز فإنه يوقعه حينما يشاء لحكمة يراها لا قيد عليه في ذلك ولا تحديد، وذلك هو الأمر الذي سار عليه التشريع الإسلامي منذ نشأ بل هو الأمر الذي يلجأ إليه الغرب الآن حتى في إيطاليا نفسها، حيث يقول أحد المستشرقين هل يوجد أشد من الحكم على زوجين خاب ظنهما في الزواج ولم يدركا السعادة التي طلباها من وراء ذلك فهل هناك أشد من أن يحكم عليهما بأن يخلدا إلى الشقاء، ويقضيان بقية حياتهما في عذاب ونكد وشقاء، قد يكون أحدهما عاقراً، أو غير كفء وغير ذلك من الأسباب.

كما جاء في هذا البيان: "إن التعدد الذي أباحه الإسلام لا يمكن القبول بمنعه أو تقييده، لقد فعله الخلفاء الراشدون والتابعون ومن بعدهم من المسلمين، وجاء القرآن الكريم بإباحته كما جاءت بذلك السنة.

ومن المذهل والمضحك: ما حدث في أحد الأقطار الإسلامية التي منعت تعدد الزوجات: أن حدث أن مرضت لرجل زوجته وله منها أولاد، فماذا

يفعل، هل يطلقها ولم تكن هي السبب فيما حدث لها، هل يزني والزنى حرمه الإسلام فتزوج بأخرى في السر فبلغ عنه السلطات، فقبضوا عليه متلبساً في بيت الزوجة الثانية، وأحيل إلى التحقيق في جريمة الزواج بامرأة أخرى، وجاء في التحقيق: هل تزوجت بزوجة ثانية؟ قال: لا، قالوا: لقد كنت عندها؟ قال: نعم، هل تنفق عليها؟ قال: نعم. قالوا: هل استأجرت لها مسكناً؟ قال: نعم. قالوا: هل تبيت عندها؟ قال: نعم. قالوا: ماذا تكون هذه المرأة؟ قال: هي عشيقة. قالوا: اذهب لا ملام عليك ولا لوم عليك. وهكذا حرموها زوجة، وأباحوها عشيقة.

وكتب المستشرق الفرنسي (اتيين دينيه) الذي أقام في الجزائر في عهد احتلال فرنسا للجزائر وعاصر عهدين؛ العهد الأول كان فيه الطلاق مباح، والتعدد كذلك، ثم منع الطلاق ومنع التعدد، فقال في أحد كتبه عن العهد الذي منع فيه الطلاق والتعدد: قال وجدت ظواهر ثلاث لم تكن موجودة أيام إباحة التعدد والطلاق، وهي:

الأمر الأول: كثرة العوانس.

الأمر الثاني: كثرة اللقطاء.

الأمر الثالث: كثرة الأمراض السرية.

التعدد في الإسلام ليس مفروضا، ولكن في حالات خاصة، ومقيد بثلاثة قيود:

أولها: أن يكن قادراً على إعفاف الزوجتين أو أكثر التي يريد التزوج بهن.

ثانيهما: أن يكون قادراً على الإنفاق عليهما أو عليهن.

ثالثهما: أن يكون قادراً على العدل بين الزوجتين أو الزوجات.

فإذا عجز عن واحدة من هذه الأمور الثلاثة فلا يحل له التعدد، ومعلوم

أن نسبة من يعدد في مصر لا يزيد عن نصف في الألف.

وبعد: ألا ينساق مجلس الشعب وراء أهواء تنحرف بالإسلام، إنه لا قيود على الطلاق إلا من ضمير المسلم، ولا قيود على التعدد إلا من ضمير المسلم. شيخ الأزهر الدكتور/ عبد الحليم محمود

على الفور صدرت التعليمات إلى الصحف بعدم نشر البيان، واجتمعت الحكومة لينظروا في هذا البيان، واضطرت الحكومة إلى إرسال رسالة إلى الإمام الأكبر جاء فيها: تأكد يا فضيلة الإمام الأكبر إننا لا نصدر قانوناً للأحوال الشخصية إلا إذ عرض عليكم ووافقتم عليه فضيلتكم بالذات.

أزمة الأزهر مع المحكمة العسكرية التي تولت محاكمة جماعة التكفير والهجرة عام ١٩٧٧م.

قامت في مصر جماعة متطرفة، ترى أن الحكومة كافرة، وتقترح على أتباعها الهجرة من بلاد الكفر وهي مصر إلى بلد إسلامي حتى تتمكن من العودة لإقامة حكومة إسلامية أصيلة، وخطفوا المرحوم الشيخ محمد حسين الذهبي وزير الأوقاف الأسبق وطالبوا الحكومة بدفع مائتي ألف جنيه لإطلاق سراحه، ولم تستجب الحكومة فقتلته الجماعة.

شكلت محكمة عسكرية لمحاكمة الجماعة، وبعد انتهاء التحقيق والمحاكمة أرسلت ملخصا بذلك وطلبت من وزير الأوقاف إبداء رأي الإسلام في هؤلاء، فحول وزير الأوقاف الشيخ محمد متولي الشعراوي الموضوع إلى المكتب الفني فأرسل المكتب رأيه في هذه القضية، إلى المحكمة فلم تقتنع به، فعادت المحكمة إلى وزير الأوقاف ليحدد اسم عالم كبير ليطلع على ملخص القضية ويخطرهم برأيه في القضية، فحوله الوزير إلى وكيل الوزارة لشئون الدعوة، فأبدى رأيه في القضية ولم تسترح المحكمة لهذا الرأي، واتصلت المحكمة بمدير جامعة الأزهر لانتداب أحد كبار العلماء لدراسة الموضوع

فاختار عميد كلية أصول الدين فذهب إلى مقر المحكمة واطلع على محاضر الجلسات وأبدى رأيه ولم تكتف المحكمة برأيه، واتصلت المحكمة بعدد من كبار الشيوخ، وكان منهم الدكتور محمد البهي، وزير الأوقاف الأسبق والشيخ عبد العزيز عيسى وزير الأزهر الأسبق، والشيخ عبد الجليل عيسى، فاعتذر البعض، وطلب البعض الاطلاع على أصل المحاضر فلم يستجب لهم، واتصلت المحكمة بالأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وحددت له أياما معدودة ليطلع على المحاضر التي تتألف من أكثر مائة ألف صفحة وكان الرد يحتاج إلى مئات الصفحات، فلم يتمكن وأصدرت المحكمة حكمها ثم هاجمت المحكمة علماء الأزهر هجوماً عنيفاً، لأنهم أهملوا هذا الفكر ولم يقوموا بمناظرة أصحاب هذا الفكر، وأن المحكمة اضطرت لإصدار حكمها في غياب علماء الأزهر، وأنها تسجل أسفها للتاريخ لما أصاب الإسلام على يد من يتقاعس عن أداء رسالته، ووا أسفاه على إسلام ينزو فيه رجال الدين في كل ركن هاربين متهربين من أداء رسالتهم والإفصاح عن رأي الدين فيما يعرض عليهم من أمور فلا هم أدوا رسالتهم، وأعلنوا كلمة الحق، ولا هم تركوا أماكنهم لمن يقدر على أداء الرسالة، ونشرت الصحف ذلك.

غضب الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود، فأصدر بيانا شديد اللهجة ضد المحكمة ودافع عن الأزهر وعلمائه وفند أقوالها ولكن الصحف امتنعت عن نشر البيان ولم تنشره إلا صحيفة الأحرار وكانت صحيفة معارضة وبعض المجلات الدينية.

ومما جاء في هذا البيان: أن الأزهر ليأسف أشد الأسف للعبارات التي نشرتها صحف اليوم منسوبة للمحكمة العسكرية وإن هذه المحكمة لديها تقصير لأنها لم تضم قضاة شرعيين حتى يقفوا على كل ظروف القضية، فكيف يتأتى لعلماء الأزهر أن يبينوا موقف الشرع من وقائع لم تكن محددة

لهم: إذ كان يجب أن تعرض عليهم هذه الوقائع، وأن يسمعوا لشرح أصحابها لها، وأن يطلعوا على كافة الظروف بهذه القضية، ثم إن المحكمة تقوم بتجريم هذه الأعمال بينما رأي أهل العلم إنما يقف عند بيان الحلال والحرام ومدى مساس هذا الفكر بالدين، وأمام المحكمة شاهد حي على موقف رجال الأزهر وهو مقتل الشهيد الشيخ محمد حسين الذهبي بسبب تصديه لبيان الرأي الإسلامي الصحيح في هذه القضية.

أما القضية الثانية التي شغلت الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود أيضاً في تلك الأيام فقد اقترح الأنبا شنودة بطريرك الأقباط: تأليف كتب دينية مشتركة ليدرسها الطلاب المسلمون والمسيحيون معا وبرر اقتراحه بأنه يوحد عنصري الأمة المسلمين والمسيحيين، وقد لقى هذا الاقتراح ترحيباً من الجهات الرسمية، لكنه وجد معارضة من أهل العلم المسلمين، إذ كيف يمكن الالتقاء بين عقيدة التوحيد وعقيدة التثليث، وكيف يتم التوافق بين تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الشريك والصاحبة والولد، مع الإيمان بالآب والابن وروح القدس، ومن المعروف أن الإسلام ينفي عملية الصلب والفداء، على حين أنهما ركنان أساسيان من أركان العقيدة المسيحية.

وقد زار الدكتور/ مصطفى كمال حلمي وزير التربية والتعليم آنذاك شيخ الأزهر فقال الدكتور/ عبد الحليم محمود يوم يطلب مني مثل هذه الكتب، فلم يكون ردي إلا تقديم استقالتي فقال الدكتور مصطفى كمال حلمي، يوم أن تقدم استقالتك لهذا السبب فسأقدم استقالتي بعدك مباشرة، وهكذا قضي على الاقتراح الغريب.

كان للإمام الأكبر الدكتور/ عبد الحليم محمود عناية فائقة بالقرآن الكريم، حيث إنه أمر بطبع مصحف خاص باسم الأزهر وفعلا صدر (مصحف الأزهر الشريف) مع العناية به عناية فائقة في علامات الوقف

والوصل، فكان نموذجاً يحتذى به في طباعة المصاحف في مصر وخارجها، وهذه المكرمة لا تنسى للشيخ الدكتور/ عبد الحليم محمود.

شكل لجنة من كبار المفسرين لوضع تفسير جديد للقرآن الكريم يضم آراء المفسرين القدامى، ويضم إلى ذلك ما كشفه العلم الحديث من آيات الله الكونية الموضحة لآيات الله القرآنية على أن يكون التفسير الكامل ٦٠ جزءا في عشر مجلدات.

إنشاء كلية جديدة لعلوم القرآن الكريم، وأنشأ إدارة تشرف على عشرة آلاف مكتب للتحفيظ تنتشر في البنادر والقرى والمدن، مع عمل حوافز للطلاب والمحفظين، مع التوسع في معاهد القراءات، التي تؤهلهم للالتحاق بجامعة الأزهر.

كما أولى السنة المطهرة اهتماماً كبيرا، لأنه كان يرى السنة النبوية دعوة إلى الرقي الأخلاقي، فهي تدعو التاجر الصادق ليحشر مع النبيين والصديقين، وتدعو العامل إلى إتقان العمل، والصانع لإتقان صنعته، فالكل راع ومسئول عن رعيته.

لذلك حرص الإمام الأكبر على نشر أكبر مصنف جامع في الحديث وهو (الجامع الكبير للإمام جلال الدين السيوطي) الذي يشتمل على مائة ألف حديث وكذلك نشر كتاب مصابيح السنة للإمام البغوي، كما ألف لجنة علمية لدراسة مشكلات الحديث من حيث تعارض بعضها مع بعض، أو تعارض بعضها مع القرآن الكريم أو تعارض بعضها مع العقل، وكل هذا تعارض ظاهري لكن عند البحث والتدقيق لن يوجد هذا التعارض.

كما شجع على تحفيظ القرآن الكريم من خلال المكافآت العملية الحياتية بحيث تحسب للحافظ سنتان أقدمية عند تعيينه أو ترقيته أو عند تسوية معاشه، مع إضافة عشرين درجة إلى مجموع درجاته في الثانوية العامة، لكل حافظ

للقرآن الكريم، مع تقديم وجبة غذائية لطلاب المرحلة الابتدائية، كما زيدت في عهده المعاهد الإعدادية والثانوية ومعاهد الفتيات ومعاهد القراءات، ومعاهد المعلمين كما تم تحويل بعض المعاهد الثانوية إلى معاهد عسكرية لبث روح التضحية والفداء بين الشباب.

كان للإمام طموح في زيادة رواتب مدرسي المعاهد الدينية، وكانت الميزانية لا تسمح بذلك ولكن نظراً لثقة أمراء الخليج فيه، فهبت عليه التبرعات من دول الخليج أمراء وحكومات، ومن أصحاب رؤوس الأموال في مصر، حتى وصلت التبرعات إلى أربعة ملايين دولار، حتى أن المليونير اللبناني (جون لاتيس) تبرع له بمائة وعشرين ألف جنيه لإنشاء معهدين للفتيات، وتبرع الأهالي بالقرى والأرياف؛ بأراضي لبناء المعاهد الدينية عليها.

كما استعان الإمام الأكبر بسيدة مصر الأولى (جيهان السادات) زوجة الرئيس أنور السادات فوجهت جمعية رعاية الطلاب، لإنشاء ثلاثة أجنحة في المدينة الجامعية للبنات يتسع كل جناح لسكن عدد ٦٠٠ ستمائة فتاة، كما شرع في إنشاء عدد من الكليات في عدد من المحافظات وذلك كله بفضل ثقة العالم الإسلامي والعربي فيه.

يقول الشيخ علي عبد العظيم في كتابه: مشيخة الأزهر، عن أخلاق الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر؛ ما رأيت ذكاء في صفاء، ولا صمتاً في بيان، ولا علماً في تواضع، ولا جلالاً في تسامح، كما رأيته في الشيخ عبد الحليم محمود، حيث تخلق بالأخلاق القرآنية، وتمسك بالآداب الصوفية.

أما أخلاقه، فقد امتاز بعفة اللسان، والتسامي عن اللغو، والقصد في الحديث، كما امتاز بمحبة الصالحين، والسعي إليهم أحياء وزيارة أضرحتهم أمواتاً، ودراسة آثارهم العلمية والسلوكية الباقية.

تراه في الأزمات ينجلي فيه مضاء العزم، وجودة الرأي وسرعة البديهة، وقوة الصبر والمصابرة وطول الأناة، لكن في أدب جم، وتواضع كبير، يزينه الوقار والجلال.

إنه قلما يثور إلا إذا رأي ما يمس حرمات الله، أو ينال من شرعه القويم، وحينئذ تصطخب أمواجه وتفور تياراته، وتعصف أجواؤه، وتتفجر فيه الزلازل والبراكين، ثم بعد حين يعود إلى هدوئه وصفائه.

لقد لقي الإمام عبد الحليم محمود من العداوات والضغائن والأحقاد – ممن أحسن إليهم – مما يثير أحلم الحلماء، لكي ترفع عن الأحقاد والضغائن، وسما بروحانيته إلى عالم الصفاء والنقاء، تأسيا بقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [1]، ومع إقبال الدنيا عليه، فإنها لم تستعبده ولم تفتنه، فكان سخي اليد، فكم جاد بالأموال على الجمعيات الخيرية، وعلى جهات البر، وعلى المعدمين في تستر وخفاء، وظلت حياته هي حياته أستاذاً فوزيراً فشيخاً للأزهر.

أما تمسكه بالآداب الصوفية؛ فإنه نظر إلى التصوف بأنه يرقي بصاحبه إلى درجة الإحسان الذي حث عليه رسول الله ﷺ حين قال له جبريل عليه السلام، وما الإحسان؟ فقال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". فالذي تمتلئ مشاعره بأنه يرى الله أو يراه الله؛ لا بد أن تشغله هذه المشاهدة، عن كل ما يصرفه عن الله، من أهل أو منصب أو مال أو ولدن وحينئذ يكون الله سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، فلا يشعر إلا بالله، ولا يحس إلا بالله، ولا يرى إلا بالله، وبلوغ هذه المنزلة يقتضي جهاداً وصبراً ومثابرة مع ركونه في كل ذلك إلى توفيق الله ومعونته، إن أساس التصوف الحق هو التمسك بالقرآن الكريم، والحديث

---

(١) الحشر: ١٠.

الشريف، فمن تركهما لم يكن من الإسلام في شيء، ومن الأقوال المأثورة لدى الصوفية: "لو رأيت إنساناً يطير في الهواء ويمشي على الماء وهو يتعاطي أمراً يخالف الشرع فاعلم أنه شيطان"، إن التصوف: ليس هو الكرامات ولا خوارق العادات فإنها لا تشغل الصوفية ولكن التصوف الحق هو الارتقاء بالسلوك في العبادة المبنية على العلم بالشريعة فإن من يتدبر القرآن الكريم وينشغل به، تتفجر منه الحكمة وتبرز منه الحقائق الربانية، الصوفي لا يكون عبداً لبطنه ولا أسيراً لشهواته ولا مفتونا بدنياه منشغلا بها عن الله تعالى، ومن الأدعية المأثورة عند الصوفية "اللهم اجعل الدنيا في أيدينا، ولا تجعلها في قلوبنا" لذلك هم مشغولون بذكر الله تعالى، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[1].

فالإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود قد أكرمه ربه فتحقق بهذه المعاني السامية، رحمه الله تعالى، وألحقنا به في الصالحين.

منهج الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود في الإصلاح، وهو منتشر في كتبه الكثيرة، ولكنه أوجزه في كتابه (منهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع) الذي صدر عام ١٩٧٢م، وأهم قواعده:

أ- أننا لسنا بحاجة إلى تلمس وسائل الإصلاح من الحضارة الغربية، فليس هناك طب أمريكي أو هندسة يابانية، فالقواعد واحدة، وإذا كانت الحضارة الغربية قائمة على التجارب العلمية فإنها قد اقتبستها من الشرق الإسلامي، كما اعترف بذلك كبار الباحثين الغربيين.

ب- لسنا في حاجة إلى اقتباس الثقافة الغربية من فلسفة وتشريع واقتصاد وأخلاق، فهي متناقضة ومعتمدة على الماديات دون الروحانيات.

ت- الإسلام دين البحث العلمي التجريبي ودين السمو الروحي عن طريق

---

(١) البقرة: ١٥٢.

الإلهام والإشراق فهما الجناحان الحقيقيان لقيام النهضة الحقيقية عليها.

ث- أساس الإسلام عبادة الله، أي إسلام الوجه تعالى، فالإنسان خلق ليكون خليفة الله في أرضه، وهذا لا يتحقق إلا بإخلاص العبادة لله، واستمداد التوفيق والسداد منه سبحانه.

ج- إن العمل في الإسلام عبادة، فالسعي في سبيل الرزق عبادة، فالتجارة عبادة، والصناعة عبادة، وتملك وسائل الإنتاج عبادة.

ح- المسلم الصادق لا يخاف إلا الله تعالى، ولا يرجوا إلا الله تعالى، لأنه موقن بأن أجله مكتوب، فلن يموت قبل أن يحين هذا الأجل.

خ- قوام الإسلام هو الرحمة، فسبحانه وسعت رحمته كل شيء، ووضع أسس الرحمة بين عباده حتى يتراحموا فيما بينهم، والرحمة تصنع التعاون بين جميع الفئات؛ بين الفقراء والأغنياء، بين الحكام والمحكومين، بين العالمين والجاهلين، وهكذا.

أما آثار الشيخ عبد الحليم محمود العلمية فتثير العجب لكثرتها وتنوعها، بالرغم من انشغاله في مهامه الكبيرة في الكلية، وفي الوزارة وفي أمانة مجمع البحوث، وفي مشيخة الأزهر، فقد كانت له أحاديثه في الإذاعة والتلفاز، وكانت له محاضراته في المؤتمرات العلمية والاجتماعية والدينية، وإدارته للمعاهد الدينية والكليات الجامعية، وكل ذلك لم يحجبه عن التأليف في مناحي الحياة العلمية والفكرية والاجتماعية والصوفية، حتى وصلت مؤلفاته إلى سبع وستين مؤلفاً إلى جانب إشرافه على الموسوعات الدينية الكبيرة مثل الجامع الكبير للسيوطي، وتاريخ الإسلام للذهبي، وشرح مصابيح السنة للبغوي.

بعد هذه الحياة الحافلة بجلائل الأعمال، لقي الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود ربه في الخامس عشر من شهر ذي القعدة ١٣٩٨هـ الموافق

السابع عشر من شهر أكتوبر ١٩٧٨م راضياً مرضيا، وكانت آخر كلماته (لا إله إلا الله محمد رسول الله، الله حق) ثم لفظ نفسه الأخير وشيعت جنازته إلى مقره الأخير في قريته (السلام) وكان اسمها (أبو أحمد).

وقد قال بعض الشعراء في رثائه:

يا راحلا عمــت فجيعتــه الــورى ... فالكل مطــوي علــى حســراته

شيخ الشيوخ مضى لــساحة ربِّــه ... مستروحًا بالفيض مــن رحماتِــه

قد كان للإسلام حــصنًا باذخـــًا ... يدعو له ويَذُود عــن حُرماتِـــه

ملأ العيــون بــسمته ووقـــاره ... وحوى القلوب بحلمــه وأناتـــه

ما كفَّ عن ذِكر المهــيمِن لحظــةً ... في صحوِه أو في عميــق سُــباتِه

يا مَن ورثت المصطفى في هديــه ... وتبعتـــه مُترســـمًا خطواتِـــه

فنهلت، ثــم عللــت مــن ينبوعــه ... وقبست نور الحق مــن مــشكاته

وقضيت عمــرك رافعًــا لكتابِــه ... متـــدبرًا مـــا راعَ مـــن آياتِـــه

تصغى وتتلو ثــم تجلــو للــورى ... ما يبهــر الألبــاب مــن نفحاتــه

أرضيتَ ربــك جاهــدًا ومجاهــدًا ... فانعمْ مــع الأبــرار فــي جناتِــه

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلــى مــن جناتــه إنــه بالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

الحادي والأربعون: الإمام الأكبر الشيخ محمد عبد الرحمن بيصار

بوفاة الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود في ١٧ من شهر أكتوبر عام ١٩٧٨م صارت المشيخة شاغرة وكان الوكيل الدكتور محمد بيصار قد عين وزيراً للأوقاف وشئون الأزهر قبل ذلك، فبقي الأزهر بلا مشيخة أو وكالة لذلك صدر قرار جمهوري في ١٩ أكتوبر ١٩٧٨م بتعيين الدكتور عبد المنعم النمر وكيلاً للأزهر ومشرفاً على شئونه، حتى يتم تعيين شيخ له ليملأ الفراغ الذي تركه الإمام الراحل.

يذكر أنه بوفاة الدكتور عبد الحليم محمود، وافق مجلس الشعب على قرار بمساواة منصب شيخ الأزهر بمنصب رئيس مجلس الوزراء، من حيث المرتب، والمكافآت والمعاش والبروتوكول، وكان ذلك من آثار جهود الإمام الراحل الشيخ عبد الحليم محمود أثناء مشيخته.

في آخر يناير عام ١٩٧٩م صدر القرار الجمهوري بتعيين الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخاً للأزهر خلفاً للمرحوم الدكتور/ عبد الحليم محمود، وكان الدكتور محمد بيصار قد ولد بمدينة السالمية من أعمال مركز فوة التابعة لمحافظة كفر الشيخ في عام ١٩١٠م، فحفظ القرآن الكريم وجوده ثم التحق بمعهد دسوق الديني وكانت آمال والده أن يحقق ابنه ما كان يأمل فيه لنفسه بأن يكون أحد علماء الأزهر ولكن حالت الظروف دون تحقيق هذه الأمنية.

تحول الابن بعد إتمامه الدراسة في معهد دسوق إلى المعهد الثانوي في طنطا، وكان شغوفاً بالدراسات الأدبية والثقافية فألف رواية سماها (بؤس اليتامى) عالج ما يتعرض له اليتامى من ظلم الأوصياء، وقد وجدت إقبالاً، لكن إدارة المعهد أجرت معه تحقيقاً، إذ لا يحق لطالب العلم الديني أن يشتغل بالتأليف في مثل ذلك، وكان من نتيجة هذا التحقيق أن ترك معهد طنطا

والتحق بمعهد الإسكندرية الديني.

كانت مرحلة الثلاثينات تموج بالأزمات المالية حتى أن أبواب التعيين لخرجي الأزهر كانت موصدة، لذلك حاول الكثير من الطلاب الانصراف عن الدراسة بعد المرحلة الابتدائية التي كانت تساوي الإعدادية آنذاك، وبعد الدراسة الثانوية إلى البحث عن عمل بعيداً عن الأزهر.

وحدث في هذه الفترة أن قبل أحد العلماء من خريجي الأزهر أن يعمل ساعياً بمعهد الإسكندرية الديني، وكتب الدكتور طه حسين مقالاً في صحيفة كوكب الشرق يصف فيه ما وصلت إليه حالة خرجي الأزهر من هوان، فأحدث هذا المقال ثورة في نفوس طلبة الأزهر، مما دفع الكثير إلى الانصراف عن مواصلة الدراسة للبحث عن مورد للرزق بعيداً عن الأزهر.

وكان من هؤلاء الطالب محمد بيصار حيث عاد إلى بلده تاركاً الدراسة بالمعهد، وكان والده حكيماً بعيد النظر، فقال لابنه هل عدت إلينا لنفاذ ما معك من النقود؟ فقال الطالب: لا، إنما عدت لأفكر معك في مستقبلي بعيداً عن الأزهر، فقال له الأب: ما بعثتك إلى الأزهر لتكسب من نقود، وإنما بعثتك إليه لتتعلم فيه شئون دينك، فتنفع نفسك، وينتفع بك الناس، يا بني إن الدين ليس سلعة تجارية، والرزق بيد الله وحده، والذي خلقك هو المتكفل بك، فعد إلى دراستك، واتكل على الله حيث قال جل وشأنه: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً﴾ (١).

فاقتنع الشاب محمد بيصار وعاد إلى إكمال دراسته بالمعهد.

بعد أن اقتنع محمد عبد الرحمن بيصار بقول أبيه: بأنه لم يبعثه إلى الأزهر لأجل المال، وإنما بعثه لأجل الدين وإن الدين ليس سلعة تجارية تباع

---

(١) لقمان: ٣٤.

وتشترى، عاد إلى دراسته بمعهد الإسكندرية حتى أتم دراسة المرحلة الثانوية، ثم التحق بكلية أصول الدين وتخرج منها بتفوق عام ١٩٣٩م ثم التحق بتخصص الدراسات العليا (قسم العقيدة والفلسفة) حتى حصل على العالمية بدرجة أستاذ عام ١٩٤٥.

وفي عام ١٩٤٦م تم تعيينه مدرساً بكلية أصول الدين، وفي عام ١٩٤٩ اختاره الأزهر عضواً في بعثاته التعليمية إلى بريطانيا، فتنقل بين كلياتها، في جامعة لندن ثم كمبردج ثم استقر أخيراً بكلية الآداب بجامعة أدنبرة، ونال منها الدكتوراه بتفوق في الفلسفة العامة مع التركيز على حجة الإسلام الإمام الغزالي وعلى الفيلسوف الفرنسي: ديكارت، وكلاهما اتخذ الشك وسيلة إلى المعرفة وكلاهما انتهى من أبحاثه إلى الإيمان بالله تعالى على بصيرة ويقين.

ثم عاد أستاذاً بكلية أصول الدين، وفي عام ١٩٥٥م رشحته مواهبته وثقافته وأخلاقه ليكون مديراً للمركز الثقافي الإسلامي في واشنطن، فقام بشئون المركز خير قيام حيث صار مصدر إشعاع يضيء القلوب والعقول ويجذب إليه الأسماع والأبصار من كل الطوائف، وظل يدير المركز أربع سنوات إلى عام ١٩٥٩ حيث عاد أستاذا بكلية أصول الدين.

في عام ١٩٦٣ اختاره الأزهر رئيساً لبعثته التعليمية إلى ليبيا فكان موفقاً في نشر الدعوة الإسلامية هناك.

في عام ١٩٦٨ صدر قام جمهوري بتعيينه أميناً عاماً للمجلس الأعلى بالأزهر، ومن اختصاصات هذا المجلس النظر في ميزانية الأزهر بجميع هيئاته ورسم السياسة التعليمية، واقتراح إنشاء كليات جديدة وغير ذلك من المهام فكان موفقاً في كل ذلك.

في عام ١٩٧٠ صدر قرار جمهوري بتعيينه أمينا عاماً لمجمع البحوث الإسلامية والمجمع هو المسئول عن إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية والمكتبة

العامة، والوعظ والإرشاد، ومجلة الأزهر، واللجان العلمية ونشر الكتب العلمية، فقام بتلك الأعباء خير قيام.

في عام ١٩٧٤م صدر قرار جمهوري بتعيينه وكيلاً للأزهر، ومعلوم أن وكيل الأزهر هو المعاون لشيخ الأزهر والمتولي تنفيذ قراراته، كما أنه القائم بأعماله حين غيابه أو مرضه أو استقالته.

في عام ١٠٧٨ صدر قرار جمهوري بتعينه وزيراً للأوقاف وشئون الأزهر، وفي عام ١٩٧٩م صدر قرار جمهوري بتعينه شيخاً للأزهر، وقد استهل عمله بتأليف لجنة كبرى تتولى دراسة قانون الأزهر ١٩٦١م ولائحته التنفيذية وذلك تمهيدً لانطلاق الأزهر لأداء رسالته العالمية.

ويتميز الدكتور بيصار بجمعه بين الثقافة الإسلامية وبين الثقافة الحديثة ويجيد اللغة الإنجليزية والفرنسية كما حضر عدداً كبيراً من المؤتمرات العلمية في أمريكا وكندا وأوربا وآسيا وأفريقيا، كما أن له صداقات عديدة بزعماء العالم.

١- عرف الإمام الأكبر الشيخ محمد عبد الرحمن بيصار بالأدب الجم والتواضع الكبير والمعونة لكل محتاج والسخاء بما يملك والمروءة وحسن المعاشرة لذلك جذب إليه القلوب،
٢- كان إداريا من الطراز الممتاز يحترم الإدارة ويطبقها تطبيقاً دقيقاً مع أناة ويسر مع مراعاة العدالة المطلقة في كل تصرفاته.
٣- كان له جلد كبير على مواصلة العمل وموالاة البحث والدراسة في صبر وعزم وإخلاص، فكان باحثا ومحاضرا وخطيبا في وقت واحد.
٤- كان سريعاً لنصرة الإسلام داعماً لأسسه مبرزا لمقوماته.
٥- كان له جهده حين تولى وزارة الأوقاف حيث بادر بدراسة أوضاع

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وما تحقق من خلاله من أهداف وما أخذ عليه من ملاحظات.

٦- كما بدأ عهده في مشيخة الأزهر بدراسة قانون تطوير الأزهر ولائحته التنفيذية، لتعديله بما يحقق الأهداف الكبرى التي ينبغي الوصول إليها.

٧- أما منهجه في الفلسفة التي تخصص فيها، فقد تعمق بدراسة أوجه الخلاف بين الفلاسفة، وعلماء الكلام والفقهاء والصوفية، وكانت خلاصة بحثه:

أ- أن منهج المتكلمين الذين يعتمدون على النص أولاً مع احترامهم للعقل وقضاياه، فإذا خالف العقل النص أخذوا بمقتضى النص وأهملوا جانب العقل.

ب- منهج الفلاسفة الذين يعتمدون أولاً على العقل مع إيمانهم بالنص: فإذا خالف النص العقل أولوا النص ليتطابق مع العقل.

ت- منهج الفلاسفة الذين يعتمدون على الرياضة الروحية والمجاهدة النفسية لتصفية القلب، ويتم هذا عندهم عن طريق العمل الدائب بنصوص الكتاب والسنة مع ترك العلاقات المادية، ثم ساق أمثلة عديدة توضيحية عند كل فريق.

أما منهجه في التربية فيتلخص في الخطوط التالية:

١- وجوب تعميم التربية الإسلامية في جميع مراحل التعليم بما في ذلك مرحلة الجامعة.

٢- التنسيق والمواءمة بين مناهج التربية الدينية ومناهج العلوم الأخرى بحيث لا تطغى إحداهما على الأخرى ولا تناقضها.

٣- العناية بالجانب العملي في التربية الدينية لا على الدراسة النظرية فحسب مع حسن قدوة الأساتذة والمشرفين للطلبة.

٤- اعتبار النجاح في مواد التربية أساساً للانتقال من مرحلة إلى أخرى من مراحل التعليم.

أما مكانته العلمية فكان يتميز بمواصلة البحث والدراسة في أدق المعارف الفلسفية والعلمية والثقافة الإسلامية، كما كان دائم البحث في المشكلات الإسلامية العاصرة ووسائل حلها، كما كان يعني بالتوجيه الروحي للشباب في جميع الأقطار. إلى جانب إلقائه المحاضرات العامة، وحضوره المؤتمرات العلمية والندوات الدينية وإذاعة التوجيهات الرئيسة في الإذاعة والتليفزيون والصحافة.

أما مؤلفاته فكثيرة، ومن أهمها:

١- الإسلام والعقائد والأديان.

٢- الإسلام والمسيحية.

٣- العالم بين القدم والحدوث.

٤- العقيدة والأخلاق في الفلسفة اليونانية.

٥- الوحدة والخلود في فلسفة ابن رشد.

٦- تأملات في الفلسفة الحديثة المعاصرة، وغير ذلك.

توفي رحمه الله في ٨/ ٣/ ١٩٨٢م عن عمر يناهز اثنين وسبعين عاماً، رحم الله الشيخ محمد عبد الرحمن بيصار رحمة واسعة جزاء ما قدم من جهد وعلم في خدمة الأزهر والإسلام.

* * *

الثاني والأربعون: الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق

ولد الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق في قرية بطرة بمحافظة الدقهلية، وحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ سيد البهنساوي، والتحق بمعهد طنطا الديني عام ١٩٣٠م، وكان يود أن يكون فلاحاً لكن والده كان حريصاً على تعليمه بالأزهر، ولبس الزي الأزهري الذي ينتسب إليه، ثم التحق بمعهد القاهرة في منتصف المرحلة الابتدائية.

حصل في عام ١٩٣٩م على الشهادة الثانوية، وحصل على تخصص القضاء مع العالمية عام ١٩٤٥م، وعين أمينا للفتوى في وزارة العدل بدار الإفتاء مع المرحوم الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية ثم قاضياً بالمحاكم الشرعية،وبعد إلغاء هذه المحاكم عين مفتشا عام ١٩٧٨م وتولى وزارة الأوقاف لمدة شهرين ١٩٨٢م، ثم عين شيخاً للأزهر في نفس العام.

ولا ينسى الشيخ جاد الحق تأثره بالشيخ الكبير الشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ حسنين مخلوف.

شارك فضيلته في عدد من المجامع واللجان منها:

١- عضو بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.
٢- عضو بلجنة الترشيح والاختيار لجائزة الملك فيصل بوصفه شيخاً للأزهر.
٣- عضو بالمجلس الأعلى العالمي للمساجد المنبثق عن رابطة العالم الإسلامي.
٤- عضو مجلس الأمناء لمركز بحوث إسهامات المسلمين في الحضارة بقطر.
٥- عضو بمجلس إدارة جامعة إسلام أباد الإسلامية بباكستان.

كانت له رحلات إلى كثير من بلدان العالم الإسلامي مثل: نيجريا،

وبنين، والمغرب، وقطر، والصومال، والمالديف، والأردن، والسعودية، وباكستان، وبنجلاديش وعمان.

حصل فضيلته على وشاح النيل عام ١٩٨٣م من رئيس الجمهورية، ثم على وسام الكفاءة الفكرية والعلوم من الدرجة الممتازة من جلالة الملك الحسن الثاني مَلك المغرب.

شارك فضيلته في أكثر من ثلاثين مؤتمراً وندوة علمية داخل مصر.

في عهده تم استكمال المناطق الأزهرية إلى ٢٦ منطقة أزهرية على مستوى الدولة، كما تم استكمال مناطق الدعوة والإرشاد إلى ٢٦ منطقة على مستوى الدولة كما أنشئت خمس وعشرون لجنة للفتوى في المناطق الأزهرية مع مدها بالمراجع الفقهية المعتمدة.

أما أهم مؤلفاته فهي:

١- مع القرآن الكريم.

٢- النبي ﷺ في القرآن الكريم.

٣- الفقه الإسلامي: مرونته وتطوره.

٤- أحكام الشريعة الإسلامية في مسائل طبية معاصرة.

٥- الاجتهاد وشروطه ونطاقه.

٦- القضاء في الإسلام.

٧- ادع إلى سبيل ربك.

سنختار من فكر الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق بعض العبارات ذات التأثير الكبير في نفوس المسلمين وقلوبهم من خلال كتابه (ادع إلى سبيل ربك).

أ- ففي حديثه عن هموم المسلم المعاصر أشار الأستاذ الأكبر في نبرة

أليمة إلى ما زرعه الاستعمار في أرض المسلمين من مواطنين، هم أشد على الشعوب الإسلامية ظلماً وفتكا من سابقيهم المستعمرين، إذ دعوا إلى الثقافة الوافدة، والتغريب الدخيل قصدا إلى انحراف المسلمين عن عقيدة الإسلام، وقد نجح هؤلاء في تفريق الكلمة واصطفاء زعامات تبحث عن مطامعها الشخصية وتتخذ الشعارات سبيلاً إلى بث الفتن وإثارة الانقلابات، فوقعت الواقعة، وصار بأس المسلمين بينهم في ديارهم شديداً، وتحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى.

ومن هنا تعمقت الخلافات ووجهت المساعدة، فتساقط البعض في فتنة المال، والبعض الآخر في فتنة السلاح الذي استخدم في إثارة الفتن وإشاعة الخوف والاضطراب في صفوف الشعب.

هذه المقتطفات عن الجانب السياسي:

أما الواقع الاجتماعي فلم يكن بأوفر حظاً من الواقع السياسي، حيث انخلع المسلم عن مثل الإسلام، وفقد التراحم والتواد بين أفراد المجتمع، لقد أحدث العلمانيون بلبلة فكرية حين تحدوا رغبة الأمة جميعها في تطبيق أحكام الشريعة، وقد خدعوا فريقاً كبيراً من الناس واسترهبوهم، حين أطلقوا لقب المفكر الإسلامي والمجدد الإسلامي على من لا يعرف عن الإسلام غير الهتاف بتنحيته عن التشريع الإسلامي وعاونتهم الصحف اليومية في نشر مقالاتهم المخطئة، دون أن تسمح بالرد عليها لأهل الاختصاص.

لقد بلغ ببعض الكتاب التجاوز بأن قال:

إن حدود الإسلام وأحكامه شرعت لتقعيد الإسلام، وقد تجاوزته الحياة الحاضرة بمعضلاتها وحضارتها.

ثم يوجه الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق القول إلى المسئولين عن الإعلام من صحافة وتلفاز وإذاعة وطبع ونشر بقوله:

هل راعيتم حق الله والوطن حين تثيرون هذه الحملة الظالمة على الشريعة وتطبيقها، وتأخذون سوء التطبيق أو انحرافه في بعض البلاد مثلا على عدم صلاحية الشريعة الإسلامية للتطبيق، فذهبتم تحرفون الكلم عن مواضعه بعلم أو بغير علم، وغاب عنكم أن هذا الشعب المتدين – مسلمين ومسيحيين – لا يرضى منكم هذا.

لذلك يدعو هؤلاء جميعاً إلى الالتزام بكلمة الحق وإعلاء أحكام الشريعة التي نزلت لإصلاح حال البلاد والعباد، فكانت خيراً وبركة على بلاد المسلمين وغير المسلمين.

تحدث الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق عن الغلو في الدين بسبب المبالغة في الاندفاع بقوة ودون بصيرة طلباً لنوال أعلى الدرجات في الدين، وغالباً ما يرافق هذا الاندفاع حركة متسرعة واضطراب في الرؤية والفكر، وفساد في التصور، وقد يكون أيضاً الغلو في الدين بسبب سوء الفهم لحقيقة الدين، ومن ذلك إدخال الرأي الشخصي في قضايا الدين وأحكامه وشرائعه دون أن يتأهل لذلك بالعلوم والأدوات المناسبة.

كما تحدث الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق عن مظاهر التفريط في الأحكام الشرعية وذلك عن طريق التلاعب بالنصوص متابعة للأهواء، وعن طريق تتبع الآراء الاجتهادية الضعيفة التي لا سند لها، والأخذ برخص المذاهب لمجرد التخفيف من تبعات التكاليف.

كذلك تحدث الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق عن منهج الإسلام في الحلم والحياء والنصح والتواضع، وحسن الجوار، وذل المسألة وعيادة المريض، والاحتكار، وآداب البيع والشراء، والصدق والكذب، والوفاء والاستئذان، والرحمة والإيثار، وإفشاء السلام ونحو ذلك، مما يصلح أن يكون مقرراً دراسيا للشباب بصفة عامة في كل مراحل التعليم.

كما تحدث عن الدواء النافع وذلك تحت عنوان (فلنجرب هذا الدواء) وجعل منارته قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، والدواء: العمل على طهارة النفس ونقاء الروح وتقوى الله، هذا هو الوقود الذي يوصلنا إلى السعادة في الدنيا والآخرة، وهذا وعد الله بذلك ووعده تعالى لا يتخلف، فقد قال جل شأنه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[2].

ومعلوم أن هذا الدواء مكون من عنصرين: الإيمان والتقوى، فالإيمان: استمساك بعقيدة الإسلام، والتقوى: الالتزام بأوامر الله تعالى ونواهيه.

أما رأيه في الختان: فقال: الفقهاء متفقون على أن الختان في حق الذكور والخفاض في حق الإناث مشروع؟ واستشهد على خفاض الإناث بحديث أم عطية حيث قال لها رسول الله ﷺ اخفضي ولا تنهكي، فإن ذلك أحظى للمرأة، وأحب إلى البعل" هذا هو توجيه المصطفى عليه الصلاة والسلام فلا يصح أن يترك توجيهه وتعليمه إلى قول غيره، ولو كان طبيباً، لأن الطب علم والعلم متطور لذلك نجد الأطباء مختلفون: فمنهم من يرى ترك ختان النساء وآخرون يرون ختانهن، فلنقف عند نصوص الشريعة الإسلامية ولا نتجاوزها إلى ما قال فلان، وقال فلان، بل نقف عند ما قال الله تعالى وقال رسوله ﷺ.

من فتاوى الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق الاجتماعية،

---

(١) الأنفال: ٥٣.

(٢) الأعراف: ٩٦- ٩٩.

فتواه عن حكم الإجهاض، فبعد أن استعرض رأي الحنفية بجواز الإجهاض قبل نفخ الروح أي خلال الأربعة أشهر الأولى من الحمل، ورأي المالكية بمنعه منذ البداية، ورأي بقية الفقهاء، قال: إذا وجدت الحاجة الضرورية للإسقاط قبل نفخ الروح في الجنين فلا باس، وأما بعد نفخ الروح فإن فقهاء المذاهب يجمعون على أن إسقاط الجنين دون عذر بعد نفخ الروح محظور، وتجب فيه عقوبة جنائية.

أما إذا قامت ضرورة تحتم الإجهاض بأن قال الأطباء بأن بقاء الجنين ضار بالأم عندئذ يجوز الإجهاض، بل يجب إذا توقفت عليه حياة الأم عملاً بقاعدة ارتكاب أخف الضررين وأهون الشرين.

كما تعرض في فتوى أخرى لمسألة عرفت في الصحف بمسألة تنظيم النسل، وظهرت حملة واسعة من أسماء يدعون المعرفة: بأصول علم الاجتماع وقواعد التربية ومسائل الاقتصاد لتقرر وجوب إصدار قانون يفرض التنظيم، لذلك أصدر فتواه، بأن الذي قرره الفقهاء من جواز تنظيم النسل، أي بمنع الحمل فترة مؤقتة أخذا من جواز العزل، إنما جوزوه بشرط موافقة الزوجين، فلا ينفرد أحدهما مستبداً بالرأي، وإذا كان هذا هو الأساس فإن القانون لا يصلح أداة في هذا الموضوع، لأن الإرادة لا يتحكم فيها القانون، إذ أن لكل فرد ظروفه التي يقدرها وعليه أن يحسن التقدير.

أما في المجال السياسي فقد تعرض الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق لقضية سياسية هامة، وهي: ما تعرضت له مصر في عهده لتيارين مختلفين: تيار يدعو إلى التجديد في كل شيء، بحيث يحذون بالبلاد حذو الغرب في الثقافة والأدب والاجتماع والرأي الديني، وتيار آخر يتشبث بقيم المجتمع وتقاليده وآدابه، وقد انتصر الاتجاه الأول وبدأ التغيير في مصر في كثير من المجالات الثقافية والدينية والاجتماعية، فانزوت الشخصية الإسلامية

العربية في الثقافة والتعليم، وصار للمتغربين اليد الطولى في التخطيط والتنظيم، ثم كانت التغييرات الواسعة في مجالات الأسرة والتعليم والثقافة والتربية والقضاء والتعليم الديني.

أما القطاعات الأخرى فلم تجد الفرصة للتعبير عن رأيها فيما تراه من متناقضات، وما تريده من إصلاح، ثم فشت في السنوات الأخيرة في السبعينات والثمانينات من القرن العشرين، ظاهرة التحلل الأخلاقي بين الشباب، ولم تلتفت إليها الدولة ولم تنهض الأجهزة المعنية لمكافحتها إلا بعد أن دوت طلقات التطرف الديني، من قبل الجماعة الإسلامية، ومن مثل التكفير والهجرة وغيرها من الجماعات المتطرفة.

وبذلك فقدت الأسرة سيطرتها وانعدم دور المجتمع والمدرسة وقد أفرغت الحرية من مضمونها الصحيح، لذلك تجب المواجهة للتيارين معاً، تيار الغلو في الدين، وتيار التحلل من الدين ومن القيم الأخلاقية.

أما موضوع التعامل مع البنوك بالفوائد الربوية، فقد بدأ الحديث عنه منذ قرن من الزمان، إذ ألقى الشيخ عبد العزيز جاويش في مدرسة عبد العزيز كلمة فقهية انتهى فيها إلى أن الربا المحرم هو الذي يكون أضعافاً مضاعفة وليس الذي فيه فائدة قليلة، كما ألقى السيد/ محمد رشيد رضا كلمة أخرى تحدث عن الواقع الفعلي للبلاد الإسلامية المضطرة إلى التعامل بالبنوك، وتنتهي إلى حكم الضرورة بالإباحة للفائدة القليلة، وإن كان هذا المؤتمر قد انعقد في مطلع القرن العشرين لكن صداه أخذ يتردد على ألسنة كثير من الباحثين، وقد حاول الأستاذ الإمام محمود شلتوت والأستاذ عبد الوهاب خلاف السير في نفس الاتجاه، ولا ننكر إخلاص هؤلاء العلماء، لكن كانت وجهة الفريق الآخر وفي مقدمتهم الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق أصلح لهذا المجتمع المسلم حتى يتمسك بقيمه ومثله، ونصوص شريعته ليكون

أسوة طيبة وقدوة حسنة للمسلمين في كل مكان.

من فتاوى الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق في حكم استثمار المال في أذون الخزانة والسندات، قال: لما كانت أذون الخزانة وسندات التنمية التي تصدرها الدولة بمعدل فائدة ثابت من باب القروض بفائدة، وقد حرمت الشريعة الإسلامية القروض ذات الفائدة المحدودة أيا كان المقرض أو المقترض لأنها من باب الربا المحرم شرعاً بالكتاب والسنة والإجماع.

أما شهادات الاستثمار، فإنها قرض بفائدة محددة سابقاً فهي من باب الربا المحرم شرعا فإن فوائد تلك الشهادات وكذلك فوائد التوفير أو الإيداع بفائدة تدخل في نطاق ربا الزيادة ولا يحل الانتفاع بها، أما ما يقال بأن هذه الفائدة تعتبر مكافأة من ولي الأمر فإن هذا الأمر غير جائز لأنه محدد سلفا بنسبة كذا في المائة.

أما التأمين التجاري ضد الحريق والذي يقصد به أن تقوم شركة التأمين بالتعويض عن الحريق فإن المعروف في الشريعة الإسلامية فإنه لا يجب على أحد أن يكون ضامنا لمال غيره بالمثل أو بالقيمة لذلك كان تضمين الأموال بالصورة التي يحملها عقد التأمين محفوف بالغبن والغرر، ولا تقر الشريعة الإسلامية كسب المال بأي من هذه الطرق وأشباهها لأنها لا تبيح أكل أموال الناس بالباطل.

أما الفتوى الصارخة في وجه الظلم الصريح الذي عم مصر طولا وعرضا بشأن التعويض الجائر عن إخلاء الأرض الزراعية، إذ يرى المستأجر أنه شريك المالك في أرضه، وبذلك يستحق نصف الثمن في سبيل الإخلاء فهذا محرم شرعاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم

﴿بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [1]، ويكون إثمه على المستأجر.

دأب بعض المتعاملين في شراء العقارات والمنقولات أن ما يدفعونه مقدما قبل إنهاء العقد من العربون يكون حقا خالصاً للبائع إذا لم تتم الصفقة، وليس من حق المشتري دافع العربون أن يطالب باستعادته مرة أخرى إذ لم تتم الصفقة، وأقام الأدلة الشرعية على حرمة التعامل بذلك وأن أخذ البائع هذا العربون إذا لم تتم الصفقة من أكل المال المحرم شرعاً، هذا ما انتهى إليه الإمام الأكبر في قضية العربون.

أقول: وإن كان للحنابلة رأي بجواز عقد العربون، وأن المذهب الحنبلي أجازه لما وقع العمل به في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، وإن كانت بقية المذاهب حرمت نظام العربون، وأن من حق المشتري إذا لم تتم الصفقة أن يسترد ما دفعه من العربون. والله أعلم بالصواب.

ويضاف إلى ذلك ما يعرف بالشرط الجزائي في العقود، وهو دفع مبلغ محدد يدفع للمتضرر إذا لم يتم التنفيذ المتفق عليه قدرا وأجلا وكيفا وقد يكون المبلغ أكبر بكثير من الضرر، لكن الوارد في الشرع هو التعويض من أهل الخبرة.

كان من فتاوى الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق بل من صيحاته المدوية رده على الحملة الإعلامية التي كانت تريد أن تعيد الاحتفال بوفاء النيل حسب ما كان عليه أهل الجاهلية.

لقد نشرت جريدة الأهرام: إن قدماء المصريين كانوا يقومون باختيار أجمل فتاة عذراء في مصر، ويلبسونها أفخر الثياب، ويلقونها في النيل،

---

(١) النساء: ٢٩.

وعندما جاء العرب استبدلوا العروسة بتمثال لعروس النيل، وفي هذا العام يتخذ الاحتفال مظهراً أكثر حيوية، ويفتح المجال أمام الفتيات من سن خمس سنوات إلى خمسة وعشرون سنة للاشتراك في مسابقة ملكة جمال النيل أمام لجنة التحكيم التي ستنعقد لاختيارها وإن العروس الفائزة بلقب ملكة جمال النيل ستنطلق يوم ٢٤ أغسطس الجاري من أمام الميرديان في موكب داخل مركب فرعوني، ثم مركب بها ٤٠٠ مدعو من مختلف الهيئات الدبلوماسية، ومن ورائهم خمسون مركبا شراعياً حيث يسير هذا المركب من فندق الميرديان إلى كوبري قصر النيل، وتبدأ المراسم المتبقية في ذلك، ويلقي محافظ القاهرة الوثيقة وتطلق الصواريخ، وتقفز العروس إلى النيل.

والحمد لله: ما كاد النزق السفيه ينشر في الأهرام حتى علت صيحة المفتي الأكبر في مقال رنان له تحت عنوان: (أوقفوا هذا العبث باسم وفاء النيل) وقال: إن هذا الطيش عودة إلى سوق النخاسة والرقيق الأبيض، وإن دعوة مصر بلد الإسلام والأزهر التي جعلها الله قائدة للعرب و المسلمين لهذا البغي المنكر ردة إلى جاهلية عمياء، لا تفريق فيه بين الحلال والحرام، فأي وثيقة هذه التي يلقيها المسئول الكبير في النيل مع العروس التي اشترط أن تجيد السباحة، وأن تلتقطها فرق الإنقاذ، أي إهانة للأنثى؟ وأي وثيقة تكتب؟

وقد كان هذا المقال الحاسم: كافيا للقضاء على هذا البغي الصريح، فاضطر أصحاب العبث إلى النكوص عنه.

أصدر الشيخ فتاوى بين فيها مبادئ هامة، وأهم هذه المبادئ:

"ما أدى إلى الحرام كان حراماً" ذلك أن الإسلام يحرم كل شيء يفضي إلى محرم من خلال وسائل: فحين حرم الزنا حرم مقدماته، من تبرج النساء وعريهن، والخلوة بين المرأة وغير زوجها ومحارمها، والاختلاط العابث، والصور العارية، والغناء الفاحش، إذ كل أولئك من دواعي هذا الفساد، وحين

حرم الخمر، لعن شاربها وعاصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها، وحين حرم الربا؛ لعن معطيه وآكله وكاتبه وشاهديه.

ومن هذه المبادئ: "التحيل على الحرام حرام" وقد صور ذلك رسول الله ﷺ فقال: "ليستحلن طائفة من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها" وقوله عليه الصلاة والسلام: "يأتي على الناس زمان يستحلون الربا بالبيع" وقد حدث ذلك الآن حيث تغير اسم الربا إلى الفوائد، وكذلك شاع إطلاق اسم الفن على أنواع من الرقص الخليع، والغناء الفاحش، والتصوير الماجن، وإطلاق اسم المشروبات الروحية على أنواع الخمور.

وإلى غير ذلك من أنواع البلاء حتى صار العامة لا يعرفون هذه الأشياء إلا بهذه الأسماء المزيفة.

من الفتاوى الهامة التي أصدرها الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ما يتعلق بالغناء والموسيقى حيث قال: من المحرمات لغيرها الغناء والموسيقى إذا صاحبتهما معصية أو كانت تدعو إليها، فالغناء والموسيقى حين يكون مباحا يشترط فيه ما يلي:

أ- ألا يتنافى موضوع الغناء مع آداب الإسلام وتعاليمه، فالأغاني التي تمجد الموبقات والمحرمات وتدعو إليها محرمة أداء واستماعاً.

ب- إذا كان موضوع الأغنية والموسيقى غير مناف لتوجيهات الإسلام، ولكن طريقة الأداء اتسمت بالتميع والغناء المنكر وإثارة الغرائز، والإغراء بالفتن والشهوات والعُري والتبرج، كانت محرمة أداء واستماعاً.

ت- كما تحرم الموسيقى والغناء، إذا اقترن الاستماع إليهما بالخمور والرقص والعُري والاختلاط غير العفيف، وهذا ما نبه إليه الحديث الشريف وحذر منه وأنذر أهله وسامعيه بشديد العذاب، وذلك فيما رواه

ابن ماجة: "ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤوسهم بالمعازف والقينات، يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير".

ث- إن بعض الناس تحدث في القنوات الفضائية بإباحة الموسيقى والغناء بإطلاق معتمدا على ما جاء في بعض الكتب القديمة التي لم تكتب لتكون مصدراً للتشريع ولأخذ الأحكام منها مثل كتاب الأغاني للأصفهاني فهذا ما لا يليق.

وليكن معلوماً أن الإسلام لا يمنع الترفيه في المجتمع وإشاعة السرور فيه والترويح عن النفوس، بل قد شرع ذلك في أيام الأعياد، وفي الأعراس، ولقدوم الغائب، وفي الوليمة، وفي الحفاوة بالمولود بما يسمى العقيقة.

لكنه يحارب المجون الذي يحتف بكل هذه المناسبات.

وما يقال عن الغناء يقال عن التمثيل فهو من وسائل التثقيف وعلاج أدواء المجتمع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وفي ذات الوقت: فهو ترفيه، وذلك إذا توجه إلى إبراز الإيجابيات في حياة المجتمع بإيراد المثل الناجحة في نواحي الحياة المختلفة حتى تكون أمثلة تحتذى.

لكن ما يؤسف له: انحدر التمثيل ولم يكن أمام الممثلين إلا كلمات السخرية بالأفراد والفئات متناسين أن الإسلام حرم السخرية بصريح القرآن الكريم حيث قال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

---

(١) الحجرات: ١١.

أما المسرح والسينما وما شابههما فإنها أدوات هامة للتوجيه والترفيه والتثقيف فهي أدوات صالحة لأن تستعمل في الخير وصالحة لأن تستعمل في الشر كالسكين، تستعمل في النفع كما تستعمل في العدوان.

وشروط دخول هذه الدور:

أن تكون الموضوعات المعروضة وروادها بعيدين عن المجون، وتوابعه، فلا يصح أن تعرض فيها تلك الروايات التي تغري بالجريمة أو تحرض على الآثام أو تثير الغرائز، أو تدعو إلى عقائد باطلة وأفكار منحرفة، وألا يترتب على دخولها ضياع واجب ديني أو تضييع مشروع نافع للفرد أو المجتمع، وأن يحافظ فيها على منع الاختلاط، والالتصاق بين الرجال والنساء، ومعلوم أن العرض في ظلام تام فإن لم تجتمع هذه الشروط فلا يجوز دخولها.

من الفتاوى الحديثة الشاقة التي يخشى العلماء الإفتاء بها ما يتعلق بجسم الإنسان حيا وميتاً:

أ- السؤال: هل يجوز شرعاً التبرع أو الإيصاء ببعض أجزاء جسمه عند الوفاة؛ خدمة للمرضى المحتاجين كالكلى والقرنية وغيرهما أو لا يباح ذلك.

وكان جواب الشيخ جاد الحق: الذي أختاره: أن كل إنسان صاحب إرادة فيما يتعلق بشخصه، وإن كانت إرادة مقيدة بالنطاق المستفاد من قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [1]، وقوله سبحانه: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾[2]، فإذا جزم طبيب مسلم ذو خبرة أو غير مسلم، كما هو مذهب مالك بأن شق أي جزء من جسم الإنسان

---

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) النساء: ٢٩.

الحي بإذنه وأخذ عضو عنه أو بعضه لنقله إلى جسم إنسان حي آخر لعلاجه، وجزم بأن هذا لا يضر بالمأخوذ منه أصلاً (إذ الضرر لا يزال بالضرر) ويفيد المنقول إليه جاز هذا شرعاً بشرط ألا يكون الجزء المنقول على سبيل البيع أو بمقابل، لأن بيع الإنسان الحر أو بعضه باطل شرعاً.

ب- هل يجوز شق بطن الإنسان الميت لاستخراج المال الذي ابتلعه، أو لاستخراج جنين حي من بطن أمه الميتة؟

وجواب الشيخ: الذي اختاره في هذا الموضع هو ما ذهب إليه فقهاء الحنفية والشافعية من جواز شق بطن الميت لمصلحة راجحة، سواء كانت لاستخراج جنين حي، أو مال للميت أو لغيره، إذا كان المال ذا قيمة معتد به عرفاً ينتفع بها الورثة أو تقضي بها ديونه.

أما ما ورد في الحديث الشريف "كسر عظم الميت ككسره حياً" فإن المقصود بذلك إثبات الحرمة للميت كحرمة الحي فلا يبتذل بدنه بالشق أو غيره إلا لمصلحة راجحة، كذلك يجوز شق بطن الأم الميتة لاستخراج جنين حي، إذا غلب على الظن حياته بعد إخراجه.

ج- هل يجوز جبر عظام الحي بجزء من عظام الميت، أو وصل سنه بسن آخر من حيوان أو معدن؟

فيقول الشيخ جاد الحق نخلص إلى أن فقهاء المالكية والشافعية والحنابلة قد صرحوا بأنه إذا كسر عظم الإنسان فينبغي جبره بعظم طاهر، وأنه لا يجوز جبره بعظم نجس إلا عند الضرورة كما إذا لم يوجد سواه، وأنه يجوز رد السن الساقطة إلى مكانها وربطها بالفضة أو بالذهب كما أنه يجوز استبدالها بسن حيوان مذكى.

ونخلص إلى أن جسم الإنسان طاهر، وما انفصل عنه في حال حياته طاهر أيضاً وبناء على ذلك، يجوز شق بطن الإنسان الميت وأخذ جزء منه

لنقله إلى جسم إنسان حي آخر يغلب على ظن الطبيب استفادة هـذا الأخيـرة بالجزء المنقول إليه رعاية للمصلحة الراجحة التي ارتآها الفقهاء القائلون بشق بطن الأم التي ماتت حاملاً والجنين يتحرك في أحشائها، وترجى حياته بعـد إخراجه، ويحرم أخذ مقابل للجزء المنقول كما يحرم أخذ مقابل للدم المنقـول صوناً لكرامة الإنسان.

أقيم حفل تأبين للإمام الأكبر جاد الحق بعد وفاته في مجمـع البحـوث الإسلامية بتاريخ ٢٨ مارس ١٩٩٦م، وألقيت في هذا الحفل كلمات من كبار رجال الأزهر، أبانت عن أخلاق ومواقف الإمام الأكبر لم تظهر للنـاس فـي حياته وسنشير إلى بعض منها، كوفاء منا لهذا الإمام رحمه الله تعالى.

أ- من كلمة الشيخ محمد سيد طنطاوي، مما قال: مما يعزي نفوسنا أن شيخنا وإمامنا رحمه الله قد أدى رسالته بشرف وأمانة ونظافة يد، أداها بالكلمة الطيبة وبالشعور بالمسئولية التي هي أمانة في أعناقنا.

فقد كان سخيا بماله، ينفق منه على المحتاجين في السر قبل العلن، وكانت مواقفه دائما تشرف الأزهر في عفافه ونقائه وطهارة يـده، كمـا ترك علما نافعاً في مؤلفاته وكتبه وبحوثه، وفي ندواته وفـي دروسـه، وفيما كان يكتبه في الصحف والمجلات وفي وسائل الإعلام.

ب- من كلمة وكيل الأزهر آنذاك الأستاذ/ سيد سعود: إن الإمام الراحل أول من أدرك خطورة حال المسلمين في الاتحاد السوفيتي عند تفككه، وأرسل وفدا من عشرة علماء وكنت أحدهم: فتنقلنا في الجمهوريـات الإسـلامية ورأينا ما عليه المسلمون هناك من ضعف ومهانة، وأرسلنا تقريرنا إليـه بذلك الذي أرسله بدوره إلى رئاسة الجمهورية، كذلك موقفه من حـرب الشيشان، ومن مؤتمر السكان بالقاهرة الذي كان لجهده الكبير أثر عظـيم في تغيير كثير من قرارات المؤتمر.

ج- من كلمة الدكتور محمد السعدي فرهود: لقد عنى فضيلة الإمام بأوقاف الأزهر التي ضمت لوزارة الأوقاف فكلف مجموعة لتسجيلها أيام أن كان وزيراً للأوقاف، ولما تولى المشيخة كلف مجموعة أخرى تقوم بحصرها، وكنا في الاحتفال بالعيد الألفي للأزهر قد وجه مال كثير ليوزع على العاملين بالأزهر كمكافأة فتعفف ولم يأخذ شيئاً.

ح- ومن كلمة الدكتور عبد الفتاح الشيخ: أشهد أمامكم بشيء أمرني ألا أتحدث عنه به في حياته، أثناء رحلتي معه لإحدى الدول العربية، حيث قدم له الحاكم شيكاً بمبلغ كبير من الدولارات له شخصياً، ولما عدنا اتصل برئيس الجمهورية وأخبره بشأنه وأعلمه أنه أودعه في إدارة الأزهر للإنفاق على الفقراء من العاملين بالأزهر.

خ- ومن كلمة الدكتور أحمد كمال أبو المجد: إني زرته في مرضه بإحدى المستشفيات، فلم يحدثني عن مرضه إلا قليلاً ثم انطلق يتحدث كمن يحمل هما ثقيلاً على كتفيه، عما يجري في الشيشان وفي البوسنة والهرسك، وقد كاد يبكي لأن تعقيدات السياسة حالت دون وصول الدعم المناسب لتلك البلاد، وكاد يبكي من تفرق كلمة المسلمين حكاماً ومحكومين.

د- ومن كلمة الدكتور مصطفى الشكعة: إن الإمام الأكبر كان يمد بصره وبصيرته إلى الأفق البعيد مهما كانت المسافة؛ ونتيجة لذلك أصبح في جنوب أفريقيا معهد أزهري يلبس أبناؤه العمامة الأزهرية في قلب مدينة (كيب تاون) والبنات هناك يلبسن ما يلبس بناتنا هنا في الأزهر.

أما موقفه ممن كان يعادي الإسلام فكان كبيراً، وكلنا يعرف الأستاذ في إحدى الجامعات كتب رسالة ليترقى بها، ضد الإسلام فلم يترق وظلت وسائل الإعلام أربعة أشهر، وهي تمدح في هذا الرجل المنحرف، وترفع من شأنه حتى ضج الناس من ذلك، فما كان من الإمام الأكبر إلا أن اتصل برئيس

الجمهورية ليوقف هذه المهزلة، وقد أوقفت بالفعل.

أما موقف الصحافة والإعلام من هذا الرجل فقد ظلم هذا الإمام منهما جميعاً، فمواقفه في قضايا الإسلام والمسلمين لم تلق ترحيباً، وكانت تنشر مجرد مقتطفات منها فقط، هي التي تنشر بينما تفرد الصفحات للكورة، والمواقف التي تنال من الإسلام والمسلمين، ولكنه سيجد الجزاء العظيم على جهده الطيب المنشور وغير المنشور عند رب العالمين.

رحمه الله رحمة واسعة وغفر له جزاء جهده الكبير والعظيم في خدمة الأزهر والإسلام وأهل العلم إنه قريب مجيب.



الثالث والأربعون: الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي

ولد الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي عام ١٩٢٨م، بقرية (سليم الشرقية) التابعة لمركز (طما) محافظة سوهاج وكان والده نذره للعلم، فحفظ القرآن الكريم وأتمه في الثالثة عشرة من عمره، والتحق بمعهد بلصفورة الديني القريبة من سوهاج لمدة سنة واحدة، ثم انتقل إلى معهد الإسكندرية الديني عام ١٩٤٤م ثم التحق بالمرحلة الثانوية بنفس المعهد لمدة خمس سنوات وفي هذه المرحلة كان يخطب الجمعة حتى انتهى من المرحلة الثانوية.

ثم التحق بكلية أصول الدين لدراسة العقائد وعلوم القرآن والسنة النبوية الشريفة، وتخرج منها عام ١٩٥٨م، ثم قضى سنة في تخصص التدريس، ثم عين بعد ذلك إماماً وخطيباً بوزارة الأوقاف، سجل بعدها رسالته للدكتوراه وكان موضوعها (بنو إسرائيل في القرآن والسنة) ونوقشت هذه الرسالة في ١٩٦٦م وحصل على تقدير (ممتاز) وكان أثناء تحضيره لرسالته، قد صدر قرار بإعارته إلى العراق في عام ١٩٦٤م ومكث في الدعوة في بغداد لمدة سنتين يدعو إلى نبذ العنف والتعصب الأعمى والعنصرية البلهاء، وأن المسلم هو كل من نطق بالشهادتين وأدى التكاليف التي كلفه الله تعالى بها ويحترم أصحاب رسول الله ﷺ.

ثم انتقل إلى البصرة في أواخر عام ١٩٦٧م وانتدب للتدريس بجامعة البصرة وبقي هناك إلى أوائل عام ١٩٦٩ ثم عاد إلى مصر بعد أن صدر قرار بتعيينه مدرساً بكلية أصول الدين بالقاهرة ١٩٦٨م.

وعندما أنشئت كلية أصول الدين بأسيوط عام ١٩٦٨م نقل إليها، وفي عام ١٩٧٢ أعير للتدريس بالجامعة الإسلامية بمحافظة (الجبل الأخضر) بليبيا.

في عام ١٩٧٦م عاد إلى القاهرة وعين عميداً لكلية أصول الدين بأسيوط بعد حصوله على درجة أستاذ.

في عام ١٩٨٠م أعير إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ومكث بها أربع سنوات رئيساً لقسم التفسير بالدراسات العليا هناك.

في عام ١٩٨٤م عاد إلى القاهرة بعد انتهاء إعارته للمدينة المنورة.

في عام ١٩٨٥م عين فضيلته عميداً لكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة.

في عام ١٩٨٦ صدر القرار الجمهوري بتعين فضيلته مفتياً للديار المصرية، وقد بقي فضيلته في هذا المنصب زهاء عشر سنوات، وكانت دار الإفتاء تشغل بضع حجرات في دار القضاء العالي نظراً لتبعيتها لوزارة العدل ثم انتقلت في عهده إلى شغل أحد الأدوار بإحدى العمارات بالعباسية، ثم أنشئت لها الدار الخاصة بها في حديقة الخالدين مطلة على شارع صلاح سالم.

وكانت أهم فتواه:

١- إلغاء ضريبة التركات.
٢- تنظيم الأسرة.
٣- جواز نقل الأعضاء بضوابط خاصة.
٤- شهادات الاستثمار وأن التعامل بها حلال.
٥- التعامل مع البنوك التي تحدد الأرباح، وأن هذا التحديد لا مانع منه شرعاً.
٦- تحريم مصادرة الأموال إلا عن طريق الهيئات القضائية؛ بناءً على طلب من الأستاذ أحمد أبو الفتح عام ١٩٩١م، حيث طلب من المفتي الإجابة على سؤالين:

أ- هل مصادرة أموال الناس جائزة دون تعويض؟
ب- هل رد هذه الأموال واجبة إلى أصحابها.

وكان الجواب: عدم جواز مصادرة الأموال إلا عن طريق القضاء، وان ردها إلى أصحابها واجب أو تعويضهم عنها، وكان موفقاً في ذلك غاية التوفيق؛ مما دفع الأستاذ أبو الفتح أن يشيد به فيما بعد وبالدين الإسلامي دين الحق والعدل.

في الحادي والعشرين من شهر مارس عام ١٩٩٦م صدر القرار الجمهوري بتعيين الشيخ محمد سيد طنطاوي شيخاً للأزهر الشريف، وقد فكر في إنشاء مبنى خاص بمشيخة الأزهر وقد تم بناء هذا الصرح العظيم في وقت يسير، وصار هذا المبنى يضم بين جنباته العلماء والخبراء الذين يواصلون القيام بالأعمال التي تنهض وترقى برسالة الأزهر الشريف، وقد افتتح هذا المبنى لمشيخة الأزهر عام ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

كما تم في عهد فضيلته إنشاء (مركز الأزهر للمؤتمرات) وهذا المبنى الضخم المتعدد القاعات والحجرات والمميزات، قد أصبح على رأس الأماكن التي تقام فيها أهم المؤتمرات والمحاضرات في المناسبات.

وقد تكلف هذا المبنى أكثر من خمسين مليوناً من الجنيهات، وقد تم افتتاحه في عام ١٩٩٨م بعد أن كان مجرد أعمدة خراسانية لأكثر من عشرين عاماً.

اهتم فضيلته بالمعاهد الأزهرية، فزادت في عهده زيادة مطردة مع التحسين والتنظيم، كما اهتم بالمناهج التي تدرس بها فأنشأ اللجان العلمية التي تراجعها، وتضيف إليها أو تحذف منها، ما تراه مناسباً لإعداد الطالب الأزهري الفاهم لما يجب عليه من أمور دينه ودنياه.

وقد أثمرت هذه الجهود القوانين التي سوت بين الطالب الأزهري وبين

طلاب مدارس وزارة التربية والتعليم، في دخول الكليات العسكرية وكلية الشرطة.

كما تمت المساواة بين الطالب الأزهري وغيره في عدد سنوات الدراسة، مع الحرص على مميزات الدراسة في الأزهر التي من مظاهرها حفظ القرآن الكريم والتوسع المناسب في دراسة العلوم الشرعية واللغوية، وقد تبنى فضيلته شعار "ليس أزهريا من لم يحفظ القرآن الكريم".

وهناك وقفة: مع تقليل سنوات الدراسة الذي تبناه فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد سيد طنطاوي؛ كانت سنوات الدراسة خمس سنوات في القسم الثانوي وأربع سنوات في الإعدادي، وكانت كلها دراسة في المواد الشرعية واللغوية مع بعض المقررات الرياضية والمنطقية والتاريخية القليلة.

وقد كنا نعاني من طول المقررات الشرعية واللغوية وصعوبتها سواء في تلقيها أو في تحصليها مع سهر الليالي طوال العام لكن في عهد الإمام الأكبر الشيخ محمد سيد طنطاوي رحمه الله، صدر قرار بتدريس المواد الثقافية المقررة على الثانوي في النظام العام على طلاب المرحلتين: الثانوية الأزهرية والإعدادية الأزهرية، فازداد الأمر صعوبة على الطلاب وكان ينبغي أن تزاد سنوات الدراسة لتستوعب هذه الإضافات الآتية من وزارة التربية والتعليم وخصوصاً: اللغات الأجنبية لكن ما حدث هو العكس صدرت القرارات بتقليل سنوات الدراسة بالقسم الثانوي إلى أربع سنوات أولاً، ثم إلى ثلاث سنوات بعد ذلك، كما أن سنوات الدراسة بالمعاهد الإعدادية صارت ثلاث سنوات، وكان ذلك يمثل استحالة للطالب أن يجمع بين المواد الشرعية والمواد الثقافية في ثلاث سنوات في الثانوي والإعدادي ولم يكن في الإمكان الحذف من المواد الثقافية الوافدة من وزارة التربية والتعليم، لذلك لم يجد المسئولون بدا من حذف الكثير والكثير من المواد الشرعية واللغوية، لتتناسب

المواد الدراسية مع السنوات القليلة الجديدة، وهكذا ضاع الكثير من التراث الذي كان سابقًا يدرسه الطلاب وكنت من بينهم.

والحمد لله: وقفت مع قلة من غيري في وجه هذا التغيير واذكر أني كتبت ست مقالات في الصحف اليومية لشرح الآثار التي ستترتب على تقليل سنوات الدراسة وتغيير الكتب التراثية الفقهية إلى كتاب الفقه الميسر للإمام الأكبر الشيخ محمد طنطاوي، ولكن كان التيار شديداً وجارفاً والمعارضون بكل أسف كانوا قلة، وسارت الأمور حسب ما رآها الشيخ، والآثار بدأت تظهر الآن في ضعف الطالب الأزهري ممن تخرج؛ الآتي من الثانوي للالتحاق بالكليات الآن، ونرجو أن نستدرك الأمر وننقذ ما يمكن إنقاذه، إن ربي على كل شيء قدير.

من مؤلفات الإمام الأكبر الشيخ محمد سيد طنطاوي كتاب (بنو إسرائيل في القرآن والسنة) صدر عام ١٩٦٨ وهو رسالة الدكتوراه التي ناقشها في أصول الدين في عام ١٩٦٦، وقد تضمنت رسالته ثمانية فصول: تحدث في أولها: عن تاريخ اليهود وأحوالهم منذ هجرتهم إلى مصر في القرن التاسع عشر قبل الميلاد في رحاب نبي الله تعالى يعقوب عليه السلام، بناء على دعوة يوسف عليه السلام لهم والتي عبر عنها القرآن الكريم ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١].

وفي الفصل الثاني: يتحدث عن منهج القرآن الكريم في دعوة بني إسرائيل إلى الإسلام وبين مظاهر إنصافه لهم وإحسانه إليهم.

وفي الفصل الثالث: تحدث عن كيد اليهود للإسلام والمسلمين ووسائلهم الخبيثة التي اتبعوها في ذلك.

وفي الفصل الرابع: تحدث عن الحروب بين رسول الله ﷺ وبين بني

---

(١) يوسف: ٩٣.

إسرائيل في غزوات بني قينقاع والنضير وقريظة وخيبر.

وفي الفصل الخامس: تحدث عن نعم الله تعالى على بني إسرائيل، وعن موقفهم إزاء هذه النعم ومقابلتها بالجحود، وسوء العقبى لذلك.

وفي الفصل السادس: تحدث عن رزائل بني إسرائيل كما صورها القرآن الكريم مثل ترددهم في ذبح البقرة، وصيد الحيتان في اليوم المقدس، وتلاعبهم في تغيير الأيام المقدسة عندهم.

وفي الفصل السابع: تحدث عن دعاواهم الباطلة وكيف رد القرآن الكريم عليهم بما يخرس ألسنتهم.

وفي الفصل الثامن: تحدث عن طائفة العقوبات التي عاقب الله بها بني إسرائيل مثل التيه في الصحراء أربعين عاماً، وتخريب مدينتهم على يد ملك بابل.

وفي الخاتمة: تحدث عن فلسطين ومراحل الغزو الصهيوني لها، وأسباب الكارثة التي أدت إلى ضياع فلسطين، وكيف يمكن استعادتها.

وقد طبعت هذه الرسالة عدة طبعات.

أما الكتاب الثاني: فكان بعنوان (الدعاء) الذي صدر عام ١٩٧٠م وقد تضمن بيان معنى الدعاء، ونماذج من الدعاء المستجاب، وجوامع الدعاء، من القرآن والسنة، وأدعية مأثورة في أحوال مختلفة، وقد طبع أكثر من عشر طبعات.

ومعلوم أن الدعاء: هو ملاذ كل مكروب، وأمل كل خائف، وراحة كل مضطرب، وقد قال تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[١]، وفي الحديث الشريف: "الدعاء هو العبادة".

أما الكتاب الثالث: فهو كتاب (السرايا الحربية في العهد النبوي) صدر

---

(١) غافر: ٦٠.

في عام ١٩٧١م، وقد قال زين العابدين على بن الحسين: "كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلمهم السورة من القرآن".

أما الكتاب الرابع: فهو التفسير الوسيط للقرآن الكريم، وقد صدر في خمسة عشر مجلداً، وقد مكث في تأليفه أربعة عشر عاماً، وفي الحديث الشريف: "من شغله القرآن وذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين"

وقال إياس بن معاوية: "مثل الذين يقرءون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من مليكهم ليلاً، وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة ولا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤا ما في الكتاب".

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن".

كان من أهم الكتب التي ألفها الإمام الراحل الشيخ محمد سيد طنطاوي رحمه الله كتاب (العقيدة والأخلاق) وقد صدر عام ١٩٩٠م وهو يشتمل على التعريف بالإلهيات والسمعيات، والنبوات، والأخلاق في الإسلام التي تشتمل على العفاف، والعدل، والصدق، والصبر، والعلم، والرحمة، والتعاون، والقوة، والسلام.

وكذلك كان من مؤلفاته (معاملات البنوك وأحكامها الشرعية) وقد صدر عام ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

وفي طبعته الجديدة أضاف إليه بحثاً عن (الربا) لفضيلة الشيخ عبد الوهاب خلاف، وبحثاً عن (حكم الشريعة الإسلامية على شهادات الاستثمار بأنواعها الثلاثة) لفضيلة الشيخ علي الخفيف وسماه (فقيه القرن العشرين) وبحث عن (حكم الإسلام في أرباح شهادات الاستثمار، وودائع صندوق

الادخار) لفضيلة الشيخ يسن سويلم طه.

وفي النهاية: قال: أكدت في أكثر من موضع من هذا الكتاب أن مسألة تحديد الربح مقدما أو عدم تحديده بالنسبة لمعاملات البنوك لا علاقة لها بالحل أو الحرمة، متى تم ذلك بالتراضي المشروع بين الطرفين، فالبنوك التي تحدد الأرباح مقدماً حلال، والبنوك التي لا تحدد الأرباح مقدماً أيضاً حلال.

والمقياس في الحل، هو خلوها من الكذب والغش والاستغلال والظلم والجهالة والغرر ومن كل ما حرمه الله تعالى.

ويذكر في هذا الكتاب قرار وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية بأنه جعل العائد على مجموعة (أ) من شهادات الاستثمار بواقع ١٤,٥% وعلى مجموعة (ب) بواقع ١٥,٥% وتلك الشهادات يتم إصدارها من أول مارس عام ١٩٩٣م أما الشهادات الصادرة قبل هذا التاريخ فيبقى عائدها كما هو بواقع ١٧,٥% سنوياً.

يقول: تحدثت في هذا الكتاب عن منهج شريعة الإسلام في تحريم الربا الذي هو من الكبائر والذي يؤدي استحلاله إلى الخروج عن ملة الإسلام، كما اهتمت ببيان الفروق الجوهرية بين كلمات (القرض – الدين – الوديعة – الاستثمار)، وضربت الأمثلة المتنوعة للمعاملات التي أحلها الله تعالى والتي حرمها سبحانه.

كان لي مع بعض أهل العلم وقفتان حول هذا الكتاب:

أولاهما: في بيان أصدره ثلاثون عالماً من علماء الأزهر بمكة المكرمة؛ سننكر هذه الفتاوى ونرد علها بعد صدورها.

ثانيها: في القناة الثقافية المصرية مع جمال الشاعر، وكان معي الدكتور/ حسين شحاتة ضد الدكتور محمد الشحات الجندي الذي كان يمثل شيخ الأزهر، وذلك لمدة ساعتين.

من المؤلفات التي خلفها الإمام الأكبر الشيخ محمد سيد طنطاوي كتاب (القصة في القرآن الكريم) طبع عام ١٩٩٥م في مجلدين كبيرين، وحدد السور التي اشتملت على القصص إن كانت مكية أو مدنية، مع بيان السمات العامة التي تجمع بين هذه القصص سواء منها ما كان لتثبيت فؤاده ﷺ وتخفيف ما أصابه من قومه وأن العاقبة ستكون طيبة، ودعوته إلى التأسي بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين وصبرهم على ما أصابهم من قومهم، وغير ذلك من الأهداف السامية التي سيقت لأجلها هذه القصص.

ومن هذه الكتب التي ألفها الشيخ محمد سيد طنطاوي كتاب: (أدب الحوار في الإسلام) والذي صدر عام ١٩٩٦م حيث أشار إلى بعض الحوارات التي جرت في القرآن الكريم بين إبراهيم عليه السلام والنمرود في إحياء الموتى، وطلوع الشمس من المشرق وعجز النمرود عن طلوعها من المغرب، والحوار بين أخوة يوسف، وبين يوسف وبين الملك وغير ذلك من ألوان الحوارات التي جاءت في القرآن الكريم وتأثيرها في قلوب السامعين لها، والأهداف التي سيقت لها.

ومن هذه الكتب التي تركها الإمام الأكبر الشيخ محمد سيد طنطاوي؛ كتاب: (الاجتهاد في الأحكام الشرعية) الذي صدر عام ١٩٩٧م حيث بدأ باجتهاد رسول الله ﷺ كما تطرق إلى اجتهاد أئمة العصر مثل: الشيخ أحمد إبراهيم والشيخ عبد الوهاب خلاف، والشيخ عبد المنعم النمر، وذكر في الحديث المشهور: "إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد".

أيضاً من هذه الكتب التي خلفها الشيخ محمد سيد طنطاوي كتاب: (حديث القرآن عن العواطف الإنسانية) الذي صدر عام ١٩٩٩م حيث ذكر عاطفة الرسول ﷺ عندما زار قبر أمه، ثم عواطفه نحو أبنائه وبناته

وزوجاته وأصحابه، وعاطفة يعقوب نحو ابنه يوسف عليهما السلام، وعاطفة زكريا عليه السلام حين رأى إكرام الله تعالى لمريم فطلب من ربه أن يرزقه الذرية الصالحة، وعاطفة أم موسى عليه السلام حينما علمت أن ابنها موسى في بيت فرعون، وهكذا، فالنفس الإنسانية هي هي في كل زمان ومكان تتأثر بما يصيبها من خير أو شر أو سرور أو حزن.

ومن هذه الكتب التي خلفها الشيخ محمد سيد طنطاوي في كتاب (الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام) الذي صدر سنة ٢٠٠٠م أشار فيه إلى ما أشاعه الكاذبون عن الرسل الكرام وعن القرآن الكريم وعن السيدة مريم البتول ولكن الله تعالى يبطلها بإظهار الحق في الوقت المناسب حيث قال جل شأنه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (١).

ومن هذه الكتب أيضاً التي ألفها الإمام الأكبر الشيخ محمد سيد طنطاوي (نماذج من خطب الجمعة) في ثلاثة أجزاء والذي صدر عام ٢٠٠١م.

ومن هذه الكتب كذلك كتاب (هذا هو الإسلام) الذي صدر عام ٢٠٠٣م أوضح فيها المراد بالعقيدة والشريعة والإسلام والإحسان وذلك من خلال حديث جبريل المشهور: "ما الإسلام؟ وما الإيمان؟ وما الإحسان؟

من المؤلفات الهامة التي خلفها المرحوم الشيخ محمد سيد طنطاوي كتاب (الفقه الميسر على المذاهب الأربعة) والذي صدر عام ٢٠٠٣م حيث تحدث فضيلته في الجزء الأول؛ عن الأئمة الأربعة ثم عن الطهارة وحكمة مشروعيتها وعن الوضوء والغسل والتيمم والمسح على الخفين، وعن الآذان والصلاة بأنواعها.

وفي الجزء الثاني؛ عن الزكاة وحكمها والأموال التي تجب فيها الزكاة، وتحدث عن الصيام وأحكامه وأنواعه، وأحكام الحج والعمرة، وعن الأيمان

---

(١) الأنبياء: ١٨.

والنذور والكفارات والأطعمة والأشربة واللباس والصيد والذبائح.

وفي الجزء الثالث؛ تحدث عن المعاملات في الإسلام وعن أركانها وآدابها، وعن المعاملات التي حرمتها شريعة الإسلام ثم تحدث عن أحكام النكاح من زواج وطلاق ورضاع ونفقة وحضانة، وختم هذا الجزء بالحديث في الحدود والقصاص والمواريث.

وقد قرر هذا الكتاب على طلاب المرحلة الإعدادية من المعاهد الدينية بسنواتها الثلاث كل جزء على سنة من السنوات الثلاث.

منهج الإمام الأكبر في هذا الكتاب: ألغى الاتجاه المذهبي السائد في التعليم الأزهري فبدلاً من بعض الطلاب الذين يدرسون الفقه المالكي، وآخرون يدرسون الفقه الشافعي، وآخرون يدرسون الفقه الحنفي، وآخرون يدرسون الفقه الحنبلي، هذا الاتجاه في دراسة الفقه على المذاهب الأربعة، كان هو الاتجاه السائد في الأزهر منذ ألف عام، نظراً لانتشار هذه المذاهب في مناطق معينة في مصر دون غيرها، حيث تجد المذهب المالكي منتشراً في الصعيد وفي الشمال من الوجه البحري جهة كفر الشيخ والبحيرة ورشيد والإسكندرية ودمنهور وبعض مناطق في المنوفية والمذهب الشافعي منتشراً في محافظات الوجه البحري والقاهرة والمذهب الحنفي يشترك مع المذهب الشافعي في محافظات الوجه البحري وشمال الصعيد وكان المذهب الحنبلي قليل الانتشار في بعض المحافظات وأما القاهرة فكل المذاهب منتشرة بها.

لذلك كل جهة من تلك الجهات كان طلابها يدرسون المذهب المنتشر في جهتهم.

لكن الإمام الأكبر الشيخ محمد سيد طنطاوي ألغى هذا الاتجاه المذهبي وجعل الدراسة الفقهية موحدة لجميع الطلاب وكان منهجه: تدريس المسائل المتفق عليها في أعلى صفحات الكتاب والمسائل المختلف فيها يشار إليها في

أسفل الصفحات.

لذلك قمت بانتقاد هذا التصرف من فضيلة شيخ الأزهر، لعدة أسباب:

أولها: أن هذه الدراسة المذهبية كانت مستقرة منذ ألف عام أو يزيد في المعاهد الدينية.

ثانياً: أن مدرسي فقه هذه المذاهب كان لهم دور في التوعية في فهم ونشر الأحكام الفقهية بين المواطنين باعتباره فاهما لها، لأنه يدرسها لأبنائه في المعهد حسب المذهب الذي ينتمون إليه في جهتهم.

ثالثاً: ضياع الأحكام الفقهية سواء بين المواطنين ومن باب أولى بين الطلاب والمدرسين، لعدم صلاحية الفقه العام في هذا الكتاب للإجابة على أي استفسار من المواطنين لأن المدرسين بما أنهم تركوا تدريس هذه المسائل سينسونها وكذلك الطلاب.

وقد كتبت ست مقالات في الصحف ضد هذا الموضوع وآثاره السيئة على فهم الأحكام الشرعية، فدعاني الشيخ إلى لقائه بالمشيخة، وتحدثنا ولم يقتنع أحدنا برأي الآخر.

من المؤلفات التي خلفها الإمام الأكبر الشيخ كتاب (المقاصد الشرعية للعقوبات) الذي صدر عام ٢٠٠٤م، قال الإمام: إن العقوبات في شريعة الإسلام لحماية أنفس الناس وأموالهم وأعراضهم وكرامتهم الإنسانية، ويقول: موضوع المقاصد الشرعية للعقوبات ارتاحت نفسي إلى الكتابة فيها لا سيما بعد أن علت أصوات الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، مذكراً بقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾[1].

وبعد أن ارتفعت حناجر الدعاة إلى الباطل والفجور والفسوق والعصيان، لتعلن الحرب على الدعاة إلى الحق والعفاف والطهارة والإيمان،

---

(١) الأعراف: ١٤٦.

وبعد أن قامت طوائف من هنا وهناك زاعمة أنها ما قامت إلا من أجل حماية حقوق الإنسان، تارة باسم حقوق الشواذ والعراة والملحدين، وتارة باسم الحرية في قول أي شيء، وفي فعل أي شيء، حتى ولو كان ما يقال وما يفعل ينكره كل ذي عقل سليم، وتارة باسم منع عقوبة القصاص من المعتدي الأثيم الذي قتل غيره ظلماً وعدواناً وبغيا.

فمن المعلوم أن العقوبات في الإسلام؛ إنما تهدف إلى:

١. حماية الدين من أن تخالف أحكامه وآدابه، وتشريعاته.
٢. حماية الأنفس من العدوان عليها.
٣. حماية العقول من أن تنحدر إلى ما يضعفها ويُردها.
٤. حماية الأنساب من الضياع ومن الاختلاط المشين.
٥. حماية الأموال من استعمالها في غير ما أحلت له.
٦. حماية الإنسان الذي كرمه الله من كل ما يتعارض مع كرامته الإنسانية.

كذلك من الكتب التي خلفها الإمام الأكبر الشيخ محمد سيد طنطاوي، كتاب: (حديث القرآن عن الرجل والمرأة) الذي صدر عام ٢٠٠٥م حيث تحدث فيه عن وجوه المساواة بين الرجل والمرأة، ووجوه الاختلاف بين الرجل والمرأة، وعن تعدد الزوجات وعن عدد من النساء التي تحدث عنهن القرآن الكريم.

أيضاً من الكتب التي خلفها الشيخ محمد سيد طنطاوي كتاب: (الوسيط في الفقه الميسر على المذاهب الأربعة) المقرر على طلاب الثانوية الأزهرية الذي صدر عام ٢٠٠٥م.

وقد أشرت من قبل إلى هذا الكتاب حيث تحدثت عن كتابه الميسر على المرحلة الإعدادية، ووعدني بأنه سيبقى على الكتب المذهبية المقررة على

المرحلة الثانوية حتى يستمر الاتجاه المذهبي في المعاهد الدينية، وقد بينت له أن ذلك غير كاف.

ولكن مع ذلك أخلف وعده، وفعل بالمرحلة الثانوية ما فعله بالمرحلة الإعدادية.

من أهم المؤلفات التي خلفها الإمام الأكبر كتاب (فتاوى دينية) صدر عام ٢٠٠٧م تحدث فيه عن معاني: الفتوى، والمفتي، ومنزلة الإفتاء وصفات المفتي، ولزوم التثبت في الفتوى.

وقال: المفتي؛ هو الفقيه الذي يتصدى للفتوى بين الناس فيما يخفى عليهم من أمور تتعلق بعقائدهم أو بعباداتهم، وغير ذلك من الأمور الشرعية.

تحدث عن منزلة الإفتاء وصفات المفتي، فيقول: إن منصب الإفتاء من أعظم المناصب، ومن أشدها خطراً، ومن أبقاها أثراً، ومن أكثرها حملاً للتبعات والمسئوليات، لأنه منصب جعل لبيان الحرام والحلال، ولبيان الحق والباطل، ولبيان الخير والشر، ولبيان المستحب والمكروه.

لذلك أجمع العلماء على أن من يتولى هذا المنصب يجب أن يكون صاحب علم غزير، وأفق واسع، وصفاء في الذهن، واستقامة في الفهم، ومعرفة واعية بروح التشريع، وباختلاف الآراء، وبتجدد الأحداث وبتطور الزمان، والعادات.

وفوق ذلك يكون معروفاً بورعه واستقامته ونطقه بكلمة الحق وتبليغه لأحكام شريعة الإسلام بمنطق سليم، وحجة بالغة، وحكمة ظاهرة.

ويقول: ومن ألزم اللوازم لمن يتصدى للإفتاء أن يتثبت من صحة ما يفتي به، لأن الفتوى أمانة.

ذكر عدداً من الأحاديث التي تتشدد في موضوع الفتوى منها: قوله ﷺ: "من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ بيتا في جهنم، ومن أفتى بغير علم كان إثمه

على من أفتاه، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم الرشد في غيره فقد خانه".

وفي الصحيحين: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً بنزعه من قلوب الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسُألوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا".

وقد روى أنه جاء رجل إلى الإمام مالك يسأله عن مسألة وأطال الجلوس في المدينة في انتظار الإجابة، وأخيراً قال الرجل: يا أبا عبد الله أريد الخروج وقد طال التردد عليك، فقال له: يا هذا إني أتكلم فيما احتسب فيه الخير، وإني لستِ أحسن مسألتك هذه".

وقد اشتمل هذا الكتاب على كثير من المبادئ التي يجب أن تتوفر فيمن يتصدى للإفتاء إلى جانب ما نقلته عنه الآن، لكن بكل أسف الإفتاء الآن في كل مكان دون رابط أو ضابط، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾[1] وقد قلت ما وسعني القول، ونصحت ما وسعتني النصيحة في الكتب ووسائل الإعلام،وفي الدروس، وفي النهاية نرجو من الله العفو والعافية.

والحمد لله رب العالمين فقد وفقت في وضع كتاب في ذلك منذ عشرين عاما سميته (ضوابط الاجتهاد والفتوى).

* * *

(١) الشعراء: ٢٢٧.

الرابع والأربعون: الإمام الأكبر الشيخ أحمد الطيب

ولد الإمام الأكبر الشيخ أحمد الطيب الحساني في بداية الأربعينيات من القرن الماضي العشرين وكان والده فضيلة الشيخ محمد حريصاً على تحفيظ أبنائه القرآن الكريم، فكان يأتي لهم بالمحفظين في ساحته الكبيرة ببلدة القرنة ليقيموا معهم في الساحة إلى جانب المساعدة في بعض مسائل التعليم لمن كان في حاجة إليه، فحفظ القرآن الكريم ثم التحق بمعهد إسنا الديني التابع لمحافظة قنا سابقاً، وصار الآن تابعاً لمحافظة الأقصر، وصارت القرنة مركزاً تابعاً لمحافظة الأقصر، كما كان معهد إسنا في ذلك الوقت قاصراً على المرحلة الإعدادية فقط.

ثم التحق بمعهد قنا الديني الثانوي عام ١٩٥٧م، ثم بكلية أصول الدين عام ١٩٦٢ وبعد أن انتهى من مرحلة الكلية والدراسات العليا حصل على درجة الدكتوراه في العقيدة والفلسفة، وكانت إعاراته إلى كل من السعودية وقطر وباكستان.

ثم بعد ذلك عين عميداً لكلية الدراسات الإسلامية بقنا، ثم عميدا لكلية الدراسات الإسلامية بأسوان.

أما أسرته: فهي تنتمي إلى البيت النبوي الكريم، فهم من ذرية الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه، وكان أصل الإمام من قرية المراشدة بدشنا فانتقل جدهم الشيخ محمود الطيب أو والده إلى القرنة وحصل فيها على الاستقرار وحب الناس حوله لحسن صلتهم بالله تعالى، وانتسابهم إلى الدوحة النبوية المباركة، ومن الطرائف التي تحكى عن الشيخ محمود هذا أنه في سنوات عمره الأخيرة وحين أحس بقرب أجله عزم على الرحلة إلى الحج والزيارة، وفي نيته أن يموت بالمدينة المنورة ويدفن بالبقيع، قريباً من المسجد النبوي الشريف، وبعد أن قضى أيامه بالمدينة ولم يمرض، حتى يستأذن من

رفاقه في الرحلة ليبقى أيام مرضه بالمدينة، جاء إلى ضريح رسول الله ﷺ وهو يقول: ما كان ده العشم يا رسول الله، أأعود إلى مصر مرة أخرى، وخرج حزينا من المدينة، حيث لم تتحقق أمنيته: ولكنه بعد مغادرته المدينة في طريقه إلى المركب في البحر يدهمه المرض الشديد، ويموت ويدفن في إحدى القرى على ساحل البحر الأحمر.

أما جده المباشر الشيخ أحمد الطيب فقه جاء إلى الأزهر بالقاهرة، كما التقى بالشيخ أبي بكر الحداد العدوي شيخ الطريقة الخلوتية وأخذ العهد على يده، واجتهد في سلوك الطريقة الخلوية حتى صار قريباً من شيخه الشيخ بكر الحداد، وأخيراً سمح له بالسفر للعودة وعلى أن يعطي العهد في الصعيد لكل من يريد سلوك هذا الطريق، وقد كان نعم الأسوة الحسنة، فقد ترك ساحته في القرنة، وأخذ يسيح في القرى والمدن فكانت حياته كله ذكراً لله تعالى وصلاة وسلاماً على رسول الله ﷺ فأحبه أهل الصعيد كبيرهم وصغيرهم من عمدة القرية إلى أدنى إنسان بها وكانت مجالس ذكره مستمرة طوال عمره المديد الذي امتد إلى قرابة المائة عام وله ضريح كبير في القرنة يزار من كل البلاد والعباد في الصعيد.

كنا بدأنا نتحدث عن الجد المباشر للإمام الأكبر الشيخ أحمد محمود الطيب، وقلنا أن عمره قد امتد إلى قرابة المائة عام وكان قد قضاها في مجالس الذكر سائحاً في القرى والمدن، وكان لا يعود إلى منزله أو ساحته أو مسجده ببلدته بالقرية إلا كل عدة أشهر لقضاء أيام بها، مع استمرار مجالس الذكر هذه في تلك الأيام.

وكانت مجالس ذكره تتكون من خمس حلقات تبدأ بالمسبعات العشر المنسوبة إلى الخضر عليه السلام، ثم الصلوات على رسول الله ﷺ ثم قراءة أسماء الله الحسنى، من تجميع وإعداد أبي البركات الدردير في أبيات من

الرجز مع كل اسم دعاء يناسبه، ثم الذكر لسبعة أسماء من الأسماء الحسنى، ثم يختم المجلس بقراءة شيء من القرآن ثم بقراءة سورة يس من الجميع ثم يختم ببعض الأدعية.

ومن نافلة القول أن نقول: كان الشيخ أحمد الطيب على صلة طيبة بالله تعالى وبرسوله ﷺ ومن آثار هذه الصلة، هاتان الواقعتان:

إحداهما: أن الشيخ محمد والد الدكتور أحمد كان في سن الشباب وكان يتلقى العلم على عالم أزهري قديم في البلاد، اسمه الشيخ علي أبو سكار، ولكن تاقت نفسه إلى أن يسافر إلى القاهرة، كوالده لطلب العلم على علماء الأزهر وبعد أن استعد لذلك أراد أن يحصل على إذن بالسفر من الوالد، فقال: ألم يكفك ما حصلته من العلم على الشيخ علي أبو سكار، وإذا سافرت فمن الذي يشرف على الساحة والمسجد والزرع الخاص بنا، فلا داعي لهذا السفر، وكان الشيخ لا يراجع والده في القرارات الخاصة بشأنه، فعاد إلى زوجته مكتئباً وأخبرها بما حدث؛ لأنها مجهزة نفسها للسفر، وإذا بها في هذه الليلة ترى السيدة زينب رضي الله عنها في المنزل تجلس على كرسي، والشيخ أحمد الطيب يقف أمامها قابضاً يديه على صدره، وهي تقول له بما معناه: لا تمنع ابنك محمد من السفر لطلب العلم بالأزهر، وفي الصباح يطلب الشيخ أحمد الطيب ابنه محمداً ليحضر وحينما حضر قال له يا بني جهزت نفسك للسفر لتطلب العلم بالأزهر، قال: نعم وأمره بالسفر وسافر فعلا، وكان ذلك أيام أن كان الشيخ صالح الجعفري يدرس بالأزهر، حيث يحكي لنا عنه.

وواقعة أخرى قريبة من تلك، كانت له أخت وحيدة وعزيزة على أمها أن تكون مع زوج بعيدة عنها، فبنت لها قصرا وسط بيتهم الكبير ليعيش معها زوجها داخل هذا القصر، بينما الشيخ محمد يعيش هو وأولاده في حجرة بالدور الأرضي، فناقش والدته في ذلك مع إظهار شي من عدم الرضا،

ووصل الخبر إلى الشيخ أحمد الطيب، فطلب من ابنه الحضور إليه منفردا، وقال له: لا تُغضب والدتك، وكانت امرأة صالحة تنتمي إلى أسرة صالحة، وأقول لك سراً وأرجو أن يظل سراً، إن القصر هذا بعد إتمام بنائه، أنت الذي ستسكن فيه ومعك الزوجة والأولاد، فتعجب الشيخ محمد من ذلك ولم يستطع أن يراجع والده، وبعد إتمام البناء، وبدأ الاستعداد للزواج وإذا بالأخت تمرض وتنتقل إلى الدار الآخرة في أيام قليلة، وينتهي موضوع الزواج ويغلق البناء عدة سنوات بعد وفاتها ثم يفتح ليعيش فيه الشيخ محمد الطيب وأولاده، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى.

قبل وفاة الشيخ أحمد محمود الطيب جاءه الإذن بنقل قيادة الطريقة الخلوتية التي كان يتولاها إلى ابنه الشيخ محمد أحمد الطيب، والذي كان يشرف على سن الخمسين عاماً من عمره، وبعد أن قطع مرحلة عظيمة في المجال الصوفي وفي المجال العلمي؛ وقد استعان والده الشيخ أحمد الطيب على ذلك بشيوخ معهد قنا الديني لإقناع الشيخ محمد بالموافقة على قبول هذه التكليف، وهذا الشرف العظيم، ومع ذلك حتى مع حضور هذه الكوكبة من العلماء الأجلاء؛ أبى قبول ذلك بحجة أنه لم يتأهل لهذه المهمة، وليس في استطاعته القيام بها، وأخيرا وجد العلماء فرصة عظيمة لإرغامه على قبول هذه التولية حيث قالوا له: هل ترى أن والدك حين اختارك لهذه المهمة لم يكن حكيما في هذا الاختيار، قال: لن أستطيع أن أقول ذلك، قيل له: إذا سلمت بأن والدك كان حكيماً في الاختيار يلزمك قبول هذه التولية، وإلا لزمك القول: بأنه ليس بحكيم حينئذ وافق على تولي هذه المهمة الخطيرة، وهي رعاية أبناء الطريق، وهم عشرات الآلاف في مختلف أنحاء بلاد القطر المصري.

فعلا كانت المهمة صعبة بالنسبة له لأنه كان مطالب باستمرار مجالس الذكر في مختلف القرى والنجوع والمدن، وكان الشيخ الكبير يصابر في تلك

القرى والنجوع والمدن ويعيش كما يعيشون لكن الشيخ محمد كان شديد التحري في مطعمه ومشربه وملبسه فقد صحبته بحمد الله تعالى حوالي الخمسين عاماً، فلم أره يأكل شيئاً عند أحد من الناس، ولم أره يشرب شيئاً من الماء أو غيره من السوائل عند أحد من الناس بل حتى طعامه وشرابه في بيته كان يتناوله وحده لأن له بعض الوصفات في الطعام لا يستسيغها غيره، كما كان شديد التحري في البعد عن النجاسات بل شديد البعد عن الشبهات، لذلك كان يحضر المجالس في القرى والأرياف والمدن بركوب التاكسي يومياً يخرج من بيته بعد العشاء على أن يعود إليه بعد انتهاء المجلس في ساعة متأخرة من الليل، فلم يبت ليلة واحدة خارج حجرته التي تعود النوم فيها طوال حياته، وكثيراً ما كان يلقي دروسا في الفقه المالكي بعد انتهاء المجلس، فأحد المريدين يقرأ ثم يشرح هو بعد ذلك، وذلك من خلال الشرح الصغير لأبي البركات الدردير.

من أثر علاقتي بالشيخ محمد الطيب: طلب من أبنائه المقربين منه قراءة سورة يس لأجل إعفاء ابنه - أحمد الطيب الذي صار الآن الإمام الأكبر - من التجنيد، وكان التجنيد في أسيوط، وسيختبر أمام لجنة من الضباط لمعرفة صلاحيته للتجنيد من عدمه، وقد قرأت سورة يس كغيري ورأيت في نفس الليلة رؤيا غريبة: أنه يجهز للشيخ حمار قوي ليركبه، وكان الحمار له رأسان ورقبتان، وظللت أتعجب كيف يصلح هذا الحمار لركوب الشيخ عليه، ولم يحضر الشيخ بعد ليركبه، وكانت المفاجأة عندما حضر الشيخ ووضع يده على الحمار، وإذا به يتغير الشكل ويصير حماراً عادياً برأس واحدة ورقبة واحدة، وركب الشيخ على الحمار، وعندما استيقظت أولت الرؤيا، بأن موضوع تجنيد الشيخ أحمد كان مشكلا، وأن مشكلته قد حُلت ببركة الشيخ، وأن ابنه أحمد قد حصل على الإعفاء من التجنيد وقد

قصصت الرؤيا على الشيخ، وفعلاً قد تم ذلك حين عرفناه منه، لما حضر إلى القاهرة بعد يومين وعرفنا أنه قد أعفى من التجنيد.

ومن أثر علاقتي كذلك بالشيخ محمد أحمد الطيب الحساني: أني تقدمت لمناقشة رسالة الدكتوراه عام ١٩٧٣م وحدد الموعد للمناقشة وكانت ليلة السابع والعشرين من رمضان من أواخر القرن الرابع عشر الهجري، أرسلت خطاباً لفضيلة الشيخ بموعد المناقشة، وقلت فيه: إني آمل أن أحصل على تقدير درجة الدكتوراه بتقدير: مع مرتبة الشرف الأولى إن شاء الله تعالى، وفي الليلة التي تسبق المناقشة رأيت الشيخ محمد الطيب وقت اشتداد الظهيرة جاء من البلاد ماشيا، وفي صباح يوم المناقشة التي كانت في المساء، رأيت أني في مسجد كبير وقد امتلأ بالمصلين وتقدمت لأصلي إماماً بالناس وقبل تكبيرة الإحرام يصل الشيخ محمد الطيب، ويقف خلفي تماماً في الصف الأول، وتأولت الرؤيتين بأن فكر الشيخ قد شغل بي، وحينئذ يحصل لدي نوع من الاطمئنان للنتيجة التي سأحصل عليها في نهاية المناقشة، وفعلاً كانت النتيجة الحصول على درجة الدكتوراه بتقدير مع مرتبة الشرف الأولى.

وآخر شيء أذكره عنه ولي صلة به: أني صحبت الشيخ قرابة الخمسين عاماً كما قلت ولم أسمع منه مرة أنه تكلم عن نفسه إطلاقاً، وكنت قضيت عامين ونصفاً بحضرموت، ووقع في يدي كتاب عن كرامات الشيخ عبد الله الحداد أحد شيوخ العلويين هناك وبه حوالي ألفين من الكرامات العجيبة، وذلك مما جمع الناس حوله وطار ذكره في بلاد المسلمين شرقاً وغرباً، وقلت في نفسي لماذا شيخنا لا يذكر لنا شيئاً مما منحه الله له، كما حدث للشيخ عبد الله الحداد وأثناء قراءتي في هذا الكتاب رأيت رؤيا عجيبة، رأيت الشيخ محمد الطيب هناك يجلس على كرسي وسبحته في يده يسبح بها، وبجواره طربيزة من الخشب متر في متر، تتفكك أخشابها حتى تكون مجموعة من الخشب ثم

تركب مع بعضها البعض من تلقاء نفسها، فتكون طربيزة عادية تصلح للأكل أو للكتابة عليها، ثم بعد حين تتفكك من تلقاء نفسها فتكون مجموعة من الخشب ثم تعود بعد قليل طرابيزة ويتكرر ذلك في عدة مرات والشيخ مشغول بسبحته لا ينظر إليها إطلاقاً مع أنها لا تبعد عنه إلا بمقدار شبر، وكان يقف بجواري واحد من هناك يقول لي: كان شيوخنا القدامي يعملون مثل ذلك فلما استيقظت من النوم عرفت الإجابة على تساؤلي وأن الكرامات قريبة من الشيخ ولكنه لا يريدها ولا يتطلع إليها.

ولد الإمام الأكبر الدكتور أحمد محمد الطيب الحساني في ٦/ ١/ ١٩٤٦م وقد تولى مشيخة الأزهر في ١٩/ ٣/ ٢٠١٠م ونحاول فيما يلي بيان تدرجه في الدرجات العلمية في تواريخ محددة بناء على ورقة رسمية من مشيخة الأزهر.

حصل على درجة الدكتوراه في العقيدة والفلسفة من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر في عام ١٩٧٧م ثم عين أستاذاً للعقيدة والفلسفة بنفس الكلية في ١٩٨٨/١/٦م ثم انتدب عميداً لكية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بمحافظة قنا في ٢٧/ ١/ ١٩٩٠م، ثم انتدب عميداً لكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بأسوان في ١٥/ ١١/ ١٩٩٥م، ثم عين عميداً لكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية في الباكستان ١٩٩٩- ٢٠٠٠م.

أما إعاراته للجهات العلمية الخارجية فمنها: جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، ثم جامعة قطر، ثم جامعة الإمارات، ثم الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد بباكستان.

عين مفتياً للديار المصرية من ١٠/ ٣/ ٢٠٠٢م حتى ٢٧/ ٩/ ٢٠٠٣م وكان أحد المرشحين الثلاثة في هذا الوقت، وهم: الدكتور/ أحمد الطيب أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين، وكان مرشحاً من قبل شيخ الأزهر آنذاك

وهو المرحوم الدكتور/ محمد سيد طنطاوي، والمرشح الثاني: كان الدكتور/ علي جمعة أستاذ أصول الفقه وكان مرشحاً من قبل وزير الأوقاف آنذاك الدكتور/ محمود زقزوق، والمرشح الثالث: كان الدكتور/ أحمد علي طه ريان أستاذ الفقه المقارن وكان مرشحاً من قبل رئيس جامعة الأزهر، وكان رئيسها آنذاك الدكتور/ أحمد عمر هاشم، وكنت قد أبديت رفضي لهذا المنصب في كل الجهات الرسمية في الدولة التي تشرف على تعيين كبار الموظفين، وكان أهم دوافع الرفض الخلاف الكبير بيني وبين شيخ الأزهر بسبب القرارات الصعبة التي اتخذها حول المواد الدراسية في المعاهد الأزهرية ولا يصح أن يكون هناك خلاف بين شيخ الأزهر والمفتي، وأخيراً صدر القرار باختيار الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب للإفتاء، فحمدت الله كثيراً، لأن هذا المنصب عرض عليّ عدة مرات، وكنت ملازماً للرفض في كل مرة.

تم اختيار الدكتور/ أحمد الطيب للإفتاء في ١٠/ ٣/ ٢٠٠٢م وظل في هذا المنصب حتى ٢٧/ ٩/ ٢٠٠٣م يعني حوالي سنة ونصف، ومما أذكره له وكان لي نصيب فيه أنه كان إذا عرضت عليه قضية خطيرة للإفتاء، كان يستشير بعض أهل العلم، وقد عرضت عليه الفتوى في شأن طفلين من جهة الأقصر ولدا ملتصقين من الرأس من الجهة الخلفية، وقد قامت الجهات الصحية عندنا بعرض حالتهما علي إحدى المستشفيات الكبرى في نيويورك بأمريكا وسافر معهما طبيب كبير مرافق لهما، إلا أن أطباء المستشفى بعد الكشف ودراسة الحالة للطفلين طلبوا فتوى من دار الإفتاء المصرية، بإجراء العملية والحكم فيما إذا حصلت وفاة لطفل أو للطفلين، فقال الدكتور/ علي جمعة في الجلسة: عليهم أن يبذلوا جهدهم في إنقاذ حياة الطفلين والحياة والموت بيد الله تعالى، وقال الدكتور/ محمد رأفت عثمان: على الأطباء أن يبذلوا جهدهم في إجراء العملية لكن بشرط أن يترجح لديهم حياة أحد الطفلين

على الأقل.

أما أنا فقلت: على الأطباء أن يبذلوا جهدهم في إجراء العملية إذا ترجح لديهم إنقاذ حياة الطفلين، وإلا فلا داعي لإجراء العملية ويترك أمرهما لله تعالى.

وانتهى الاجتماع بتسجيل هذه الآراء وحملها الدكتور المرافق للطفلين وسافر إلى أمريكا، وقد استغرقت العملية خمسا وخمسين ساعة، وكللت بالنجاح وعاد الطفلان من أمريكا مستقلان في صحة جيدة، وسلما لأهلهما بجهة الأقصر، والحمد لله رب العالمين.

وهذه الطريقة التي سلكها الدكتور/ أحمد الطيب في الإفتاء، أتمنى أن يتأسى بها كل المفتين في تلك الدار في الفتاوى الخطيرة، والله المستعان.

عين الإمام الأكبر الشيخ / أحمد الطيب رئيساً لجامعة الأزهر يوم ٢٠٠٣/٩/٢٨م وقبل هذا التعيين بعدة أشهر قليلة كنا ننشغل في نقاش وجدال مطول في بعض فتاويه التي كانت تنشر في الصحف، لم يقتنع بوجهة الطرف الأخر، وتوقفنا في النهاية عن المناقشة، لكن عزمت على أن يكون ما حدث من هذا الحوار هو آخر لقاء معه حول ما يصدره من فتاوى، لأنه في النهاية هو الذي سيحاسب عليها.

وبالليل رأيت رؤيا عجيبة، رأيت أني كنت في لقاء مع صديق في مكان معين، ثم تفرقنا؛ ذهبت أنا في طريق قصير وصلت في نهايته إلى مكان به قبة أحد الأولياء، وتمتد من أعلى القبة سبحة ذات حبات كبيرة إلى مسافة كبيرة في الهواء وأما الأخر فمشى في طريق طويل انحرف به بعيداً على امتداد البصر، ثم في نهاية الطريق انحدر به الطريق متجها إلى مكان القبة التي اتجهت إليها في البداية وانتهت الرؤيا بذلك.

وفي اليوم التالي اتصلت به وقلت له ما رأيت في المنام ولم يعلق عليه.

وبعد أشهر قليلة صدر القرار بإعفائه من الإفتاء، وتعيينه رئيساً لجامعة الأزهر فقال لي في أول لقاء بعد ذلك: لقد تحققت رؤياك وها نحن اجتمعنا معا في نهاية الطريق.

من أهم أعماله في رئاسة جامعة الأزهر أنه أنشأ عددا من الفصول الدراسية للمواد الشرعية لتخريج جيل متميز من العلماء.

كما أنشأ عدداً من الفصول للالتحاق بها بعد الثانوية الأزهرية لتخريج مقيمي الشعائر الدينية بالمسجد ومدة الدراسة بها سنتان، كما أنشأ عدداً من الفصول ليلتحق بها المتخرج من الثانوية الأزهرية بدرجات متدنية بقدر النجاح فقط على نمط دبلومات التجارة والصناعة والزراعة بوزارة التربية والتعليم ومدة الدراسة بها سنتان.

كما أنشأ كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالأقصر.

حاول إعادة تدريس الفقه المذهبي الذي ألغاه الشيخ محمد سيد طنطاوي بالمعاهد والكليات لكن هذه الخطوة لم تتحقق كاملة في ظل رئاسته للجامعة ولكن تحققت حين ارتقى إلى مشيخة الأزهر، ولها إعادة سنتكلم عنها فيما بعد مرة أخرى إن شاء الله.

صدر القرار في ١٩/ ٣/ ٢٠١٠م بتعيين الأستاذ الدكتور أحمد محمد الطيب شيخاً للأزهر وكانت أمامه مهام كبيرة بعد انتهاء المرحلة التي تولى المشيخة فيها الدكتور/ محمد سيد طنطاوي، التي اشتملت على كثير من القضايا التي كانت مثار خلاف داخل أروقة الأزهر وخارجه، وأهمها قضيتان على درجة كبيرة من الأهمية.

أولهما: فتوى الإمام محمد طنطاوي التي كانت حدثت منه أثناء مباشرته للإفتاء واستمراره وإصراره على إباحة الربا في البنوك الذي سمى في الآونة الأخيرة بالفوائد، وأن الفوائد في التعامل مع البنوك جميعها حلال سواء كانت

تحمل اسم البنوك الإسلامية أو التجارية، وصار لهذا الرأي قوة بعد تقلد الشيخ طنطاوي مشيخة الأزهر، وبكل أسف مشى في ركب الشيخ الكثير من العلماء والأكثر من رجال الأعمال، وقد خفت صوت المدافعين عن حرمة فوائد البنوك إلا من رحم ربي، وذلك لشدة العقوبة التي أوقعها الشيخ بالمعارضين لفتواه وآرائه بالفصل أو بالسجن وغير ذلك.

لكن بعد تسلم الدكتور أحمد الطيب المشيخة؛ انعكس حال صوت العلماء، حيث ارتفع صوت المدافعين عن موقف الشريعة في تحريم تلك الفوائد، وخفت صوت المبيحين لها لكنه لم يتوقف، بالرغم من أن الشيخ الطيب لم يتعرض لهذه القضية بالإيجاب أو السلب.

ثاني القضيتين: هو التغيير الخطير في مجال مناهج التعليم بالمعاهد الإعدادية والثانوية خاصة في منهج الفقه، حيث انتهى إلى دمج المذاهب الفقهية في منهج واحد اشتمل عليه كتابه الفقه الميسر للمرحلة الإعدادية، ثم المرحلة الثانوية.

في هذه القضية كان للشيخ الطيب اتجاه واضح لإعادة الفقه المذهبي إلى ما كان عليه، قبل الشيخ طنطاوي.

لكنه صُدم بواقع مرير تمثل في مدى استيعاب المدرسين في المرحلتين إلى المستوى الذي يؤهلهم لتدريس الكتب المذهبية القديمة.

ويعلم الله، وهو سبحانه شاهد على ما أقول، أني حذرت منذ عشرين عاما في أيام الشيخ طنطاوي رحمه الله من هذا الانحدار في المستوى لدى مدرسي الفقه في بعض مقالاتي في الصحف اليومية، خصوصاً صحيفة الشعب التي كانت تصدر آنذاك، وقد واجهت الإمام الشيخ طنطاوي بذلك حين استدعاني لمناقشتي فيما كتبت في ذلك.

المهم إن الإمام الأكبر الشيخ الطيب تحير كيف يعيد هذه المناهج

والمدرسين لديهم ضعف شديد في فهمها إلى جانب كيف يوصلونها إلى الطلاب، وقد سمعت منه هذه الشكوى وهذا الموقف المحير، وكيف يتغلب على هذه المعضلة؟

الإمام الأكبر الشيخ أحمد الطيب بعد اشتغاله كثيراً في تغيير مناهج المرحلة الإعدادية والمرحلة الثانوية التي ورثها عن المرحوم الشيخ محمد سيد طنطاوي، والواقع أنه ليس الوحيد الذي كان مشغولاً بل معظم الأزهريين الذين يعيش الأزهر وتراثه المجيد في وجدانهم مشغولون بذلك، والفقير أحمد ريان واحد من هؤلاء، واستقر الرأي بعد المشاورات على التغيير والعودة إلى المناهج القديمة التي تخرج في ظلها العلماء الذين لم يملئوا مصر فقط علماً بل ملئوا كل البلاد الإسلامية حتى لا تجد في الغالب عالماً هنا أو هناك إلا ابنا للأزهر أو حفيداً للأزهر، لكن هذا التغيير يتم على مرحلتين:

المرحلة الأولى: اختصار المناهج القديمة وأن تكون هذه المختصرات بلغة سهلة يفهمها المدرسون الحاليون بالمعاهد الدينية، وتستمر هذه المرحلة لمدة عامين أو ثلاث سنوات على الأكثر، لكن على أن يخضع هؤلاء المدرسون إلى دورات يتلقون فيها التدريب على المناهج القديمة على يد من سبقهم ممن يستوعبون تلك المناهج وفعلا تم اختصار هذه المناهج وعرضت على هيئة كبار العلماء، أو أكبر عدد منهم وتلقى ملاحظاتهم حول هذه المختصرات والعمل على تلافي هذه الملاحظات ممن انشغل بعمل هذه المختصرات، ثم توزيعها على الطلاب.

وقد حضرت كل المراحل التي عرضت فيها هذه المختصرات، وأبديت رأيي في مجال الفقه المذهبي وقد وزعت هذه المناهج بشكلها الجديد بعد طبعها على طلاب المرحلتين الإعدادية والثانوية في العام الدراسي الذي قارب على الانتهاء.

وها نحن منتظرون التطور المرتقب خلال المدة المحددة التي ستعود المعاهد إلى المناهج الأزهرية التي كانت سائدة، مع تنقيتها من بعض الأفكار البيئية والتاريخية مثل عبارات الجواري والعبيد التي كانت سائدة في أيام تأليف المناهج القديمة.

يذكر للإمام الدكتور أحمد الطيب أنه خلال تقلده للمشيخة وحسن علاقته مع إدارة الجيش ثم مع الرئيس محمد مرسي استطاع أن يحصل للأزهر ولمنصب شيخ الأزهر مكاسب سياسية هامة من أهمها:

أ- استقلالية الأزهر من خلال شيخه ورجاله وليس لأي جهة في الدولة التدخل في الأزهر في إداراته المختلفة.

ب-عدم خضوع منصب شيخ الأزهر للإقالة، ما دام قادراً على العمل في توجيه سياسات الأزهر.

ج- إعادة نظام هيئة كبار العلماء في الأزهر وتكون هي المسئولة عن اختيار شيخ الأزهر، وعن اختيار مفتي الديار المصرية.

د- استطاعته تجميع القوى القادرة على تحريك الاتجاهات في الرأي العام لجمع شمل الأحزاب السياسية للاجتماع في المشيخة والخروج بنتائج طيبة لصالح البلاد أثناء الحكم العسكري.

ه- إنشاء نظام بيت العائلة الذي يجمع بين شخصيات إسلامية ومسيحية، وكان له دوره في تهدئة المشاكل التي حدثت أو يمكن أن تحدث.

أهم الإنجازات العلمية للأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب:

الكتب العلمية:

- الجانب النقدي في فلسفة أبي البركات البغدادي، مطبوع بدار الشروق.
- تعليق على قسم الإلهيات من كتاب تهذيب الكلام للتفتازاني، مطبوع بالقاهرة.

- بحوث في الثقافة الإسلامية، بالاشتراك مع آخرين بجامعة قطر بالدوحة.
- مدخل لدراسة المنطق القديم، مطبوع بالقاهرة.
- مباحث الوجود والماهية من كتاب المواقف، عرض ودراسة، مطبوع بالقاهرة.
- مفهوم الحركة بين الفلسفة الإسلامية والفلسفة الماركسية بحث، مطبوع بالقاهرة.
- أصول نظرية العلم عند الأشعري بحث، مطبوع بالقاهرة.
- مباحث العلة والمعلول من كتاب المواقف: عرض ودراسة، مطبوع بالقاهرة.

الأبحاث المنشورة في مجلات علمية محكمة:

التراث والتجديد، مناقشات وردود، منشور بقطر.

أسس علم الجدل عند الأشعري، منشور بالقاهرة.

التحقيق:

تحقيق رسالة (صحيح أدلة النقل في ماهية العقل) لأبي البركات البغدادي، مع مقدمة باللغة الفرنسية، بالمعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة.

في مجال الترجمة: من الفرنسية إلى العربية:

المقدمات الفرنسية للمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.

الولاية والنبوة عند الشيخ محيي الدين بن عربي، منشور بمراكش بالمغرب، ثم بالقاهرة.

مؤلفات ابن عربي تاريخها وتصنيفها، مطبوع بالقاهرة.

أبحاث المؤتمرات والندوات:

الإمام محمد عبده متكلما، بمناسبة مرور مائة عام على رحيله.

ضرورة التجديد، ألقى بالمؤتمر العالمي للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.

الشيخ مصطفى عبد الرازق المفترى عليه، ألقي بباريس عن التصوف بمصر.

ابن عربي، في أروقة الجامعات المصرية، ألقى في المؤتمر الدولي عن ابن عربي.

نظرات في قضية تحريف القرآن المنسوبة للشيعة الإمامية، بأصول الدين بالقاهرة.

دراسات الفرنسيّين عن ابن العربي في المؤتمر الدولي للفلسفة الإسلامية بدار العلوم بالقاهرة.

المهمات العلمية:

- سافر إلى فرنسا لحضور الملتقى الدولي التاسع عشر من أجل السلام بفرنسا عام ٢٠٠٥م.
- سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لحضور مؤتمر: الاحترام المتبادل بين الأديان، عام ٢٠٠٤م.
- سافر إلى إيطاليا لحضور مؤتمر الأديان والثقافات عام ٢٠٠٤م.
- سافر إلى إيطاليا لحضور مؤتمر الثقافة والأديان في منطقة البحر المتوسط عام ٢٠٠٤م.
- سافر إلى إندونيسيا لحضور المؤتمر العالمي لعلماء المسلمين تحت شعار (رفع راية الإسلام رحمة للعالمين) ٢٠٠٤م.
- سافر إلى ألمانيا على رأس وفد من الصحافة ومجلس الشعب لحوار مع البرلمان الألماني ووسائل الإعلام ومجلس الكنائس ٢٠٠٣م.

- سافر إلى سويسراً أستاذاً زائراً بدعوة من جامعة (فريبورج) لمدة ثلاثة أسابيع عام ١٩٨٩م.
- سافر إلى فرنسا لمدة ستة أشهر في مهمة علمية بجامعة باريس ١٩٧٨م.

المهام الأخرى:

- عضو الجمعية الفلسفية المصرية.
- عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- عضو مجمع البحوث الإسلامية.
- عضو مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون.
- رئيس اللجنة الدينية باتحاد الإذاعة والتلفزيون.
- مقرر لجنة مراجعة وإعداد معايير التربية بوزارة التربية والتعليم.

❋ ❋ ❋

* المقصد الثاني *

كل ما جاء في هذا المقصد، هو تعبير عن انفعالي بالأحداث التي كان تجري من حولي في بلدي ومسقط رأسي مصر، التي نشأت على ترابها ونهلت من خيرها، وتعلمت على أيدي قرائها وفقهائها ومعلميها، ثم زاد مقدارها عندي حتى امتلأ قلبي بحبها والغيرة عليها حين سافرت إلى بلاد الله، وعرفت الميزات العظيمة التي تميز بها هذا البلد الكريم المضياف، لذلك كان لي تعليق على كل حدث، أرفع صوتي به ويسجله الأخوة الذين أنيط بهم تسجيل الدروس التي تلقى بالجامع الأزهر، وذلك من باب التنبيه، والمشاركة، والتحذير من المخاطر المترتبة على التصرفات غير المسئولة، والأقوال غير المدروسة، والآراء التي تقلل من أهمية الالتزام بالأحكام الشرعية، التي قامت المؤسسة الأزهرية المباركة لتعليمها والحفاظ عليها بل ونشرها حتى يعم خيرها على المسلمين، ليرضى ربهم عليهم، حيث قال جل شأنه: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1]. والله تعالى أسأل أن يلهمني الرشد والسداد إنه قريب مجيب.

وسأبدأ بالكلام في هذا المقصد، بتذكير أحبابي أهل العلم بما يجب عليهم من مراقبة الله تبارك وتعالى، والحفاظ على الأمانة التي أودعهم الله تعالى إياها، وأن يحضوا المسلمين على التمسك بالثوابت المستقاة من كتاب الله تعالى وسنة حبيبه المصطفى ﷺ والتي حملها إلينا جمهور العلماء جيلاً بعد جيل، وأن ما سأقوله لا يتعدى التذكير ونصيحة أخ لإخوانه وذوي رحمه، وأرجوه سبحانه أن يشرح صدورنا، وينير قلوبنا لما يحبه ويرضاه. آمين.

---

(١) محمد: ٧.

القضية الأولى: دعوى التيسير في الفتاوى في ٨/ ٩/ ٢٠١٢م

في هذه الأيام انتشرت الدعوى في وسائل الإعلام، إلى التيسير في الفتاوى بل وتعدت هذه الدعوى وسائل الإعلام إلى الجرءة على الفتوى، بل ما سئل شيخ عن مسألة إلا وأجاب عنها، مهما كان تخصصه، في التفسير أو الحديث أو اللغة، أو الفلسفة أو العقيدة، ولم تقصر الفتوى على علماء الفقه الذين تخصصوا في دراسة المسائل الفقهية، وحل مشاكل المسلمين.

والمراد بالتيسير المقصود هنا: هو عدم الوقوف مع جمهور الفقهاء والأخذ بالآراء الفردية، حتى مع مخالفة المذاهب الأربعة، ونضرب الأمثلة على ذلك:

أ- إذا حلف على زوجته بالطلاق الثلاث في كلمة واحدة، بأن قال لها: "أنت طالق ثلاثاً"، فالمذاهب الأربعة على أنها قد طلقت منه ثلاثاً ولا رجعة لها، إلا بعد الزواج بآخر، فيحق له إذا طلقها الآخر أن يعيد زواجه بها.

لكن قال آحاد العلماء: تحسب له طلقة واحدة مستدلاً بحديث مردود من المذاهب الأربعة ومما يؤسف له أن جميع لجان الفتوى تفتي بذلك.

ب- إذا حلف على زوجته بالطلاق وهي حائض فالمذاهب الأربعة على أنه تحسب عليه طلقة لقول ابن عمر رضي الله عنهما "حسبت عليَّ طلقة" لكن ذهب أحد العلماء إلى عدم احتساب الطلاق الواقع في الحيض لأنه بدعي، مخالفاً بذلك المذاهب الأربعة ومما يؤسف له أن جميع لجان الفتوى تمشى على ذلك.

ج- الحلف بالطلاق، ثم الدعوى بأنه كان يقصد به التهديد، ولم يقصد إيقاع الطلاق ولجان الفتوى تقول: إن عليه كفارة يمين فقط.

كيف والطلاق صريح، مخالفين بذلك المذاهب الأربعة.

والقائمة طويلة:

والنتيجة أنه كلما تنزلت الفتاوى للجمهور بقصد التيسير وإذا بالجمهور يتساهل أكثر، ويصل الأمر إلى التلاعب في ألفاظ الطلاق.

لأنه يعرف أنه لن يحسب عليه، وبالتالي: لا توجد مشكلة الآن في الحلف بالطلاق؛ لذلك أقول للجميع اتقوا الله، فإنكم ستسألون أمام رب العالمين عن هذه الفتاوى وكيف أجبتم بها؟ وإني قد بلغت، اللهم فاشهد.

القضية الثانية: ١٣/ ٥/ ٢٠١٢م:

هذه القضية تتعلق بالإجارات القديمة التي ألغيت فيها نهايات عقود الإيجار حتى عام ١٩٩٦ حين صدر قانون الإيجار الجديد والملاحظات هي ما يلي:

أولاً: إن إلغاء نهاية عقود الإيجار قد أبطل هذه العقود، لأن الذي يفرق بين الإيجار والبيع، هو تحديد نهاية حق الانتفاع.

ثانياً: التضخم الذي أصاب البلاد، جعل الأجرة التي يدفعها المستأجر، من ثلاثة جنيهات إلى خمسة، إلى عشرة، هذه المبالغ لا تساوى شيئاً الآن، بل تدفع للزبالة مع فاتورة الكهرباء.

ثالثاً: صدور الفتاوى من كبار المشايخ على أن رئيس الدولة له أن يقيد المباح بإطلاق؛ وبناء على ذلك فإن هذه العقود تمتد إلى تسع وخمسين عاماً هذا الكلام غير صحيح لما يأتي:

نعم إن له أن يقيد المباح، في مجال المباح من المعاملات وعقود الإيجار ليست من المباح، هذه حقوق لأصحاب المساكن، والآن صارت حقوقاً لورثتهم وما تلاهم من أجيال.

رابعاً: على المستأجرين أن يرضوا أصحاب العقارات وإلا سيحاسبون على هذا الظلم الواقع على أصحاب العقارات.

خامساً: على الدولة أن تسارع بحل هذه المعضلة.

القضية الثالثة: ١٤/ ١٠/ ٢٠١٢م:

مما تسرب إلى بلاد المسلمين ومنها مصر، بل الأزهر الشريف الذي تخرج منه العلماء الذين قاموا بجهود طيبة في نشره في معظم بلاد المسلمين والحمد لله رب العالمين.

الشرط الجزائي الذي صار الآن جزءاً في كل العقود والاتفاقات سواء محلية أو دولية والذي يحدد التعويض مسبقاً إذا لم يقم أحد الطرفين بتنفيذ ما تعهد به في العقد المبرم بين الطرفين خلال المدة المتفق عليها.

في الغالب أن المبلغ المتفق عليه كتعويض في الشرط الجزائي يكون أكبر بكثير من الضرر المتوقع حصوله لكن حين التوقيع تتوفر لدى الجميع حسن النية لتنفيذ ما اتفق عليه فيوقع الجميع على العقد.

هذا الشرط غير جائز في الشريعة الإسلامية التي نتعبد الله تعالى عليها كمسلمين، إذ الثابت عندنا التعويض عن الضرر، من خلال ما يقوله أهل الخبرة في المجال محل النزاع، وذلك لقوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: "حينما كسرت إناء صفية بنت حيي وتلف ما فيه من طعام: فقال عليه الصلاة والسلام: "إناء بإناء وطعام بطعام".

لكن الشرط الجزائي يلزم الطرف الذي حدث منه خلل في الالتزام أن يدفع المبلغ المنصوص عليه في الشرط الجزائي أيا كان سبب هذا الخلل؛ لكن قد يتظلم أمام المحاكم من هذا التعويض المبالغ فيه، والمحاكم الآن بها عدد كبير من هذه القضايا المتعلقة بالشرط الجزائي.

أتحدث اليوم عن الشرط الجزائي بعد قراءتي لرأي أحد فقهاء الشريعة بأن الشرط الجزائي جائز، وقد قال به الإمام ابن سيرين وشريح القاضي؛ وبأنه يجب أن يدفع المتعاقد للالتزام بتنفيذ العقد محل الاتفاق.

والجواب على ذلك: أن الفقهاء مختلفون في قول الصحابي هل هو حجة

أم لا؟ لكن لم يقل أحد بأن قول التابعي حجة تبنى عليها الأحكام.

ثم إن الشرط الجزائي غالباً فيه مبالغة في تقدير التعويض المسبق، ففيه أكل لأموال الناس بالباطل، وعندنا تشريع التعويض ثابت عن رسول الله ﷺ فما الداعي للقوانين المستوردة وما تجره من مظالم على العباد.

لذلك أقول: علينا الاستمساك بقواعد الشريعة الإسلامية والنظر إلى ما عند الآخرين بحذر شديد نأخذ منهم ما لا يتناقض مع شريعتنا وتقاليدنا الإسلامية.

ونرجو من الله تعالى التوفيق للجميع.

القضية الرابعة: التمهيد لاستصدار قرار بحرية الاعتقاد:

تتوالى في هذه الأيام الفتاوى الخطيرة تمهيداً لاستصدار قرار بحرية الاعتقاد، بحيث يحق لكل إنسان أن يختار الدين الذي يناسبه استناداً إلى قوله تعالى: ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ**﴾[1].

أقول: نعم، إن حرية الاعتقاد مكفولة، فلكل إنسان أن يختار الدين الذين يرى أنه يناسبه، لكن بعد اختياره الدين الإسلامي لا يجوز له أن يخرج منه، وإلا صار متلاعباً به، فقد قال جل شأنه: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ [2]، وقال عز وجل: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ**﴾ [3].

وأقول لهؤلاء الذين يزعمون التجديد في الدين، اتقوا الله في أنفسكم، فلا تعرضوها لعذاب الله، واتقوا الله في المسلمين، فلا تحدثوا في الأمة المسلمة

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) آل عمران: ١٩.

(٣) آل عمران: ٨٥.

فتنة، لا يعلم مداها إلا الله تعالى، والله يقول: ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[1].

القضية الخامسة: هي حرية الاختيار للمسلم للقول الذي يراه مناسبا له:

تزعم أحد الأحباب، وهو شيخ كبير في المؤسسة المباركة، أن كل مسلم له أن يختار الرأي الذي يراه مناسباً له، وقد اشتهر عنه قوله: "إحنا المشايخ ظالمين الناس، لماذا نلزمهم برأي معين، ولماذا لا نتركهم يختارون لأنفسهم".

ونقول: المشايخ لا يظلمون الناس بل يأخذون بأيديهم؛ من الضلالة إلى الهدى، ومن العذاب إلى المغفرة، يأخذون بأيديهم إلى الحق، لأن أكثر الناس لديهم ثقافة عامة، وليست ثقافة فقهية دينية، حتى يعرف القول القوي المبني على دليل، من القول الضعيف.

والأدهى أن هذا الشيخ الكبير يجد التشجيع من أصحاب القنوات الفضائية على استمرارية هذا المنهج، ويقول: إن الإسلام ليس فيه بابوية؟ وإني أبرأ إلى الله تعالى من هذا المنهج، ومن يقول به، ومن يدعو إليه، وإلى الله المشتكى.

ورحم الله تعالى الفقيه الكبير، حين اختصر هذه القضية في عبارات موجزة، قال:

وليس كل خلافٍ جاء معتبراً   إلا خلافٌ له حظ من النظر

* * *

(١) الأحزاب: ٤.

القضية السادسة: القوانين الأجنبية التي اقتحمت حياة المسلمين:

ولنبدأ الحكاية من أولها، بإيجاز شديد:

أيام حكم إسماعيل باشا في السبعينات من القرن التاسع عشر، كانت مصر تحكم السودان، ودخلت في حروب مع أثيوبيا، وانهزمت الجيوش المصرية فأشار بعض الناصحين على إسماعيل أن يجمع كبار العلماء من الأزهر ويستمروا في قراءة صحيح الإمام البخاري حتى يتحقق النصر، وفعلاً استمر العلماء في قراءة صحيح البخاري، ولكن الهزائم توالت على الجيش المصري.

فجاء إسماعيل إلى العلماء، وقال لهم: إن الهزائم توالت على الجيش المصري، كيف ذلك؟ مع قراءتكم هذه، يا إما أنتم لستم علماء الأزهر، أو أن ما تقرؤونه ليس بصحيح البخاري؟

فقام أحد العلماء، وقال له: أنت السبب يا إسماعيل باشا، لقد أنشأت المحاكم المختلطة، وأتيت لها بالقوانين الفرنسية، القانون التجاري، والقانون الجنائي، وعدد له ستة قوانين أساسية، ولم يبق من قوانين الإسلام إلا الأحوال الشخصية، ثم طُبِّقت هذه القوانين على المحاكم الأهلية.

فقال: ماذا نفعل بعد أن انفتحنا على الحضارة الغربية، وتأثرنا بهم، وأرغمونا على إدخال قوانينهم.

فقال له: إذا لا لوم على علماء الأزهر، ولا على صحيح الإمام البخاري.

هذا ما كان من قرن ونصف من الزمان.

لكن منذ عشرات قليلة من السنين: أُدخل إلى المحاكم القانون الذي يتعلق بالخيانة الزوجية وموجزه كما يلي:

إذا تلبست المرأة بجريمة الزنا في منزل الزوجية، كان أقصى حكم

عليها، هو الحكم بسنتين من السجن.

بينما إذا تلبس الزوج بالزنا مع امرأة أجنبية، داخل منزل الزوجية، فأقصى حكم عليه هو ستة أشهر بالسجن.

لكن إن كان التلبس بالزنا خارج منزل الزوجية، فالطرف الآخر هو صاحب القرار، بالفراق، أو البقاء في الحياة الزوجية.

المرحلة الثالثة: منذ سنوات قليلة أدخلت على تشريع الأسرة في الإسلام مجموعة خطيرة من القوانين، من أهمها ما يلي:

١- إعطاء الحرية المطلقة للأولاد منذ ست سنوات، بحيث تكف يد أبيه وأمه من أهله، عن تأديبه وتقويمه.

٢- عدم تعدد الزوجات إلا في حالات مستثناة.

٣- أنه يحق للمرأة أن تسافر للخارج بدون إذن زوجها. وغير ذلك.

ومما يؤسف له: النظام السابق وافق على تلك الاتفاقيات المتضمنة لتلك القوانين.

وأحمد الله تعالى، أن مجموعة خيرة من أهل العلم أخذوا على عاتقهم، مكافحة هذه الاتفاقيات، وإعادة التشريع الإسلامي للأسرة المسلمة.

وأرجو أن يوفقوا إن شاء الله تعالى في ظل النظام الجديد.

القضية السابعة: هي أن إطلاق اللحية عادة وليست سنة أو عبادة:

أحد المسئولين الكبار في وزارة الداخلية، يقول: الذَّقن عادة وليست عبادة، مع تكرار هذا القول، وأن وزارة الداخلية ستتخذ الإجراءات اللازمة ضد أصحاب الذقون أو أصحاب اللحى.

هناك مجموعة من الضباط شعروا بأن ثورة ٢٥ يناير أتت بالحرية، وعليه فليستفيدوا من هذه الحرية، بهذه السنة النبوية.

نعم الأشرار استخدموا هذه الحرية في ألوان الشر، كسروا الشقق المغلقة، واستولوا على المباني الخالية، وسرقوا آلاف السيارات، وخطفوا الأطفال الصغار.

وكنا نتوقع من أهل العلم ممن لهم صوت يسمع من جهة المسئولين، أن ينصروا هؤلاء الضباط ويبينوا موقع اللحية في الإسلام، وأن اللحية للضابط تدفعه للالتزام والبعد عن كل ما يغضب الله تعالى في عمله.

لكن ما حدث، هو مناصرة وزارة الداخلية، وأن الوزارة لها الحق في اتخاذ ما تراه في هذا الشأن ضد هؤلاء الضباط.

وكان أهون الشرين: السكوت ولزوم الصمت.

لكن مناصرة من يقول: إن السنة عادة وليست عبادة، كان أمراً عجيباً، إذ في ذلك إضعاف لرسالة الأزهر وللعلماء، وللمؤسسات الرسمية التي ينتمي إليها العلماء.

القضية الثامنة: متى يعتد بالطلاق الصادر من الزوج:

من أخطر القضايا التي تناولها الزميل الكريم الشهير الآن في وسائل الإعلام والذي يذكر في كل قضية، رأين أو ثلاثة، قضية الاعتداد بالطلاق الواقع من الزوج على زوجته، حيث قال: إن فيه ثلاثة آراء:

الرأي الأول: يقع بقول الزوج لزوجته أنت طالق، أو زوجتي طالق، سواء وثق هذا أمام جهات التوثيق أم لا، وهو الاتجاه الغالب، وبه أخذت دار الإفتاء المصرية ومجمع البحوث ومحكمة النقض ١٩٨٢م، والمحكمة الدستورية العليا ٢٠٠٦م، لآيات القرآن الكريم:

﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [(١)].

---

(١) البقرة: ٢٢٩.

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ ﴾[١].

﴿ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [٢].

ومما يؤسف له أنه لم يقل: هذا رأي المذاهب الأربعة من المالكية والحنفية والشافعية والحنابلة.

الرأي الثاني: يروى عن علي وابن عباس وعطاء، أنه لا بد من شاهدين يحضران الزوج حين يطلق، ويشهدا على وقوع الطلاق منه، لقوله تعالى ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [٣].

الرأي الثالث: لبعض أهل الفقه المعاصرين، - ولم يسم أحداً منهم – ثم قال: وهو الاتجاه الغالب في قانون الأحوال الشخصية بأنه لا يعتقد بالطلاق إلا إذا كان موثقًا.

ثم رجح ذلك الرأي لما يلي:

١. بالاستناد إلى الآية حيث طلبت الإشهاد على الطلاق ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ .
٢. إلى الاشتراط في العقد بأن يقول الزوج حين إبرام العقد إذا طلقها يكون طلاقها منى رسميا بالتوثيق كالزواج.
٣. أن ولي الأمر له تقييد المباح.
٤. المعروف أن المطلقة لا تبدأ عدتها إلا بعد التوثيق أمام المأذون.
٥. فيه إنقاذ للأسر من التفكك ونكاح التحليل.

ونقول للرد على هذه المرجحات:

أولاً بالنسبة للأمر بالإشهاد على الطلاق، فإن هذا الأمر للندب.

---

(١) البقرة: ٢٣٠.

(٢) الطلاق: ١.

(٣) الطلاق: ٢.

ثانياً: لم يحصل في أي قانون للأحوال الشخصية أنه ينص فيه على أن يكون الطلاق موثقاً، كما أن الزواج كان موثقاً.

ثالثاً: إن ولي الأمر له تقييد المباح فيما لم ينص عليه، أما حرية الزوج في طلاق زوجته فهذا منصوص عليه في الكتاب والسنة.

رابعاً: كون الزوجة لا تبدأ العدة إلا من يوم التوثيق، لم يقل بهذا أحد من أهل العلم، وإذا عمل بهذا فهو من باب التحوط فقط.

خامساً: المحكمة الدستورية العليا عام ٢٠٠٦م أعلنت أن الحكم الصادر عام ٢٠٠٠م مخالف للدستور وألغته.

القضية التاسعة: لماذا التساهل في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ووصفها بأنها عادات:

أقول: تطبيق الشريعة الإسلامية هم الهم الذي يحمله المخلصون من أبناء الأزهر في قلوبهم في كل العصور، مهما تغيرت العصور وتبدلت الحكومات.

سمعت من شيوخنا: نتيجة ثورة ١٩١٩م منحت مصر دستور سنة ٢٣، وكان على رئيس الحكومة سعد زغلول ألا يغفل على أن ينص في هذا الدستور على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وجاء سعد زغلول مع الملك جهة كليات الأزهر القديمة بجوار سيدنا الحسين، فاصطف الأزهريون يهتفون للملك فؤاد، لا لسعد زغلول، فيقولون: يعيش الملك فقط، يعيش الملك فقط، وكان الملك ضعيفاً في اللغة العربية، فهمس في إذن سعد زغلول، وقال له: مين الملك فقط الذي يهتفون له، ويقولوا: يعيش الملك فقط، فقال له: يعني تعيش أنت وحدك، ولا أعيش مثلك.

فكانت هذه رسالة من الأزهريين ضد سعد زغلول الذي لم يحرص على

النص على تطبيق الشريعة الإسلامية في دستور ٢٣.

وهناك موقف آخر كنت حاضراً فيه:

في سنة ١٩٦١م عمل عبد الناصر الميثاق، ودعينا طلاباً وشيوخا في قاعة الإمام محمد عبده لإلقاء شيخ الأزهر: الشيخ محمود شلتوت، بيان الأزهر الشريف في تأييد الميثاق، وبدأ الشيخ عبد الرحمن العدوي في إلقاء البيان المكتوب، وقد نص فيه على أن تشع الشريعة الإسلامية في الميثاق، ولم يرتض الحاضرون هذا التعبير، فقفز الشيخ ثابت أبو المعالي شيخ معهد أسيوط الديني من مدرج المستمعين إلى المنصة التي يجلس عليها شيخ الأزهر والأمين العام الذي يقرأ البيان، فخطف سماعة الميكرفون من يد الأمين العام وقال: ماذا تعني كلمة تشع، نحن نريد النص على ضرورة أن يكون الميثاق نابعاً من كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله ﷺ وصفق الحاضرون وحصل الهرج بالقاعة.

والآن يظهر لنا مصطلح جديد هذه الأيام، اسمه مصطلح (العادة) بدلاً من النصوص الشرعية التي تربى عليها المسلمون.

فقد أشرت قبل قليل إلى كلام المسئول الكبير في وزارة الداخلية الذي يقول: إن إطلاق اللحية عادة وليس عبادة.

وسبق ذلك: أنه قيل: إن ختان الإناث عادة وليس سنة، ثم تطور الأمر إلى أن ختان الإناث أمر منكر ومحرم، ويأثم من فعله، وأصدر وزير الصحة قراراً بتحريم ختان الإناث في المستشفيات الحكومية.

وسبق ذلك أنه قيل: إن الانتقاب عادة وليس سنة، وعلى ذلك منعت كل امرأة منتقبة من دخول قاعات الامتحانات.

إلى متى هذا التساهل في تطبيق الشريعة الإسلامية وإلى متى ستنقلب السنن إلى عادات، أرجو أن نفيق من غفلتنا ونعود إلى شريعتنا.

القضية العاشرة: الزكاة على الأموال المودعة ١٠٪ من الأرباح وليس ٢,٥٪ في المائة كما جاء في السنة ومشى عليه فقهاء المذاهب الأربعة:

بدأ هذا التشريع من عقد الستينات حيث أفتى الشيخ عبد الله المشد عليه رحمة الله بأن الأموال المودعة زكاتها ١٠% من العائد أو الربح، ويقول: إنما أفتى بها عمر بن عبد العزيز هكذا أغفل المفتي عنه.

والتساؤل الذي يدعو إلى العجب، كيف تترك قاعدة شرعية ثابتة بالسنة النبوية بحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إذا كانت لك مائتا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم، وليس عليك شيء يعني في الذهب حتى يكون لك عشرون ديناراً، فإذا كان لك عشرون ديناراً وحال عليها الحول ففيها نصف دينار" رواه أبو داود.

هذه النسبة في جميع النقود، سواء كانت سائلة أو مدخرة، ما دام قد حال عليها الحول مع كمال النصاب.

فكيف يخالف عمر بن عبد العزيز السنة الثابتة في الزكاة، وكيف لم ينتبه لذلك علماء المذاهب الأربعة في كل تلك القرون.

ولكن مما يؤسف له: أنه بعد وفاة الشيخ عبد الله المشد بعقود، بعض الشيوخ الكبار لا زال يردد هذه الفتوى في وسائل الإعلام، حتى الآن.

هذه الخسارة في حقوق الفقراء حيث ينقص حقهم، لأن من كان يملك مائة ألف وكان العائد عشرة آلاف، فالواجب عليه أن يخرج ألفين وخمسمائة من الجنيهات، ولكن بحسب هذه الفتوى سيخرج عشر العائد فقط، يعني سيخرج ألف جنيه وضاع من حق الفقراء ألف وخمسمائة جنيه.

ولو مشى على هذه الفتوى أكثر الناس فماذا يكون حال الفقراء.

ومن الذي سيسأل عن هذه الحقوق الضائعة من الفقراء والأرامل والمساكين؟.

القضية الحادية عشر: إنسانية الدولة:

كانت هناك قديمً نكتة يتداولها الناس بينهم هي: أن فلان ملكي أكثر من الملك، وذلك حينما يتشدد شخص في قضية لا تخصه، ولكنه يدافع عنها بشدة وصلابة أكثر من صاحبها، فيقال عنه: فلان صار ملكياً أكثر من الملك، يعني الملك نفسه لا يدافع عن الملكية التي هي حق له مثل هذا الشخص الذي يدافع عنها بشدة.

وهذا القول: أقوله بمناسبة إصدار أحد شيوخ الأزهر المعاصرين كتاباً باسم "الإسلام وإنسانية الدولة" بينما العلمانيون والشيوعيون الآن يدافعون بشدة عن مدنية الدولة ويخشون من المادة الثانية في الدستور حتى لا تكون سبيلاً في المستقبل لتحكيم الشريعة الإسلامية في الدولة.

فجاء شيخنا ليتقدم عليهم، لا أقول: خطوة، ولكن بل خطوات، إذ في نظره أن الإنسان في هذه الدولة حر يختار ما يشاء من الأحكام الشرعية لا سلطان لأحد عليه، حتى في الإيمان والكفر، له أن يختار ما يشاء دون وصاية عليه من أحد.

حيث يقول في ذلك: ففي أصل الدين يقول تعالى: ﴿ **وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾[١] وقال عز وجل: ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ**﴾[٢].

وفي فروع الدين يقول النبي ﷺ فيما أخرجه أحمد بإسناد حسن عن وابصة: "يا وابصة استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك".

والخطير هنا: اقتطاع النصوص من سياقها ليستدل بها على ما يريد

---

(١) الكهف: ٢٩.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

الوصول إليه، وهو حرية الاعتقاد فقط، أي لك أن تختار أي دين تشاء لا سلطان عليك.

وهذا فيه فتنة عظيمة: لأن الإسلام جعل لأهل الكتاب حرية الإسلام أو البقاء على دينهم بناء على معاهدة تعقد معهم، بها حقوق لهم وعليهم، وعليهم أن يلتزموا بها.

لكن من أسلم عن اقتناع فليس له أن يختار الكفر بعد ذلك وإلا اعتبر مرتداً ويحكم عليه بالقتل إن لم يرجع ويتوب.

كذلك جميع المسلمين يجب عليهم التمسك بدينهم ومن اختار الكفر منهم فهو مرتد، ويحكم عليه بالقتل إن لم يرجع ويتوب.

ثم في هاتين الآيتين تهديد خطير لمن يختار الكفر على الإيمان قال تعالى: **﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾**[1].

وقال في الآية الثانية: **﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**[2].

نرجو من الله أن يشرح صدورنا جميعا لما يحبه ويرضاه.

---

(١) الكهف: ٢٩.

(٢) البقرة، ٢٥٦، ٢٥٧.

القضية الثانية عشرة: حب المسلمين للأزهر:

في العقد السابع من القرن الماضي برقية من إحدى الدول الإفريقية في جنوب الصحراء: إلى المسئولين من المسلمين في جنوب إفريقيا؛ قادمون إليكم رجال من بلد الأزهر.

وكان هذا الوفد يتكون من بعض علماء الأزهر ومعهم المقرئ الشهير في ذلك الوقت الشيخ "عبد الباسط محمد عبد الصمد".

كان الأزهر هو السمة البارزة لمصر بالنسبة لمسلمي العالم، حيث كانت تعرف مصر في ذلك الوقت بأنها بلد الأزهر الشريف.

وتشاء المقادير أن كنت في رحلة للحج في العام قبل الماضي في ضيافة وزارة الحج السعودية والتقيت في هذه الضيافة مع رئيس جمعية خيرية إسلامية في جنوب إفريقيا، وقد سمى أحد أبنائه باسم "عبد الباسط محمد عبد الصمد" هكذا ثلاثياً من باب الاعتزاز بهذه الزيارة من علماء الأزهر لجنوب إفريقيا.

وهذا يمثل مدى عمق حب المسلمين في العالم الإسلامي للأزهر الشريف الذي ينتشر علماؤه في أنحاء الأرض لنشر أحكام الشريعة الإسلامية الوسطية المعتدلة البعيدة عن الشطط في الأحكام والبعيدة أيضاً عن التسيب في الأحكام الذي بدأ ينتشر الآن بين إخواننا ومشايخنا، هدانا الله جميعا لما يحبه ويرضاه.

ولأجل هذه الوسطية يدعو أحد ملوك أحدى الدول العربية الدكتور/ أحمد الطيب وقت أن كان مديراً لجامعة الأزهر في قصره الخاص من باب الحفاوة ولإنشاء كلية عندهم تدرس فيها علوم الأزهر.

القضية الثالثة عشرة: أوراق البنكنوت لا ربا في التعامل بها:

أمر خطير، فقد وقع في يدي كتيب لأحد شيوخنا الكبار ويعمل كبيراً لمراقبي أكبر بنك إسلامي في مصر والعالم الإسلامي، وهذا الكتاب منشور في أكبر دار للنشر في مصر.

يقول فيه: بما أن النقد هو عبارة عن عملة ورقية (البنكنوت) وقيمتها غير ثابتة أي خاضعة للنقص والزيادة بسبب التضخم عندنا فإنه لا بأس من أن يكون القرض بفائدة حتى لا يخسر المقرض جزءاً من قيمة قرضه بسبب تغير هذه القيمة.

ثم يقول: وبناء على ذلك فالنص في العقد على هذه الزيادة لا يفسد العقد ولا يدخله في دائرة الربا المحرم.

ثم يقول: فالأحسن أن ترتبط العقود بشيء ثابت القيمة كالذهب ويكون السداد مراعى فيه قيمة هذا الشيء الثابت القيمة.

والسؤال الآن: هل تغير قيمة العملة الورقية خاص بمصر؛ بل هو في جميع دول العالم لكن بنسب مختلفة.

لأن جميع الدول اعتمدت العملة الورقية وقطعت الصلة بينها وبين الذهب حتى أمريكا فقد انقطعت الصلة بين العملة الورقية وبين الذهب منذ عام ١٩٦٨ هناك.

ب- وإذا كانت القروض بين الأشخاص يمكن أن ترتبط بشيء ثابت فكيف يتم التعامل في ودائع البنوك والمعارض في السيارات والأدوات المنزلية، والأراضي وغيرها.

لذلك ندعو الإخوة المسلمين للحذر من هذه الفتاوى الخطيرة التي شوهت أحكام الربا الثابت في الكتاب والسنة ثم إن من يتعامل بذلك فهو معرض لحرب الله تعالى ورسوله حيث قال جل شأنه: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [(١)].

---

(١) البقرة: ٢٧٩.

القضية الرابعة عشرة: التأمين على الحياة:

عندنا نوعان من التأمين: التأمين التجاري والتأمين التعاوني.

التأمين التجاري: أن يدفع الشخص مبلغاً محدداً على أن يقبضه في مدة محددة من عمره في سن الستين سنة مثلاً أو يقبض أهله هذا المبلغ المحدد بعد وفاته.

أو يدفع اشتراكاً شهرياً أو سنويا ليقبضه هو أو ورثته بعد وفاته؛ مبلغًا محددا أكبر.

في هذا العقد غرر وربا أي جهالة وربا لأنه قد يدفع أكثر إذا طال به العمر ويأخذ أقل.

وقد يكون العكس: أن يدفع أقل ويموت بالقرب، فيقبض ورثته مبلغاً أكبر بكثير مما دفعه، والشريعة الإسلامية تشترط في التعاقد أن يكون كل من الثمن والمثمن معلوماً.

وإذا كان العقد إلى أجل كعقد الإجارة فلا بد أن يكون الأجل معلوماً.

لذلك كان عقد التأمين التجاري حرام، لما يشتمل عليه من الربا وجهالة الأجل.

تعديل: بعض الفقهاء المعاصرين اتفق مع بعض شركات التأمين أن ترد شركة التأمين المبلغ المدفوع مع فائدته الربوية بحسب النسبة التي تعطيها البنوك الرسمية وبذلك لا يخسر المشترك شيئاً بل ويكسب الفائدة.

ومما يؤسف له: أن بعض الشيوخ الكبار يقولون بوجوب التأمين التجاري بحجة تعويد الناس على الادخار.

أقول: ومع ذلك لا زال عقد التأمين التجاري حرام.

لما هو معلوم: أن الفائدة المحددة من رأس المال حرام.

ثم إن شركة التأمين تضع أموالها في بنوك تعطي فوائد عالية بنسبة

خمسة عشر في المائة، وحين تعيد المال وفائدته تحسبها بفائدة البنوك الرسمية وهو سبعة في % أو ثمانية في % وتحصل على الباقي.

لذلك لجأ بعض الناس إلى عمل شركات تأمين تعاونية، بحيث يتفق مجموعة من التجار أو أصحاب رؤوس الأموال بحيث إذا حدث لأحدهم شيء من الخسارة أو الكوارث المالية فإنه يساعد من المبلغ المجموع من الجميع، لأنهم حين يجمعون هذه الأموال تكون لديهم نية التبرع لربما يأخذ بعضهم أكثر مما دفع فيكون فيه سماح من الآخرين.

وهذا النوع من التأمين لا بأس فيه ما دام مصحوباً بنية المواساة لمن يصاب بضرر، كما يجب أن يكون مصحوباً بنية التبرع.

القضية الخامسة عشرة: مكان الشريعة الإسلامية في الدستور الجديد:

كان الدستور السابق ينص في مادته الثانية، على أن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، وقد وافق الشعب المصري على ذلك سنة ١٩٧١م أيام رئاسة أنور السادات.

وكان المراد: أن أي قانون يتغير أو يعدّل، يجب أن يراعى فيه أن يكون وفق الشريعة الإسلامية.

لذلك كان هناك حرص شديد من الجهات ذات النفوذ في وزارة العدل ذات الميول غير الإسلامية، أن القوانين السارية يكفى أن ترمم فقط، ولا تتغير ولا تعدّل، حتى لا تدخل في حيز هذه المادة، ويكون القانون جزءاً من الشريعة الإسلامية. ومن خلال هذا الترميم المحدود، يظل القانون على ما هو عليه، حسب ما أخذ من القانون الفرنسي.

ثم ظهر في الانتخابات التي تمت في مجلس الشعب ورئاسة الدولة، فهم جديد لهذه المادة تبناها العلمانيون والشيوعيون،وهي أن المبادئ المنصوص

عليها في دستور ١٩٧١م هي المبادئ الأخلاقية العامة، وليست القواعد الشرعية التي تبنى عليها الأحكام الشرعية لقد سمعت ذلك بأذني ورأيته وهو يقول ذلك وكان من كبار المرشحين لرئاسة الدولة.

فلما أريد إعادة صياغة هذه المادة في اللجنة الدستورية، حرص بعض الغيورين، على وضع صياغة صريحة تنص على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وذلك بالنص، على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع، فاتخذ العلمانيون موقفاً مضاداً لذلك ورفضوا ذلك،وأصروا على إعادة الصيغة السابقة وهي مبادئ الدين الإسلامي هي المصدر الرئيسي للتشريع.

لذلك تدارست هيئة كبار العلماء هذا الموضوع وطلع البيان الذي جاء فيه "لا بأس من ذكر مبادئ الشريعة الإسلامية على أن يكون الأزهر الشريف هو المرجع الوحيد في تفسير هذه المبادئ".

لكنهم رفضوا وقالوا: المرجع "ما كان قطعي الثبوت قطعي الدلالة من الشريعة" فقلت: هذا كلام خطير، لأنه ليس لنا قطعي الثبوت من النصوص إلا ألفاظ القرآن الكريم، وقليل من الأحاديث المتواترة حوالي مائة وثلاثين حديثاً.

وأما قطعي الدلالة، فهو قلة من ألفاظ القرآن الكريم، ومعنى ذلك تنحية الشريعة الإسلامية كلية من التطبيق والإبقاء على القانون الفرنسي، والمعركة لا زالت محتدمة بين الفريقين.

ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يشرح صدور الجميع لما يرضى الله تعالى ورسوله ﷺ.

القضية السادسة عشر: مشروع مكافحة الفتنة الطائفية:

نشرت جريدة الجمهورية في عددها ٢١٩٠٣ الصادر بتاريخ: ١٣ صفر ١٤٣٥هـ ١٦ ديسمبر ٢٠١٣ أن ائتلاف أقباط مصر سلم أمس رئاسة الجمهورية مشروع قانون: مقترحا لمكافحة الفتن الطائفية، وطالبه بتعجيل إصدار القانون مع إمكانية تعديل مواده بما يحقق الهدف منه.

تضمن المشروع ١٢ مادة أبرزها:

مادة تؤكد حرية الاعتقاد، وتنظيم التحول الديني، بشرط بلوغ سن ٢١ سنة على أن ينتظم راغب التحول في جلسات نصح وإرشاد مكونة من شيخ أزهري وقس ورجل قضاء.

وينص المشروع على حرية ممارسة الشعائر الدينية، بما يتوافق مع القوانين المصرية، وتجريم ازدراء الأديان السماوية وعدم التمييز في كافة نواحي الحياة العملية بسبب العقيدة أو الجنس أو العرق وحظر حجب أي وظيفة أو ترقية للمناصب السيادية بسبب العقيدة، وتضمن المشروع استحداث مادة دراسية إجبارية في جميع مراحل التعليم، تدرس مفهوم المواطنة، وقيم التسامح والمحبة بين أبناء الوطن.

أقول:

في هذا المشروع جوانب إيجابية منها: حرية ممارسة الشعائر الدينية، لكن يجب أن يقيد ذلك بأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وليس للبهائية أو القاديانية أو لعبدة الشيطان وأمثالهم، من العقائد الفاسدة.

وكذلك نحن مع تحريم ازدراء الأديان السماوية، وكذلك نحن مع عدم التمييز في نواحي الحياة العملية بسبب العقيدة أو الجنس كما أنه لا بأس من استحداث مادة دراسية تكرس مفهوم المواطنة وقيم التسامح والمحبة بين أبناء الوطن.

لكن الذي لا نوافق عليه:

أولاً: حرية الاعتقاد، وتنظيم التحول الديني بشرط بلوغ سن ٢١ سنة حتى مع جلسات النصح والإرشاد، وذلك لأن حرية الاعتقاد كفلتها شريعة الإسلام، فلا إكراه لأحد لإدخاله في دين الإسلام وقد نص القرآن الكريم على ذلك.

لكن بعد دخول الشخص للإسلام عن اقتناع، لا يجوز له الارتداد عنه، وإلا كانت عقوبته القتل بعد الاستتابة، وذلك للأحاديث التالية، عن عكرمة قال: أتى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بزنادقة، فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله ﷺ قال: "لا تعذبوا بعذاب الله، ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: من بدل دينه فاقتلوه" رواه الجماعة إلا مسلماً.

وكذلك حديث أبي موسى أن النبي ﷺ قال له: "اذهب إلى اليمن ثم اتبعه معاذ بن جبل فلما قدم عليه ألقى إليه وسادة وقال: انزل، وإذا رجل عنده موثق، قال: ما هذا؟ قال: كان يهودياً فأسلم، ثم تهود، قال: لا اجلس حتى يقتل؛ قضاء رسول الله ﷺ " متفق عليه.

فهذان الحديثان ثابتان بأن من بدل دينه، فإنه يقتل بعد استتابته.

ثانياً: ما جاء في الوثيقة: من حظر حجب أي وظيفة أو ترقية للمناصب السيادية بسبب العقيدة.

أما بالنسبة للوظائف الوزارية وما دونها، فلا بأس لأنها وزارات تنفيذ، أما رئاسة الدولة أو رئاسة الوزارة فلا، للحديث الصحيح: "بأن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه" فلا يجوز لدولة إسلامية أن تحكم بغير مسلم والدستور قد نص فيه على أن دين الدولة هو الإسلام.

هذان هما الأمران اللذان نتحفظ عليهما في هذه الوثيقة.

هذا وبالله التوفيق.

القضية السابعة عشرة: المظاهرات التي حدثت للمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية (١١/ ١١/ ٢٠١٢م)

مع تحفظي على فكرة المظاهرات، إلا إذا كانت بإذن ومحددة النطاق، لكني وجدت نفسي متعاطفا مع المطلب الذي تنادي به هذه المظاهرة، لأنه مطالبة بحق ضائع، يراد استرداده، إن المسلم من حقه أن تطبق عليه شريعة ربه، ليلتزم بها في معاملاته مع الآخرين، فيأخذ حقه من الآخرين ويعطي الآخرين حقوقهم، وفق الشريعة الإسلامية التي اختارها سبحانه وتعالى ليختم بها الشرائع السابقة، ووعد سبحانه بأن من يلتزم بشرعه، فيحل حلاله، ويحرم حرامه، بأن يصلح له دنياه ويكرمه في آخرته، ويجعل الحياة له هادئة مطمئنة، يهنأ فيها بالسعادة ورغد العيش دون نكد أو بلاء، قال تعالى: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**(١).

وقال تعالى بنفس المعنى مع التصريح بصلاح البال في الدنيا وتكفير السيئات في الآخرة حيث قال عز وجل: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾**(٢).

وإن المؤمن ليتعجب من المسلمين، كيف يهربون من هذا العرض الكريم، من الرب الكريم، وقد جرب ذلك في سلف هذه الأمة، حين التزموا بشريعة ربهم، مكّن لهم في الأرض، ودانت لهم الممالك والإمبراطوريات في شرق الأرض وغيرها، ووجد أهل الكتاب الراحة والطمأنينة، في ظل الحكم الإسلامي الحقيقي، وقد تعهد لهم الرسول الكريم ﷺ بذلك في قوله عليه

---

(١) النحل: ٩٧.

(٢) محمد: ٢.

الصلاة والسلام: "لهم ما لنا وعليهم ما علينا" وذلك تحقيقا لأمر الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(١).

لذلك كان خروجنا عن دائرة هذه الشريعة الإسلامية وتحكيم قوانين الغرب غير المسلم في المسلمين، بلاءاً عظيماً، جر على البلاد أنواعا من البلاء في الأخلاق، والمعاملات، وكل ألوان الحياة.

لذلك نرجو من الله تبارك وتعالى أن يشرح صدورنا حتى نرجع إلى شريعة ربنا ففيها الحياة الكريمة في الدنيا، وعليها الجزاء الحسن في الآخرة إن شاء الله تعالى.

القضية الثامنة عشرة: سرعة تطهير قوانين الأسرة:

سرعة تطهير قوانين الأسرة مما شابها من القوانين والاتفاقات الدولية، لابد من هذه الصرخة؛ فقد طفح الكيل، فقد وصلت حالات الانفصال بين الزوجين: إلى ثلاثين في المائة في السنوات الأولى.

فقد جرى العمل عندنا منذ عام ١٩٥٥م على اشتراط موافقة الزوج على منح الزوجة جواز سفر وتجديده، بعد تقديم موافقته على سفرها للخارج.

لكن في عام ٢٠٠٠ أصدرت المحكمة الدستورية العليا قراراً يقضي بأن للمرأة الحق في السفر للخارج دون إذن زوجها، وقد أشرنا قبل إلى أن المحكمة العليا عام ٢٠٠٦م ألغت ذلك الحق لكن أين تأثيره على مجريات الأسرة الآن.

إنه لا سلطة للزوج على زوجته حيث يفاجأ بها خارج البلاد بعد أن استخرجت جواز السفر وحصلت على التأشيرة بدون إذنه.

(١)الممتحنة: ٨

إذن فأين القوامة للزوج على الزوجة، والتي نص عليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾(١).

وبناء على ذلك، فإن الزوجة يجب عليها طاعة زوجها، ومن بين هذه الطاعة التي أوجبها عليها في عقد الزواج، ألا تخرج من بيته إلا بإذنه ولا تسمح لأحد بالدخول إلى البيت إلا بإذنه.

فكيف وصل بنا الخضوع للقوانين الأجنبية والاتفاقات الدولية، إلى أن تعطى المرأة الحق لا في الخروج من البيت فقط، بل ولها السفر إلى الخارج بدون إذن زوجها.

لذلك نطالب جهات الاختصاص بسرعة تطهير القوانين الأسرية من تلك القوانين والاتفاقات التي كانت سبباً في كثرة الانفصال بين الأزواج وزوجاتهم حتى وصل الحال الآن إلى أن ثلاثين في المائة من الزيجات الحديثة تنفصل في السنوات الأولى للزواج.

القضية التاسعة عشرة: وجوب تطهير القوانين من الفلسفة العلمانية:

فإن الفلسفة العلمانية الفرنسية التي أخذ بها قانون العقوبات المصري تنص على ما يلي:

١- لا يعد الزنا جريمة في حالة توافر الإرادة التامة لطرفي واقعة الزنا خارج نطاق بيت الزوجية، فإذا توافر عنصر الرضا فلا جريمة ولا عقاب بمقتضى القانون.

٢- أما جريمة الاغتصاب إذا ثبتت فإن الجاني يعاقب بالإعدام أو السجن

---

(١)النساء: ٣٤

المؤبد، ويعاقب الفاعل بالإعدام إذا كانت المجنى عليها لم تبلغ الثامنة عشرة من عمرها أو كان الفاعل من أصول المجني عليها أو ممن يتولى تربيتها.

٣- المرأة المتزوجة التي يثبت زناها يحكم عليها بالحبس مدة لا تزيد على سنتين ولكن لزوجها أن يوقف تنفيذ الحكم عليها برضائه معاشرتها كما كانت. ويعاقب الزاني بتلك المرأة بنفس العقوبة.

٤- كل زوج زنى في منزل الزوجية وثبت عليه هذا الأمر بدعوى الزوجة فإنه يجازى بالحبس مدة لا تزيد على ستة شهور.

هذه هي المواد ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٧ من قانون العقوبات المصري طبقاً لأحدث التعديلات.

وهذه المواد مخالفة صراحة للشريعة الإسلامية التي يحترمها ويجب أن يعمل بها المسلمون، والتي جاءت في كتاب الله تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾[1].

وغير ذلك من الآيات ويثبت ذلك بالاعتراف من الزاني أو الزانية أو يثبت ذلك بالبينة من أربعة شهود يشهدونهما متلبسين بجريمة الزنا.

لذلك نقول ونطالب: بتطهير البلاد من هذه الجريمة النكراء وذلك بتطبيق الشريعة الإسلامية على مقترف هذه الجريمة النكراء.

---

(١)النور: ٢، ٣.

القضية العشرون: تعدد الزوجات له أسبابه وله ضوابطه ، لماذا يلغى؟

في السنوات الأخيرة فرضت على البلاد مجموعة من القوانين المخالفة للشريعة الإسلامية وبكل أسف خضعت لتلك الضغوط التي مورست عليها.

ومن الأمثلة على ذلك:

١- حتى عام ١٩٧٩م كان يسمح القانون المصري للأحوال الشخصية بتعدد الزوجات دون قيد أو شرط.

٢- ففي عام ١٩٨٥م تم إدخال مادة في قانون الأحوال الشخصية تعطي الزوجة حق التطليق إذا تزوج زوجها بأخرى، وادعت أنها قد لحقها ضرر مادي أو معنوي يستحيل معه دوام العشرة بين أمثالهما.

كما أجاز للزوجة الجديدة حق التطليق إذا لم تكن تعلم بأن زوجها متزوج بأخرى ومع هذا وبكل أسف أرسلت لجنة سيدا الدولية تقريرا تعرب فيه عن قلقها إزاء استمرار نظام تعدد الزوجات بمصر، وتحث اللجنة الحكومة المصرية على أن تتخذ تدابير لمنع الممارسة المتعلقة بتعدد الزوجات وفقاً لأحكام الاتفاقية.

هكذا بكل وقاحة، على الحكومة أن تتخذ التدابير اللازمة لإلغاء تعدد الزوجات نهائيا.

والسؤال هنا: إذا كانت زوجته مريضة ولا تستطيع أن تمارس حياتها كزوجة، أيهما أفضل الزواج بأخرى مع الإبقاء على الأولى لعلاجها أو الإنفاق عليها إذا كان مرضها لا علاج له، أو طلاقها وإرسالها لأهلها، والزواج بأخرى أيهما أفضل؟.

إذا لم تنجب الزوجة وانقطع الأمل في إنجابها فهل الأفضل طلاقها واستبدالها بأخرى أم بقاؤها والزواج بأخرى وتظل مع زوجها ولها كل الحقوق الزوجية.

وغير ذلك من الأمثلة التي لا تجد جوابا عند المسلم الملتزم.

لذلك نرجو من القائمين على القانون إعادة العمل بالقوانين التي كانت محلا للتعامل حسب الشريعة الإسلامية ومعلوم أن الشريعة الإسلامية تشترط لتعدد الزوجات ثلاثة شروط:

أولها: قدرة الزوج على الإعفاف.

ثانيها: قدرة الزوج على الإنفاق.

ثالثها: ضرورة العدل بين الزوجتين أو الزوجات.

وإلا فلا يجوز التعدد.

القضية الواحدة والعشرون: بقاء الزوجية بين الزوجة التي أسلمت وزوجها الذي لا زال على دينه؟.

أصل هذه القضية في هذا العصر أثيرت في أوربا أمام المجلس الأوربي الإسلامي برئاسة الدكتور/ يوسف القرضاوي، فأفتى باستمرار الزوجية بينهما، لمصلحة الأولاد بينهما، وذلك منذ سبع سنوات.

مما أثار ضجة كبيرة بين علماء المسلمين آنذاك، فقام جماعة منهم بإنشاء مجمع الفقه الإسلامي بأمريكا الشمالية، وذلك لأمرين:

أحدهما: الرد على هذه الفتوى وأمثالها مما يخالف الشريعة الإسلامية مخالفة صريحة.

ثانيها: حل مشاكل الأقليات الإسلامية هناك في أمريكا وغيرها ممن يوجد فيها أقليات إسلامية، وهذا المجمع يجتمع سنوياً لدراسة هذه المشاكل وحلها.

وقد درس الزميل الفاضل هذه القضية وأبان أن الأقوال الهامة فيها ثلاثة:

الأول: قول جمهور الفقهاء من المذاهب الأربعة، وهو وجوب انفصال الزوجة التي أسلمت عن زوجها الذي لا زال على دينه إذا لم يسلم في عدتها مع دراسة حال الأولاد في بقائهم مع أحد الطرفين.

الثاني: قول الشيخ القرضاوي ومن معه في المجلس الأوربي ببقاء الزوجية الكاملة بينهما وكأن لم يحدث شيء.

الثالث: ما نقله الزميل الفاضل عن الإمامين: ابن تيمية وابن القيم، أن الزوجية تبقى بينهما، لكن لا جماع بينهما وهو الرأي الذي اختاره الزميل الفاضل ورجحه.

أقول:

هذان القولان: يخالفان صريح القرآن الكريم في سورة الممتحنة في قوله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾**[1].

فالنص القرآني صريح، في أن كلا منهما لا يحل للآخر بعد إسلام الزوجة دون زوجها.

حجة هذين القولين والرد عليهما:

١- القياس عل الزوج إذا أسلم وزوجته كتابية، ومعلوم: أن المسلم تحل له المرأة الكتابية بنص القرآن الكريم، قال تعالى: **﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾** المائدة: ٥.

٢- أن زينب بنت رسول الله ﷺ كانت متزوجة بالعاص بن الربيع وأسلمت

---

(١) الممتحنة ١٠.

قبله وهاجرت إلى المدينة، وظل هو على دين قومه فأسره المسلمون، فلما علمت به زينب وأنه مطلوب منه فدية لإطلاق سراحه بعثت بقلادة معها كانت أهدتها لها والدتها السيدة خديجة رضي الله عنها يوم زواجها، فلما رأها رسول الله ﷺ رق لها لأنها ذكرته بخديجة رضي الله عنها وكان يرق بشدة لأي شيء يذكره بها فترجى أصحابه أن يطلقوه ويعيدوا القلادة لزينب ففعلوا"، الحديث أخرجه أحمد وأبو داود، والحديث واضح ليس فيه أكثر من زوجة سابقة تذكرت حسن تعامل زوجها السابق معها فأحسنت إليه في وقت شدته.

القضية الثانية والعشرون: البيرة:

وبعد فإن الشهرة قد تكون بلاء على صاحبها، وكان سلفنا الصالح من أهل العلم يخافون منها ومن تبعاتها، لأنها قد تستخرج منهم مواقف لم يكونوا يتطرقون إليها:

مثلاً كان الإمام مالك قد اشتهر بالمدينة المنورة فكان الناس يأتون إليها من الأندلس ومن مصر، ومن العراق والشام وخراسان وغير ذلك يطلبون العلم على يديه ومعلوم أنه كان من المتثبتين فيما يقول من العلم.

يقول الإمام القعنبي من تلاميذه الكبار، دخلت على مالك قبل وفاته فوجدته يبكي، فقلت له: ما يبكيك، فقال: ومن أحق بالبكاء مني، أقول القول فيكتب في الأوراق، ويحمل إلى العراق وإلى مصر وإلى الشام وإلى خراسان حيث يعود به طلاب العلم إلى بلادهم ثم قد يظهر فيه شيء، وأريد أن أرجع عنه فماذا أفعل.

هذا القول: أقوله الآن بعد أن لاحقني الناس من طلاب العلم وغيرهم بما سمعوه وما تناقلته وسائل الإعلام عن قول زميل من الإخوة الأساتذة في

الشريعة والقانون، من قوله: بحل البيرة بدعوى أن هذا هو رأي الإمام أبي حنفية.

إني أعرف رأي الإمام أبي حنيفة، حيث كان يقول حرِّمت الخمر بعينها والقدر المسكر من غيرها ولكن خالفه أصحابه، وتمسكوا بعموم الأحاديث الواردة في ذلك، وهي واضحة الدلالة ومنها الحديث المشهور: "كل مسكر خمر، وكل خمر حرام".

وكان سبب السؤال: ما حكم الأشربة المتخذة من العسل ومن الذرة، ومن غيرهما من أنواع الحبوب، فقال لهم هذا القول العام: "كل مسكر خمر، وكل خمر حرام" ثم هذا الحديث الذي أغلق هذا الباب تماماً: "ما أسكر كثيره فقليله حرام".

الزميل اعتذر في اجتماع القسم في الكلية الأسبوع الماضي وأنه لم يقصد ما فهمه الناس عنه.

نقول: أولاً: الاعتذار كان في مكان مغلق أمام عشرين زميل لكن ماذا عن هؤلاء الذين سمعوا هذا القول في التلفاز من مشارق الأرض ومغاربها.

ثانياً: المنهج الذي يتبعه الزميل في بيان الأحكام الشرعية، وهو صحة الأخذ بكل رأي من الآراء في المسألة دون ترجيح، ونحن نعرف أن شريعتنا ليست حكراً على رجال دين دون غيرهم بل هي متسعة لكل العلماء فعندنا ملايين العلماء، فلا ينبغي أن يقال للناس: إلا الرأي الذي عليه دليل من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ أو إجماع أو قياس جلي.

أما أن يقال في كل مسألة فيها رأيان أو ثلاثة، ولا نقول للناس إن هذا الرأي هو الأقوى أو هو الأرجح، فلا يجوز.

نعم ترك العوام يختارون من آراء العلماء حسب أهوائهم هو منهج العلمانيين من القرون الوسطى في أوربا.

القضية الثالثة والعشرون: فوائد البنوك:

فضيلة العالم الكبير الذي اشتهر في الآونة الأخيرة، بذكر عدد من الآراء في كل مسألة مهما كان في هذه الآراء من قوة أو ضعف ومهما كان لها من أدلة أو قرائن قوية أو ضعيفة.

فقضية اليوم: هي قضية فوائد البنوك.

حيث يبدأ بتعريف البنك بأنه لفظ إيطالي، لأن البنوك أول ما نشأت في إيطاليا ومعناه في اللغة العربية كما عرفه مجمع اللغة العربية: مؤسسة تقوم بعمليات الائتمان بالقرض والاقتراض.

والقانون المصري تنص مادته ٧٢٦ على أنه "إذا كانت الوديعة مبلغاً من النقود أو أي شيء آخر مما يهلك بالاستعمال، وكان المودع عنده مأذوناً له في استعماله اعتبر العقد قرضاً".

والمعنى: أن المودع حين يسلم البنك مبلغاً من المال، فإنه يعتبر قرضا منه للبنك وحين يقوم البنك بتسليف هذا المبلغ للمقاولين وأصحاب المشروعات يعتبر مقرضا.

ومعلوم أن البنك حين يقرض أصحاب المشروعات يأخذ منهم فوائد تصل أحياناً إلى خمس عشرة أو عشرين في المائة، يعطي منها صاحب المال المودع من ٦% إلى ٨% والباقي يحصل عليه البنك خالصاً له.

ثم يقول: إن هناك اتجاهين لدى الفقهاء المعاصرين:

أحدهما يقول: إن فوائد البنك حلال، ثم يذكر شخصين عالمين فاضلين، الشيخ علي الخفيف، والشيخ محمد سيد طنطاوي رحمهما الله تعالى.

وأهم حجة عندهما: أن فوائد البنك ليست ربا، إنما هي عائد ربح من المضاربة بهذا المال، لأن الربا المحرم هو ما قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾[1]. وفوائد البنك ليست مضاعفة.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[2]. فالمقصود هو المعنى الوارد في الآية السابقة وهو الربا المضاعف، وذكر عنهما حججا كثيرة ضعيفة.

ثم يقول: الاتجاه الآخر، يرى أن فوائد البنك من الربا المحرم، لأنها من الفائدة على القرض وهي محرمة، ويذكر أن هذا قول جمهور الفقهاء، ومجمع البحوث عام ١٩٦٥م، والمجمع الإسلامي في جدة وغير ذلك من المجامع، ويستدل لهم بالحديث: "كل قرض جر منفعة فهو ربا" والحديث الآخر: "كل قرض جر منفعة فهو وجه من وجوه الربا"

ثم يقول: نجمع بين الرأيين بأن الفوائد على ودائع صندوق التوفير حلال، لأنها من باب التشجيع على الادخار.

ثانياً: على البنك أن يهجر لفظ القرض والإقراض ويستخدم لفظ المضاربة والمرابحة لتكون الفائدة حلال.

ونقول: إن القضية ليست هي قضية ألفاظ، فالألفاظ لا تحلل شيئاً ولا تحرمه، والذي يحل ويحرم هو العمل والتصرف.

كما أن القانون الذي ينظم عمل البنوك ينص أن عملها الإقراض، ويكفي لضعف القول بحل الفوائد أنه لم يجهر بها إلا شخصين اثنين من بين آلاف الفقهاء والعلماء على امتداد التاريخ، والقرآن صريح في التحريم ولفظ المضاعف خاص بمعاملة أهل الجاهلية فقط.

---

(١) آل عمران: ١٣٠.

(٢) البقرة: ٢٧٥.

القضية الرابعة والعشرون: فتنة القول بإباحة نكاح المتعة:

في الأيام الأخيرة تناول أحد المشايخ قضية قديمة وردت بشأنها النصوص الصحيحة الصريحة وهي قضية نكاح المتعة، حيث أبيحت المتعة في عهد رسول الله ﷺ لفترة قصيرة ثم حرمت إلى الأبد، وإذا بالزميل، وسط وسائل الإعلام وعلى القنوات الفضائية يتحدث عن نكاح المتعة، فيقول عنه: إنه من الممكن أن يصطلح المجتمع على إباحة نكاح المتعة ويجري التعامل به في المجتمع.

نكاح المتعة: عبارة عن اتفاق بين رجل وامرأة ليقضيا ساعات أو أياماً يتمتع بها الرجل نظير مبلغ محدد من المال، وتنتهي المتعة بانتهاء المدة المتفق عليها بينهما.

فهل التحليل والتحريم في أحكام الدين يكون بالتصالح بين الناس، في الإسلام التشريعات تتنزل من السماء وذلك من القرآن والسنة.

وقد جاءت في ذلك أحاديث كثيرة منها حديث الربيع بن سبرة الجهني أن أباه حدثه أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: "يا أيها الناس إني كنت قد أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإنه قد حُرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليُخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً" رواه الإمام مسلم.

وكأن ابن عباس لم يسمع بهذا الحديث فقال: إنه يباح في حال الضرورة فقط، فرد عليه الإمام علي رضي الله عنه قال: "إن النبي ﷺ نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر" أخرجه البخاري ومسلم.

فهل بعد ألف وأربعمائة سنة نعود لنحلل شيئاً حرمه رسول الله ﷺ.

أرجو أن يُعلِمَ الحاضرُ الغائبَ بخطورة هذا القول، وأن الدعوة إليه ستثير فتنة عظيمة في المجتمع، فليتق الله صاحب هذه المقولة، وأنه سيسأل عن ذلك يوم الموقف العظيم.

القضية الخامسة والعشرون: وجوب التحلي بالحكمة من أهل العلم وإلا أساءوا إلى أنفسهم وأساءوا إلى بقية العلماء وأساءوا إلى العلم الذي يحملون رايته:

منذ عدة أشهر أساءت إحدى الشهيرات في عالم الفن في السينما والمسرح إلى الحكومة المصرية ممثلة في رئيس الدولة الدكتور/ محمد مرسى آنذاك، بكلام لا يليق وكان ذلك في إحدى القنوات التليفزيونية، فما كان من أحد أهل العلم ويدعى الدكتور/ عبد الله بدر أن يرد عليها على الملأ بأنها لا ينبغي أن تتكلم في شيء لا تفهمه، خصوصاً وأنها يؤخذ عليها التساهل في الجانب الأخلاقي، حتى وصل إلى أن يقول لها: كم شخص اعتلاك، وقامت في ذلك ضجة إعلامية تبارى فيها بعض أهل العلم وردوا على الدكتور/ عبد الله بدر، ردوداً قاسية تنال من شخصه وعلمه.

لكن كل هذا لم يرض الفنانة ومَنْ حولها، فرفعت قضية على الدكتور/ عبد الله بدر، وحكمت عليه المحكمة من عدة أيام بغرامة عشرين ألف جنيه والحبس لمدة سنة.

وثار عدد من أهل العلم لهذا الحكم المتشدد وقالوا إنه غير لائق والموضوع لا يستحق هذا الحكم القاسي، ويجب الطعن في هذا الحكم.

أقول: من جانب العلم: أن الشيخ عبد الله أخطأ خطأ فادحاً، لأن عبارته التي قالها على الملأ: تعتبر نوعاً من القذف نعم كان بطريق التعريض ولم يكن بطريق التصريح، نعم بعض الفقهاء يشترط في القذف أن يكون صريحاً بالزنا أو الحمل من الزنا، لكن البعض الآخر ومنهم الإمام مالك: يرى أن التعريض بالقذف يعاقب عليه بنفس عقوبة التصريح به، وعلى ذلك يعاقب القاذف به بأن يضرب بثمانين جلدة على ملاء من بعض الناس الذين يشهدون ذلك وبما أن الشريعة الإسلامية غير مطبقة، فطبق القضاء على الدكتور عبد

الله العقوبة المدنية، وهي العقوبة السابقة بالسجن والغرامة.

أقول: ما كان أغنى أهل العلم عن هذه الواقعة وعن تداعياتها؛ لو تحلى أهل العلم بالحكمة، وخصوصاً في مجال الإعلام على مسمع ومرأى من العالم كله.

كان يجب أن نتريث وأن نحتكم إلى العقل، وقد قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، فما صدر من الشيخ عبد الله لم يكن من الحكمة، ولم يكن من الموعظة الحسنة، ولم يكن من المجادلة التي هي أحسن، لذلك أساء إلى نفسه، وأساء إلى غيره من أهل العلم، وأساء إلى العلم الذي ينتمي إليه.

لذلك أرجو أن يكون ذلك درسا يعيه أهل العلم فلا ينساقوا وراء مثل هذه المهاترات التي تقلل من قيمتهم، في نظر المجتمع المسلم مِنْ حولهم.

ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

القضية السادسة والعشرون: هل جماعة المسلمين لهم الحق في حسم العلاقة بين الزوجين:

س١: هل يجوز لجماعة المسلمين أن يقوموا مقام الحاكم؟

ج١: نعم يجوز لجماعة المسلمين أن يقوموا مقام الحاكم في تزويج اليتيمات وفي كفالتهن، وكفالة الأرامل اللاتي يحتجن إلى كفالة، وغير ذلك من الحالات التي تحتاج إلى ولي كامل الأهلية ولم يوجد، كما لم يوجد حاكم مسلم عدل يتولى القيام بذلك.

س٢: هل يصلح الشقاق أن يكون سبباً للفسخ؟

ج٢: نعم قد يكون الشقاق سبباً للفسخ إذا اشتد ذلك الشقاق بين الزوجين

---

(١) النحل: ١٢٥.

واستحالت العشرة بينها وذلك لأن الزواج قائم على السكن - يعني الهدوء والطمأنينة - والمودة والرحمة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

فإذا كان الشقاق قد أذهب ذلك كله وفشلت محاولات الإصلاح بين الطرفين وحل النزاع والخصام الدائم بينهما فلم يعد لبقاء الزواج فائدة، قال تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً﴾ (٢).

لكن الفسخ إنما يكون بطلاق عند المالكية، فإن أبى الزوج من الطلاق طلق عليه الحاكم، وإن لم يكن حاكم مسلم عادل، فجماعة المسلمين يطلقون عليه.

س٣: ما هو حد الشقاق؟ هل يجوز أن يكون عدم المؤانسة بين الزوجين سبباً للفسخ؟ وما هو تعريف عدم المؤانسة؟

من أمثلة الشقاق الذي يكون سبباً في الفسخ:

امتناع الزوج عن الإنفاق على الزوجة، إضراراً بها، أو بضرب أو شتم لم تجر العادة بمثله لمثلها، وعدم طاعتها لزوجها لقضاء وطره منها، أو عدم قيامها بقضاء احتياجاته في المنزل، إذا كان مثلها يقوم بذلك، وخروجها بغير إذنه ودون علمه.

وعدم المؤانسة: أن يطلبها لقضاء وطره وتمتنع من ذلك.

وكذلك عدم قيامه بإعفافها مطلقاً، وهذا يحق لها طلب الفسخ، أو يمتنع من ذلك إضراراً بها، وذلك لأن هذه المؤانسة هي الهدف الأساسي من

---

(١) الروم: ٢١.

(٢) النساء: ١٣٠.

الزواج، قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[1].

س٤: هل يجوز للجماعة التي تقوم مقام القاضي، أن تفسخ النكاح من غير بعث الحكمين؟

ج٤: نعم في حالات خاصة، وذلك بظهور أحد العيوب المنفرة في أحد الزوجين، وهي الجنون، والجذام، والبرص.

وفي عيوب خاصة بالزوج مثل العنة، وهي صغر الذكر جداً – والجب – وهو قطع الذكر والاعتراض – وهو عدم انتصاب الذكر.

وفي عيوب خاصة بالأنثى، وهي العفل: الرائحة المنتنة من الفرج، والإفضاء: اختلاط مجرى البول مع موضع النكاح، والرتق: التصاق الشفرين، والعزيطة: نزول السوائل بكمية كبيرة أثناء الجماع.

أما غير ذلك من أنواع النشوز أو الشقاق فيحتاج إلى بعث الحكمين الصالحين الفقيهين العادلين ويكون حكمهما بواحد من الأمور الآتية:

١- أن يحاولا الإصلاح ما استطاعا إلى ذلك سبيلاً.
٢- إذا وجدا الإضرار من قبل الزوج فيقرران الطلاق عليه دون دفع أية أموال من الزوجة أو تنازلها عن أية حقوق لها عليه.
٣- إذا وجد الإضرار من قبل الزوجة، فيقرران لها حق الخلع لكن بعد تقرير تعويض للزوج قد يزيد على ما دفعه من المهر ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾[2].



(١) البقرة: ١٨٧.
(٢) البقرة: ٢٢٩.

القضية السابعة والعشرون: توبة من كان يتاجر في المحرمات مثل التعامل بالربا والمخدرات، وغش السلع ونحو ذلك، ماذا يجب عليه إذا أراد أن يتوب إلى الله تعالى بعد أن جمع أموالاً كثيرة:

ألقى هذا السؤال على الفقير وعلى شيخ كبير كان يجلس معي، وحولنا عدد كبير من طلاب العلم، وكان ذلك منذ سنوات فكان جوابي على هذا التائب حتى تقبل التوبة، أن يعيد كل الأموال إلى أصحابها، إذا كانوا معروفين، وإن لم يكونوا معروفين يتصدق بها عنهم، ولا يبقى منها إلا القليل بقدر ما يقوته ويقوت أهله مع ترك السكن إذا كان قد بنى من هذه الأموال ويستأجر سكنا بسيطاً ويستمر على ذلك حتى يجد العمل الحلال، واستشهدت لذلك بقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾**(١).

بينما قال فضيلة الشيخ الآخر: لو طلبنا منه ذلك فلن يتوب أحد، بل عليه أن يتوب ويتمسك بما معه من هذه الأموال ويعيش عليها هو وأهله، واستدل بقوله تعالى: **﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾** (٢).

فقلت: كيف يعيش هو وأهله على المال الحرام وهو سحت، وقد قال ﷺ: "كل جسم نبت من سحت فالنار أولى به" ومعلوم أن هذه الآية وردت في حق الكفار لا المسلمين.

المهم انتهت الجلسة، وإذا بأحد أبنائنا الذي حضر هذه المناقشة يأتيني بعد أيام ويقول: إني رأيت في المنام أنك أخذتنا مجموع الطلاب ومعنا الشيخ فلان إلى مطعم بدعوة منك، فقلت الحمد لله.

---

(١) البقرة: ١٧٨، ١٧٩.

(٢) البقرة: ٢٧٥.

القضية الثامنة والعشرون: الديون والقروض ومشكلة التضخم:

الدين بين المسلم والمسلم لقضاء مصلحة عاجلة، أو لشراء قطعة أرض أو ليتزوج، وكذلك مؤخر الصداق، ومضى على الدين أو القرض أو مؤخر الصداق، عدة سنوات، نزلت فيه قيمة الجنيه المصري، بعد أن كان يشتري ربع كيلو لحمة أو يشتري دجاجة أو يشتري فلنة أو كلسون، الآن قلَّت قيمته جداً حيث تصل قيمته إلى عشر قيمته أو أقل من عشر قيمته. فما هو الحل.

ذهب بعض شيوخنا إلى أنه يجب أن يكون السداد بالقيمة التي كانت له زمان؛ أيام حصول الدين أو القرض أو عقد القران، فمن كانت له عشرة جنيهات ارتفعت قيمتها إلى مائة جنيه، فيجب عليه أن يسدد الآن بالقيمة التي كانت له قديماً؛ أنه عليه أن يدفع بدل العشرة جنيهات، مائة جنيه للدائن وكذلك يدفع لزوجته بنفس النسبة عن مؤخر صداقها وهكذا.

ولكن بالبحث وُجِدَ أن هذا الحكم خطأ وأن الديون تسدد بعددها وليس بقيمتها، وهذا ما عليه الفقه في المذاهب الأربعة، وكذلك المجامع الفقهية كلها أقرَّت أن الدفع يكون بالعدد وليس بالقيمة.

القضية التاسعة والعشرون: الرد على الإساءة عن طريق المظاهرات

قضية اليوم هي قضية العالم الإسلامي ونحن جزء منه، بل نحن في القلب منه بحمد الله تعالى، هي أيضا قضية دينية لها تعلق بالسياسة: ألا وهي ما قامت به مجلة فرنسية من رسم رسوم مسيئة للمصطفى عليه الصلاة والسلام، فكأن هذا الرجل المخبول هالته الشهرة التي نالها المخبول الأمريكي الذي عمل الفيلم الردئ المسئ للرسول عليه الصلاة والسلام.

ثم ردة الفعل من الشباب المسلم ضد السفارات الأجنبية وما تمثله من رعاية لمصالح الدول في الدول العربية حتى أن فرنسا أغلقت أول أمس

الجمعة عشرين من سفاراتها في الدول الإسلامية تجنبا لردة الشباب المسلم على الرسوم التي ظهرت في فرنسا ضد الرسول ﷺ، وهكذا شغل المسلمون بهذه القضايا الفرعية عن قضايا بلادهم وأوطانهم التي يجب الانشغال بها.

وقديما قال الشاعر:

لو كل كلب عوى ألقمته حجراً   لصار ثمن الحجر بدينار

أي أن الكلاب العاوية كثيرة جداً، ولو شغلت نفسك بالرد عليها لكلفت نفسك مالا كثيرا وجهداً كبيراً ووقتاً طويلاً، وأنت في حاجة ماسة إلى المال وإلى الوقت وإلى الجهد.

وكما قلنا سابقاً، إن أهل الأرض من المجرمين أمثال هؤلاء مهما فعلوا ما فعلوا من ألوان الإساءة فلن يتضرر رسول الله ﷺ بشيء لأن الله تعالى تكفل بحفظه، فقد وصفه أعداؤه بأنه ساحر وأنه مجنون وأنه كذاب وغير ذلك من الأوصاف التي تفرزها القلوب الحاقدة، ومع ذلك كله قد وصفه ربه عز وجل، بأنه على خلق عظيم، وأنه رحمة للعالمين.

لذلك قلت: ينبغي لنا أن نتصرف تصرفاً حضاريا بحيث لا نشوه صورة الإسلام، وذلك عن طريق السياسة، وعن طريق الدبلوماسية في المحافل الدولية، وعن طريق تعليق التمثيل الدبلوماسي وعن طريق المصالح، لأن الدول الإسلامية هي عبارة عن أسواق مفتوحة لتلك الدول، وتلك الدول أهم ما يشغلها الخوف أن تتأثر مصالحها الاقتصادية والسياسية في الدول النامية.

وما نطلبه هو ما أعلنه الإمام الأكبر: هو قرار دولي من الأمم المتحدة يدين أي تعرض يسيء إلى الأديان، فالإساءة إلى الأديان لن تكون تعبيراً عن الحرية لأنها تؤذي كل المنتمين لهذه الأديان.

لذلك على الدول الإسلامية أن تتحد كلمتها للوصول إلى القرار، وتجريم كل من يتعرض للأديان بالإساءة، هذا وبالله التوفيق.

القضية الثلاثون: الاقتراض بفائدة من المجتمع الدولي:

الاقتراض بفائدة الأصل فيه المنع، للنصوص الكريمة الصريحة في التحريم والتأثيم.

قال تعالى: **﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾**(١).

وقال عز وجل: **﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾** (٢).

وقال سبحانه وتعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ﴾**(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: "كل جسم نبت من سحت فالنار أولى به".

ضحك علينا بعض الأجانب إذ بدلوا كلمة ربا بكلمة فائدة، لأن كلمة ربا لا يتحملها قلب العبد المؤمن بخلاف كلمة فائدة فإنها خفيفة على الإنسان.

خصوصاً بعد أن انتشر الربا في القروض من البنوك سواء في شراء السيارات أو المساكن أو مستلزمات الزراعة وغير ذلك من متطلبات الحياة.

لقد وضع الشارع معياراً فاصلاً لهذه القضية حيث أعطى القرض الحسن أجراً عظيماً وهو ثمانية عشر حسنة بينما أعطى الصدقة عشر حسنات فقط.

ولم يبح القرض الربوي إلا في حالة الضرورة، في المطعم والملبس والمسكن للفرد المسلم. وبالنسبة للمجتمع:

---

(١) البقرة: ٢٧٥.

(٢) البقرة: ٢٧٦.

(٣) البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩.

تجدول المشروعات المزمع إقامتها:

فإن وُجِدَ منها مشروع إقامته ضرورية للمجتمع ولم نجد وسيلة لإقامته بالقرض الحسن، فهذا لا بأس من الاقتراض بالفائدة المعقولة، وإلا بأن كان غير ضروري في هذه المرحلة فيؤجل، وحينئذ يكون حراماً في حالة الإقدام عليه، والتي يتخذ القرار في ذلك؛ لجنة كبيرة من الاقتصاديين الملتزمين والفقهاء المتثبتين.

القضية الواحدة والثلاثون: الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها:

لقد حذر رسول الله ﷺ من الفتن في كثير من أحاديثه الشريفة؛ ومن ذلك: "ستكون فتن كقطع الليل المظلم، القاعد فيها خير من الواقف، والواقف فيها خير من الماشي"، وقوله عليه الصلاة والسلام: "يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن".

وأي فتنة أعظم من سفك دماء مسلم بلا ذنب ولا جريرة، كما يحدث بيننا الآن، وأي ذنب أعظم من تخريب الممتلكات، وتحطيم السيارات، وإحراق المباني والعقارات، وأي ذنب أعظم من وقف العمل بالهيئات العامة والمكاتب والمنشآت في بلد نامية فقيرة محتاجة لكل ساعة عمل.

نعم قد توجد ملاحظات على بعض القرارات أو بعض الأخطاء من هنا أو من هناك، هل ذلك يعالج بإثارة الشغب وقيادة الغوغاء ضد رموز الحكم، وتعطيل حركة المرور، مما يترتب على ذلك تعطيل الأعمال في المكاتب والمؤسسات، ومن الذي يتحمل نتائج ذلك.

توجد وسائل إعلام وما أكثرها في هذه الأيام، مئات القنوات الفضائية ومئات الصحف، ثم الطرق العادية المشروعة، عن طريق مجلس الشورى وعن طريق المحاكم بأنواعها المختلفة، حيث تعرض وجهات النظر، ثم في

النهاية يلجأ للتحكيم.

لماذا لا نقرأ دروس التاريخ البعيدة والقريبة حتى نستفيد منها وننقذ المجتمع من هذا التدمير للمال والحجر.

فمن هذه الدروس، بعد حكم الخلفاء الراشدين قامت الدولة الأموية على غير رغبة من أغلبية المسلمين، وتكون النتيجة أن يقضى عليها من خلال أعدائها من العباسيين وأنصارهم بقتل كل من كان حيا من الأمويين ولم يفلت منهم إلا رجل واحد فر إلى الأندلس وكوّن هناك دولة وهو عبد الرحمن الداخل، ثم تكون النتيجة لهؤلاء العباسيين، أن يقوم عبيدهم بالتسلط عليهم وانتزاع الحكم منهم ولم يترك لهم إلا الدعاء لهم على المنابر يوم الجمعة، وكتابة أسمائهم على العملة، بالرغم أنهم كانوا يتسمون بالمنتصر بالله، والمقتدر بالله، وبالناصر لدين الله، لذلك قال الشاعر:

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي صولة الأسد

ثم يقضى على العباسيين من قبل التتار فيدمروا كل شيء في بغداد.

وفي التاريخ الحديث: تقوم الثورة في مصر ضد الملك فيخرج مطروداً ويموت مسموماً في إيطاليا، ثم يحكم عبد الناصر، وفي النهاية يموت مسموماً في القاهرة، ثم يأتي السادات حاكما فيموت مقتولا بالرصاص، والآن يرقد مبارك مريضاً بسجن طرة، أليس في ذلك عبرة لهؤلاء الذين يهرولون لكرسي الحكم، وفي سبيل ذلك لا يبالون بمعاناة أصحاب المحلات التي وقف حالها في ميدان التحرير والشوارع الهامة.

أقول لهؤلاء جميعاً رحمة بهذا البلد الفقير الضعيف المنهك؛ من هذا المجتمع أربعون في المائة منه تحت خط الفقر، هل تريدون المزيد؟ ألم ترو ملايين الشباب العاطلين الذين لا يجدون عملا ويلقون بأنفسهم في البحر الأبيض محاولين الخروج من براثن الفقر والضياع، فتجرفهم الأمواج جثثا

تلقى بهم على سواحل الجزر في البحر الأبيض، أفيقوا يرحمكم الله من أحلام اليقظة هذه، وأنقذوا البلد الذي في طريقه إلى الضياع بسبب مغامراتكم.

اللهم ارحم هذا البلد مصر من قسوة قلوب أبنائها. اللهم آمين.

القضية الثانية والثلاثون: حدود الحرية الشخصية حتى لا تنقلب إلى فوضى:

في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب، ذهب أحد المصريين إلى المدينة المنورة ليقدم شكوى في والي مصر آنذاك، وهو عمرو بن العاص، موجز الشكوى: أنه جرت مسابقة بين أحد أبناء عمرو بن العاص وأحد أبناء المصريين في مصر، في مدينة الفسطاط وهي تعرف الآن بمصر القديمة، فتغلب ابن المصري على ابن عمرو بن العاص، فما كان من ابن عمرو إلا أن ضرب ابن المصري بالعصا على رأسه وقال له: اتسبقني وأنا ابن الأكرمين – أي من الفئة المكرمة الحاكمة، فما كان من والد الشاب المصري إلا أن يسافر إلى المدينة المنورة، ليقابل خليفة المسلمين ليشكو هذا الظلم الذي وقع على ابنه.

فما كان من عمر رضي الله عنه إلا أن أرسل يطلب حضور عمرو بن العاص وابنه معه إلى المدينة المنورة، فوقف المتخاصمان أمام عمر رضي الله عنه ثم وجه عمر رضي الله عنه الكلام إلى عمرو بن العاص، فيقول له: يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً، ثم نادى على الشاب ابن المصري وأعطاه العصا وقال له: اضرب ابن لأكرمين بمثل ضربه لك، ثم قال له: كذلك أدر العصا على صلعة عمرو بن العاص، فأبى المصري وقال: إن الذي ضربني: الابن وليس الأب.

حين وقف عرابي بحصانه في ميدان عابدين أمام الخديوي توفيق، وقال الخديوي موجها كلامه إلى عرابي، كيف تقف هذا الموقف، وهل أنتم إلا عبيد

إحساننا؟ فتذكر عرابي كلمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه القديمة، ورد على الخديوي بقوله: لقد خلقنا الله أحراراً ولم يخلقنا تراثاً وعقاراً.

قامت الثورة في ٢٥ يناير عام ٢٠١١م، وفتحت أفاقاً للحرية، سواء حرية الكلمة، أو حرية العمل، أو حرية التصرف، فانطلق الناس يستعملون هذا الحق أي حق الحرية التي أتاحتها لهم الثورة، لكن للأسف، استعملوا الحرية بكل جوانبها المطلقة دون حدود ودون قيود، يبنون ما يشاءون، يمنعون المرور في كثير من الشوارع العامة، يبيعون بالأسعار التي تعجبهم، يوقفون القطارات على خطوط السكك الحديدية، ليجبروا الحكومة لتستجيب لطلباتهم أيا كانت، وصارت الفوضى في كل مرافق الدولة، حتى صارت كلمة حرية تعني: الفوضى، وكلمة الفوضى تعني حرية.

لقد بين عمر رضي الله عنه أن الله تعالى خلق الإنسان حراً، حتى في الدين لا يرغم شخص على تغيير دينه الذي اختاره بكامل حريته قال تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[1]، لكن الحرية لها حدود لا يجوز أن تتعداها وإلا أصبحت مرادفة للفوضى كما هو الحاصل الآن.

حدود الحرية ألا يترتب عليها المساس بحقوق الآخر، بمعنى أنك حر في قول ما تشاء وتفعل ما تشاء لكن بشرط ألا يترتب على قولك أو فعلك أذية للآخرين في أنفسهم وفي أموالهم، وفي مصالحهم في كل ما يهمهم، لكن بكل أسف ضاعت منا هذه الحدود، وصارت الحرية عندنا تعني الفوضى حتى في إبداء الرأي في القضايا المصيرية فهل هذا يليق بمصر؟

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

القضية الثالثة والثلاثون: ضياع الفكر الجمعي من المجتمع في مصر منذ سنتين تقريباً ولازال الحال كذلك إلى الآن:

إن الثورة التي قامت في ٢٥ يناير عام ٢٠١١م فتحت آفاقاً طيبة للحرية، فقد رفعت حاجز الخوف من عامة الناس، كما صحبها دعوات للإصلاح الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وكلها أمور طيبة.

لكن غياب الحرية عن الناس أمداً طويلاً جعلهم لا يعرفون حدودها التي يجب أن تقف عندها، فانطلقت الرغبات في كل الاتجاهات، دون نظر إلى حلال أو حرام، ودون نظر إلى ظروف اقتصادية مرهقة، ودون نظر إلى قوانين أو لوائح، والكل يعمل ما يريد، وإذا لم يستجب له فوراً، فيجب أن يعمل ضغطاً على النظام العام، حتى يسرع بتلبية رغباته.

فوجدنا من يوقف قطارات السكة الحديد عدة أيام في عدة محافظات ولم يقم أحد من تلك المحافظات ليقول: هذا حرام وأنتم آثمون، إذا كانت لهم مطالب في الجهات الحكومية فما ذنب المواطنين المرضى المحولين من مستشفياتهم إلى القاهرة لإجراء عمليات لإنقاذ حياتهم، وما ذنب أصحاب القضايا الذين يسافرون لحضور جلسات تلك القضايا، ثم إحراق المركز العلمي للمخطوطات وإحداث خسارة ثقافية لا حدود لها في المجتمع، ثم إحراق المباني الحكومية بما فيها من محاضر أو مستندات أو ملفات، وما يترتب على ذلك من ضياع لحقوق الكثير من المواطنين، ولم يقل أحد هذا حرام، وفي الحديث الشريف: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" لكن لم يتحرك أحد لوقف هذه المنكرات من الشعب.

يتجدد الأسى والحزن والألم بسبب إضراب الأطباء نعم للأطباء حقوق فما ذنب المرضى الذين هم أمانة في أيدي هؤلاء الأطباء، وما ترتب على ذلك من تدهور صحة بعضهم وفقد حياة البعض الآخر، لكن لم يقم فريق منهم

يقول: هذا حرام.

يتجدد الأسى والحزن والألم بقيام القضاة بأصنافهم المختلفة وبمستوياتهم العليا والدنيا، بتعليق العمل في المحاكم، قد يكون لهم موقف من بعض القرارات السيادية، لكن ما ذنب المتقاضين الذين تتعلق أرواحهم بل مستقبل أهلهم وأولادهم في العديد من هذه القضايا، ما ذنب أصحاب الحقوق حتى يوقف حصولهم على حقوقهم أسابيع وقد يكون شهور، كيف يغيب عن هؤلاء " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" وقوله عليه الصلاة والسلام "كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه" فأين ذهبت عقول هؤلاء.

هل يتحمل هؤلاء وقف مرتباتهم بسبب عدم شغلهم وأدائهم لواجباتهم في مجالاتهم المختلفة، وإذا صرفت لهم مرتباتهم كيف يستحلون هذه المرتبات وهم لم يعملوا مقابلها شيئاً، اللهم هل بلغت اللهم فاشهد.

القضية الرابعة والثلاثون: دعاوى الإجماع الباطلة:

يقول الشيخ: أجمع المسلمون اليوم على صحة تفويض المسلمين في إخراج زكاة أموالهم لمستحقيها بعد أن كان إجماع الصحابة على تولية الحاكم ذلك بنفسه.

كما أجمع المسلمون اليوم في الجملة على احتساب الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلاقا واحدا، بعد أن كان الإجماع منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على احتسابه ثلاثاً.

وفي نفس الصحيفة ينعى بشدة على من يدافع عن إجماع الصحابة أو إجماع المذاهب الأربعة فيقول: إلا أن احتياطهم الزائد أو جمودهم الفقهي منعهم من الانتفاع بالأقوال الفقهية المخالفة لما زعموه إجماعاً، ولم يكتفوا

بذلك، بل نصبوا أنفسهم جلادين لمن تسول له نفسه أن يجتهد في تلك المسائل.

أقول: في كلام الشيخ خطأ واضح في القضيتين:

أولاً: لم يجمع الصحابة على تولية الحاكم الزكاة بل إنهم أخذوا ذلك من سنة رسول الله ﷺ، فقد كان يبعث السعاة لجمع الزكاة من الأعراب، من الماشية والحرث، والنقود من أهل المدن، حتى أنها كانت توضع في المسجد مثل الصبرة من الغلال، ثم يقوم بتوزيعها على المستحقين.

وظل الحال كذلك في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما جاء عثمان، وكل زكاة النقود لأربابها ليقوموا بتوزيعها بأنفسهم لكن ظل أمر الماشية والحرث كما كان عليه الحال في عهد رسول الله ﷺ وفي ظل الخلافة الأموية والعباسية، وما بعدهما، حتى تغير نظام الحكم في العالم الإسلامي.

ثانياً: أخطأ في اعتبار ما يفتي به بعض المشايخ الآن باحتساب الطلاق الثلاث واحدة إجماعاً، وكان الواجب أن يسميه: تسيباً منهم، أو يسميه تساهلاً في الفتوى على حساب دينهم.

وكنت أتمنى أن يقرأ هذا الشيخ في المغني لابن قدامة في باب الطلاق غضب الإمام أحمد بن حنبل على من نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الطلاق الثلاث كان واحدة في عهد رسول الله ﷺ وقوله رحمه الله: أنا أرد على ابن عباس، أنه كان يفتي بأن الثلاث في كلمة واحدة يعد ثلاثاً، في كثير من أقواله، وقد قال ابن عباس لرجل قال: إن عمه طلق زوجته مائة مرة، فقال له ابن عباس: إنها طلقت عليه بثلاث والسبعة والتسعين اتخذ بها آيات الله هزوا.

اللهم إني بلغت اللهم فاشهد.

القضية الخامسة والثلاثون: الجهر بكلمة الحق أمام السلطان:

وَاخشَع مَلِيًّا وَاقضِ حَقَّ أَئِمَّةٍ   طَلَعوا بِهِ ظُهرًا وَماجوا أَبحُرا

كان العلماء في مصر كالأوسمة يحاول كل حاكم أن يتحلى بها، ويحاول السلطان أن يتقرب إليهم كوسيلة لرضى الشعب عنه، وذلك لثقة الناس أن العالم لا يتقرب من الحاكم إلا إذا كان عادلا في حكمه ونزيها عن مال الشعب.

كان هناك ضيف عزيز على أحد السلاطين، فطلب من الشيخ أن يتناول الطعام بحضور الضيف العزيز، وكان الشيخ يعلم أن الحاكم غير نزيه ولا يتورع عن المال الحرام، فماذا يفعل، فأخذ معه رغيفاً من الخبز وقطعة جبن، ولما وضعت المائدة وضع الرغيف وقطعة الجبن أمامه على المائدة، بحضور الضيف فتغيظ السلطان وكان يعرف نقطة ضعف لدى الشيخ، وهي أن معه ولداً منحرفاً يرتاد الحانات يشرب الخمور، وهذا ابتلاء وجاهد مع ابنه كثيراً ولم يستطع أن يخلصه منه.

فقال السلطان للشيخ إذا كنت حضرتك على هذه الدرجة من الورع لماذا لم تمنع ابنك فلان من كذا وكذا.

فقال الشيخ: لعل ابني هذا كان نتيجة أكلة من طعام حرام، مثل هذا الطعام، وأخذ قبضة بيده من الأرز وعصرها بيده فسال منها الدم، والمعنى أن هذا الطعام مكتسب من دماء العاملين من الفقراء والمحتاجين.

وفي هذا دلالة على أن المطعم له أثره السيئ حتى على الخلقة، حيث تتخلق النطفة من الحرام.

إلى جانب الذنب الذي يقترفه المسلم من المعاملة الحرام.

القضية السادسة والثلاثون: هل الإجماع حق لكل جيل؟ وهل لهم الحق في نقضه؟

يقول الشيخ صاحب كتاب "الإسلام وإنسانية الدولة" ص ٨٨: الإجماع عند الفقهاء والأصوليين كما عرفه الغزالي في المستصفى والشوكاني في إرشاد الفحول "اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من الأعصار على حكم شرعي" ثم يقول معلقاً عليه:

وهذا التعريف ينص صراحة على أن الإجماع عمل بشري، لأنه اتفاق على تعيين وجه فقهي للعمل به دون غيره، كما أنه حق لكل جيل في عصر من الأعصار، ثم يقول:

ولكن ما يجب التنبيه إليه، هو أن التعريف بهذا القيد وهو اتفاق مجتهدي الأمة يجعله ضربا من الخيال، ولو كان هذا الاتفاق لزمن معين أو عصر محدد لطبيعة النفس البشرية المجبولة على التمايز.

وأقول: فالتعريف المنقول من كتب التراث للإجماع هو صحيح.

لكن التعليق عليه، أفسد هذا المعنى، وألغى فائدته وشكك في كل الإجماعات التي سبقت للفقهاء، ووضعت لها مؤلفات كاملة، مثل الإجماع لابن المنذر، والإجماع لابن حزم وإجماعات ابن قدامة، وإجماعات القاضي عياض، وغير ذلك.

أقول: إنه عمل بشري ولكن ليس من نسج خيال الفقهاء، بل من خلال نظر الفقهاء في الأدلة من الكتاب والسنة، فالذي أعطى له قيمة علمية أوجب على الجميع أن يحترموه ويعملوا به، هو الأدلة التي قام عليها، مثل الإجماع على أن الذهب بالذهب إذا زاد أحد العوضين شيئاً على الآخر كان ذلك ربا محرم، وهذا الإجماع قام على نص من الكتاب والسنة، وعلى انه يحق للمرأة التي تكره زوجها أن تخالعه، استناداً لحديث ثابت بن قيس بن شماس، وعلى

أن الزوج إذا قال لزوجته إنها طالق ثلاثاً خلصت منه ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره.

إنه يقول: إنه يحق لأصحابه أن ينقضوه لسبب أو لآخر" هذا كلام لا يقوله طالب علم مبتدئ، فكيف يصدر من شيخ كبير يعيش مع الفقه أربعين عاماً.

بل المعلوم: أنه لا يجوز لمن اشترك فيه أو لمن جاء بعده أن ينقضه أو يخالفه إلا إذا انهدم الأساس الذي قام عليه، ولذا وجد النكير الشديد على من انتهك حرمة الربا، والنكير على ابن تيمية لما خالف الإجماع في الطلاق الثلاث في كلمة واحدة وقال: إنه يعتبر طلقة واحدة ولم يتبعه من الفقهاء إلا قلة لا تصل إلى عدد أصابع اليد الواحدة، من ملايين الفقهاء.

إنه بكل أسف يضرب بهذا المصدر العظيم من مصادر الأحكام الفقهية عرض الحائط بمقولته الخطيرة: "إن التعريف بهذا القيد، وهو اتفاق مجتهدي الأمة يجعله ضرباً من الخيال. وبذلك ينسف عملا شرعياً اتفق على شرعيته ملايين الفقهاء من المذاهب الأربعة وغيرهم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، ومثل هذا لا ينبغي السكوت عليه.

القضية السابعة والثلاثون: قضايا الاغتصاب وصلت عندنا إلى مرحلة خطيرة جدا:

كشف تقرير أخير عن المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة، أن مصر تشهد سنويا ٢٠ عشرون ألف حالة اغتصاب وأن هذه الجرائم تحدث الآن بمعدل حالتين لكل ساعة واحدة تقريباً، هذا بخلاف الحوادث التي لم يتم الإبلاغ عنها - وهي كثيرة - مخافة الفضيحة والعار الذي يجلب حادث الاغتصاب على المغتصبة وأهلها.

منها حالات اغتصاب جماعية حيث يقوم جماعة باختطاف المرأة والتناوب عليها، وآخرها ما حدث في كفر الشيخ حيث قام عشرة شبان باختطاف امرأة واقتادوها إلى المزارع وتناوبوا عليها، وقد أخذوا جزاءاهم حيث كان القضاء قد حكم عليهم بالإعدام.

لكن القضية أخطر من هذا لأن هذه الجريمة لها أسبابها التي تحتاج إلى علاج حاسم وسريع، حتى لا تزداد هذه الجريمة شيوعا وانتشاراً في المجتمع:

فإن تسعين في المائة من مرتكبي هذه الحوادث هم من العاطلين عن العمل.

من أهم الأسباب لجرائم الزنا بصفة عامة والاغتصاب بصفة خاصة، زيادة نسبة العنوسة عندنا سواء لدى الشابات أو الشباب، فقلَّ أن يخلو منزل عندنا من وجود بعض الفتيات اللاتي تجاوزن سن الثلاثين عاماً بلا زواج، وكذلك الشباب فكثير من الشباب تجاوز سنهم الخامسة والثلاثين بدون زواج.

لكن إلى جانب العنوسة هناك أسباب أخرى؛ مثل ضعف الاقتصاد وعدم وجود مشروعات تستوعب الطاقات المعطلة لدى الشباب.

كذلك زيادة نسبة الطلاق في السنوات الأخيرة وخصوصاً لدى المتزوجين حديثاً، والجميع في سن الشباب.

أما العلاج فيكون كما يلي:

مما ساهم في تضخم مشكلة العنوسة صعوبة الحصول على سكن بسعر يتناسب مع الدخول المتدنية لدى الشباب، وخصوصاً بعد أن تفتحت شهية رجال الأعمال عندنا في بناء الأبراج التي تحتاج إلى مئات الألوف من الجنيهات ومعظمها معروضة للتملك، ومن يعرض للإيجار يكون الإيجار ليس في مقدور الشباب إذ الشقة المتوسطة الآن لا تقل عن سبعمائة جنيه شهرياً غير المقدم الكبير الذي يجب أن يدفع فور الحجز للسكن.

عدم قيام الدولة بالتوسع في بناء مساكن للشباب تتناسب مع دخولهم المتدنية وتيسير طريقة السداد التي يجب أن تكون على أقساط لمدد طويلة حتى لا يرهق الشباب في السداد.

عدم التغالي في المهور وتكاليف الزواج التي تضخمت في السنوات الأخيرة.

لذلك نرجو أن تتجه الجهود من الآن لعلاج هذه المشاكل التي طال أمدها في المجتمع بدون حل جذري، ونرجو من الله أن تتسع الصدور لتبني هذه القضايا الخطيرة والعمل على علاجها. هذا وبالله التوفيق.

القضية الثامنة والثلاثون: هل يجوز بيع الشيء قبل قبضه:

والمراد: أن من اشترى قمحا أو سيارة أو غسالة، هل يجوز له بيعها لآخر قبل أن يتسلمها ممن اشتراها منه.

في هذه القضية ثلاثة آراء إجمالاً:

الرأي الأول للإمام مالك: عدم جواز بيع ما يصنع منه الطعام قبل قبضه خاصة، دون غيره من أنواع السلع، وذلك لحديث المصطفى ﷺ: "نهى رسول الله ﷺ عن بيع الطعام قبل قبضه"، وذلك باعتباره سلعة عامة لا يستغنى عنها إنسان في الوجود، فلو جاز بيعها قبل قبضها لتبايع التجار الطعام وهو في مخازنه، وخلت منه الأسواق وحينئذ تحصل المجاعة العامة، وهذا بخلاف السلع الأخرى فالمحتاجون إليها قليل.

الرأي الثاني: لجمهور الفقهاء: لا يجوز بيع أي شيء قبل قبضه، وذلك لحديث ابن عباس رضي الله عنهما: "نهى رسول الله ﷺ عن بيع الطعام قبل قبضه" ثم قال ابن عباس "ولا أرى كل شيء إلا مثله"، فعمم الجمهور الحكم أخذا بقول ابن عباس رضي الله عنه.

الرأي الثالث: لعثمان البتي، حيث يقول: يجوز بيع كل شيء قبل قبضه، بما في ذلك الطعام، لأن النهي إنما كان للكراهة وليس للحرمة.

هذه الآراء هي موجودة في كتب الفقه بهذا العرض الذي عرضته، وعرضه الشيخ كذلك لكن عقب على ذلك بقوله:

معنى ذلك:

١. ترك العمل بعشرات الأحاديث الواردة في النهي عن ذلك.
٢. ترك العمل بآراء المذاهب الأربعة جميعاً.
٣. من حق التجار أن يتبايعوا الطعام في مخازنه، بحيث لا يراه العامة في الأسواق، وليحدث ما يحدث لعامة الناس.
٤. أن يترك قول ملايين الفقهاء في مختلف العصور، والأخذ برأي شاذ لأحد العلماء.

ولا أملك إلا أن نقول: اللهم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

القضية التاسعة والثلاثون: هما قضيتان أو نوعان من البلاء:

أولهما: شيوع اللافتات باللغات الأجنبية على الكثير من المحلات، حتى وصلت هذه البلوى إلى الأحياء الشعبية، حتى صارت من الأمور العادية أن تراها حين تمر في شارع ترعة الجبل في حي المطرية وحي الزيتون والحلمية، وغيرها من أحياء القاهرة، فهل ازدحمت أحياء القاهرة بالسائحين الأجانب حتى في هذه الأحياء، فنريد أن نلفت أنظارهم إلى المحلات التي تعرض أنواع البضاعة الراقية، فنكتب لهم اللافتات بلغاتهم، وحتى لو قدّر ذلك وهو غير حاصل بالتأكيد، فعلينا أن نضع لافتة أجنبية إلى جانب اللافتة باللغة العربية، لكن نرفع اللافتة العربية نهائيا، ونتصور أننا في لندن أو باريس، فهذا لا يجوز شرعاً ولا عقلاً، لأننا مسلمون نتحاكم إلى القرآن

الكريم، وهو باللغة العربية، نعم لا بأس أن نعلمها لأبنائها حتى نتابع ما يحدث في العالم ونحن جزء منه، لذلك أرجو أن نعود إلى لغتنا التي جاء بها شرعنا من رب العالمين.

وإني لأترحم على الرئيس جمال عبد الناصر الذي أصدر قراراً بإزالة كل اللافتات الأجنبية وأن تحل محلها لافتات باللغة العربية، وقد كان، فهل ننتظر صدور قرر جمهوري بذلك.

القضية الثانية أو النوع الثاني من البلاء: اتساع نطاق التبرج وانتشار السفور في الأغلبية الساحقة بين مذيعات ومقدمات البرامج في القنوات الفضائية، وكأنهن لا صلة لهن بدين الإسلام، الذي يحرم التبرج، فما بالك إذا أضفنا إلى خلع الحجاب؛ الألوان الشديدة اللمعان التي توضع على الوجه والشعر، وكأنهن لم يسمعن بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[1]، وكذلك قوله سبحانه: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [2].

ألا يعرفن أنهن سيحاسبن على هذا التبرج الممقوت شرعاً وعقلاً.

نعم المرأة المتبرجة في الشارع ستحاسب وحدها على هذا التبرج إذا لم يكن لها ولي من زوج أو أب، وإلا اشترك معها في الإثم، أما مقدمة البرامج فيشترك معها في الإثم مالك القناة أو مديرها، ومن كان في حجرة المكياج فالجميع مشتركون في هذا الإثم، لأن في التبرج فتنة عظيمة، وخصوصاً في بلد يكثر فيه العانسون والعانسات، لذلك أرجو أن يفيق الجميع فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبهم رب العالمين. اللهم إني قد بلغت اللهم فاشهد.

---

(١) الأحزاب: ٥٩.

(٢) النور: ٣١.

* المقصد الثالث *

اشتمل على فرعين:

أحدهما: كان الاختيار فيه سهلا وقريباً، لأني جلست إليهم واستفدت منهم.

ثانيهما: كان الاختيار فيه شاقاً ومحيراً ومرهقاً لأني أعلم أن النجوم التي أضاءت سماء العالم الإسلامي وأخذوا بأيدي المسلمين إلى شريعة الإسلام كانت كثيرة، ومن جهات متعددة، وتخصصات متنوعة، وقد استفدت من الكثير منهم، لكني كنت محكوماً بضيق الوقت،وكثرة المشاغل الواجبة، فأثرت الكتابة عن البعض الذي أحسست بقربي منهم، والتصاقي بمناهجهم، واتساع أفاق مدارسهم التي استطاعت أن تجذب إليها الأعداد الكبيرة من طلاب العلم، مع اختلاف ألسنتهم وألوانهم وجنسياتهم ومن هؤلاء:

١- ابن عطاء الله السكندري.
٢- الشيخ / العز بن عبد السلام.
٣- الشيخ / محمد الزرقاني.
٤- الشيخ / أحمد زروق.
٥- الشيخ / محمود خطاب السبكي.

أما الشيوخ الذي التقيت بهم واستفدت منهم:

١- الشيخ/ محمد زكي إبراهيم.
٢- الشيخ/ صالح الجعفري.
٣- الشيخ/ عبد الرحمن نجم الكردي.
٤- الشيخ/ جمال الدين بدر.
٥- الشيخ/ محمد فرغلي.

وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعل في ميزان حسناتهم، وميزان حسناتي إنه قريب مجيب.

من استفدت من علمهم وسيرتهم ولم ألتق بهم:

١- ابن عطاء الله السكندري

من الرجال الكبار لهذه المؤسسة الأزهرية المباركة، التي أكرمها الله تعالى بهم، هو الإمام العارف بالله تعالى، والعالم الزاهد، تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم، ابن عطاء الله السكندري، أحد رجال المذهب المالكي، ولد عام ٦٥٨هـ تقريباً، وتوفى عام ٧٠٩هـ يعني لم يعمر أكثر من خمسين عاماً، لكن أعماله العظيمة وآثاره الخطيرة تثير العجب العجاب.

ابن عطاء الله السكندري تلقى علومه بالإسكندرية، من علمائها في الفقه والتفسير والحديث، والأصول، وسائر العلوم العربية والإسلامية، ثم جاء إلى الأزهر وترقى في علوم الأزهر حتى وصل إلى درجة علمية كبيرة في هذا الوقت (لقب: أستاذ كرسي) فالشيخ يجلس على كرسيه، ويجلس حوله الطلاب من كل حدب وصوب، حتى تخرج على يديه عدد كبير من العلماء ومن أشهرهم الإمام تقي الدين بن السبكي والد تاج الدين السبكي صاحب طبقات الشافعية الكبرى.

كان الإمام أحمد والذي غلب عليه لقب جده، ابن عطاء الله في ابتداء أمره على منهج جده الفقيه، ابن عطاء الله السكندري شديد الاعتراض على الشيخ أبي العباس المرسي شيخ الصوفية هناك، ثم شرح الله تعالى صدره لطريق التصوف، فجمع بينه وبين الفقه والحديث، يقول الحافظ ابن حجر عنه: "كان ابن عطاء الله السكندري يتكلم بالجامع الأزهر فوق كرسي بكلام يروح النفس ويمزج كلام القوم – أي الصوفية – بآثار السلف، وفنون العلم فكثر أتباعه وكانت عليه سيما الخير".

وكان من كراماته: أن الإمام الحنفي "الكمال بن الهمام" زار قبر ابن عطاء الله وقرأ عنده سورة هود عليه السلام فلما أتى على قوله تعالى:

﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[1]، فأجاب ابن عطاء الله من القبر بصوت عال: "يا كمال ليس فينا شقي" فأوصى الكمال أن يدفن بجواره وفعلا هو مدفون بجواره حيث إن قبره ملاصق لجدار ضريح ابن عطاء الله من الخلف.

وهذه الواقعة لها نظير حصل في حضرموت، إذ جاء بعض علمائهم إلى المفتي الأسبق الإمام حسنين مخلوف وطلبوا منه أن يدلهم على قبر نبي الله هود عليه السلام هناك، فقال لهم إن منكم رجالاً صالحين سيطلعهم الله على قبره، وقد كان فحدث أن بعضهم كان يقرأ في سورة هود في مكان غير بعيد من بئر فرهوت بالأحقاف وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [2] فسمع صوتا من تحت صخرة كبيرة يقول: "لقد جئتهم بالبينة ولكنهم كذبوني" وقد رأيت هذه الصخرة الكبيرة المستطيلة وبها كسر في أسفلها بمقدار دخول إنسان نحيف البدن برأسه فيها ثم ينزلق ببقية بدنه تحتها.

ومعلوم أن الكمال بن الهمام وهذا لقبه واسمه: عبد الواحد السيواسي من كبار فقهاء الحنفية، ومن يطلع على كتابه الكبير "فتح القدير شرح الهداية للمرغيناني" في تسع مجلدات يعرف قدر الكمال بن الهمام وجهده العظيم في فقه الحنفية، ولكنه في سنواته الأخيرة آثر أن يتصوف، ولكن كبار صوفية عصره طلبوا منه الاستمرار في أداء دوره في بيان الأحكام الشرعية للمسلمين حتى قيض الله له أن يدفن بجوار أحد كبار الصوفية والله سبحانه وتعالى يتفضل بما شاء على من شاء من عباده.

من أهم مؤلفات ابن عطاء الله:

١- التنوير في إسقاط التدبير، وهو صغير في حجمه ولكنه عظيم الفائدة في دلالاته.

---

(١) هود: ١٠٥.

(٢) هود: ٥٣.

٢- الحكم العطائية، وقد أغرم بها الشيخ أحمد زروق فشرحها ثلاثين مرة، وأتذكر أني طالعت بعضاً من شرحه السابع عشر، كما توسع في شرحها الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي فقد شرحها في ست مجلدات.

٣- لطائف المنن.

٤- تاج العروس في تهذيب النفوس.

٥- مفتاح الفلاح.

٦- القصد المجرد في الاسم المفرد.

وغير ذلك من النفائس رحمه الله رحمة واسعة.

* * *

٢- الشيخ عز الدين بن عبد السلام (سلطان العلماء)

من العلماء الذين احتضنهم الأزهر الشريف من العالم الإسلامي الشيخ عز الدين بن عبد السلام، المشهور بلقبه في العالم الإسلامي بأنه: سلطان العلماء، وإني أضيف إلى هذا اللقب وصف آخر، بأنه: حجة من حجج الله تعالى على أهل العلم، فهو يذكرني بواقعة شهيرة حدثت في القرن الأول الهجري حين نزل الأسد بأحد شوارع المدينة المنورة، فحصل الهرج بين جمهور الناس هناك، فسمع بذلك الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فخرج من بيته متجها إليه من غير خوف أو وجل، وبلغت القلوب من الناس الحناجر، على هذه المخاطرة، بل المجازفة، حتى وصل قريباً من الأسد، فقال له: ليس طعامك هاهنا، بل هو من وراء هذا الجبل، وأشار بيده إلى جهة الجبل الذي يقصده، فعاد الأسد إلى مكانه الذي أتى منه تاركاً شوارع المدينة، فاجتمع الناس إلى ابن عمر يسألونه؟ ما الذي دفعك إلى هذه المجازفة بنفسك، وجعلك تخاطب الأسد حتى خاف، وخرج من شوارع المدينة، فقال مقالته المشهورة: "من خاف الله تعالى أخاف منه كل شيء، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء".

هذا المسلك سلكه الإمام عز الدين بن عبد السلام.

جاء هذا الإمام إلى مصر في القرن السادس والسابع الهجري، حيث أقام بمصر عشرين عاماً، ناشراً للعلم، ناهيا عن المنكر، وآمرا بالمعروف حتى وفاته بها عام ستين وستمائة للهجرة، وكان قدومه من سوريا إلى مصر بعد أن تصادم مع سلطانها الملك الصالح إسماعيل فخرج منها متجها إلى القاهرة، فلما سمع السلطان بخروجه أرسل إليه، من يطلب منه العودة، بشرط أن يقبل يد السلطان، فرد العز بن عبد السلام قائلاً، يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدي، فكيف أقبل يده، يا قوم أنتم في واد، وأنا في واد، والحمد لله الذي عفاني مما

ابتلاكم به.

وموقفه النادر والشجاع والعجيب الذي يدل على شدته وشجاعته في الحق، بيعه للأمراء الذين كانوا يحكمون مصر، من خلال السلطان الأيوبي، حتى أنه كان منهم: نائب السلطان، وقال: لم أجد ما يفيد أنهم أحرار، فهم لا زالوا عبيد أرقاء، لا يجوز لهم بيع ولا شراء، ولا نكاح، فقال نائب السلطان: كيف يبيعنا ونحن ملوك الأرض، والله لأقتلنه بسيفي هذا، وركب حصانه وسيفه مصلت بيده، وحرسه معه، حتى وصل إلى بيت الشيخ، فخرج ابنه ورأى نائب السلطان في غاية الغضب، وحوله الجنود، والسيف مصلت في يده، فعاد وأخبر والده بما رأى، فقال الشيخ: يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله، ثم خرج الشيخ، فلما رآه نائب السلطان يبست يده، وسقط السيف من يده، وأرعدت مفاصله، وبكى، وقال يا سيدي، إيش تعمل؟ قال: أبيعكم واحداً واحداً وأضع أثمانكم في وجوه الخير، وفعلاً باعهم واحداً واحداً، وغالى في أثمانهم، وصرفها في وجوه الخير.

من أهم مؤلفات الشيخ: القواعد الكبرى، ومجاز القرآن، شجرة المعارف، مختصر صحيح مسلم، والإمام في أدلة الأحكام وغير ذلك، رحمه الله رحمة واسعة فقد ضرب أروع مثال في شجاعة العلماء.

* * *

٣- الشيخ محمد الزرقاني

يقول في التعريف به محمد بن محمد مخلوف صاحب "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" هو أبو عبد الله محمد بن الشيخ عبد الباقي الزرقاني الفقيه المالكي المعروف، الإمام العلامة الفقيه الفهامة المتفنن المحدث الراوية المسند، المؤلف، المتقن، خاتمة العلماء العاملين، والأئمة المجتهدين أخذ العلم عن والده، والنور الأجهوري والخرشي، وأجازوه، وغيرهم.

كما أخذ عنه العلم جماعة منهم: الشيخ محمد زيتونة وأجازه، وكذلك الشيخ علي بن خليفة والشيخ أحمد الغماري، وأبو الحسن السقاط وأجازه، وأبو العباسي أحمد بن مصطفى الصباغ وأجازه إجازة عامة.

من تآليفه: شرح على المواهب اللدنية في حقوق المصطفى ﷺ للإمام القسطلاني في اثنى عشر مجلداً، قال عنه صاحب شجرة النور، جليل الفائدة دل على علم واطلاع وطول باع.

شرح على الموطأ في أربع مجلدات، رزق فيه القبول، وأحمد الله تبارك وتعالى أن وفقي لتدريس هذا الشرح المبارك للإمام محمد الزرقاني لأبنائي طلاب العلم في قاعة (مضيفة الشيخ إسماعيل صادق العدوي) أمام جامعة الأزهر على الجانب الآخر من شارع الأزهر، وذلك في حوالي عشر سنوات من خلال درس أسبوعي نلتقي فيه معهم، وقد أكرمني عز وجل بإعداد مجلد عن كتاب الجامع الذي أنهى به الإمام مالك كتاب الموطأ، حيث ذكر فيه مجموعة كبيرة من الآداب، مثل الكلام عن الحب في الله تعالى، وحب رسوله ﷺ وحب المدينة وغير ذلك، وقد آثرت ألا اشرحه بعباراتي، ولكن بالعبارات التي انتقيها من شراح الموطأ من أمثال: الإمام الباجي، والإمام ابن عبد البر، والإمام ابن العربي، وغيرهم من شراح هذا الكتاب الجليل.

وشرح الزرقاني هو من أوسط شروح الموطأ سواء في بيان القواعد الفقهية مع الإشارة بإيجاز إلى أدلتها، مع إيجاز أقوال فقهاء المذهب القوية في المسألة والحمد لله قد استفدت منه كثيراً وهو مسجل على الإنترنت، على نفس العنوان السابق، " مضيفة الشيخ إسماعيل صادق العدوي ".

وإنما قلت: هو من أوسط الشروح للموطأ لأن من العلماء من شرحه في مجلد واحد، كالإمام السيوطي، ومنهم من شرحه في ثمانية عشر مجلداً كبيراً كما فعل الإمام الكاندهلوي الهندي.

المكرمة العظيمة التي أكرم بها الشيخ محمد الزرقاني:

كان الشيخ محمد الزرقاني في بدايات طلبه للعلم، وبعد أن تلقى منه ما يجعله أهلا لأن يكون معيداً للدرس الذي يلقيه شيخه، لأن البعض منهم قد لا يكون مستوعبا لكل ما يقوله الأستاذ فيختار شخص له بعض القدرات الخاصة سواء في تلقي الدرس أو في إعادة إلقائه كما سمعه من شيخه، فيعيد الدرس الذي ألقاه الشيخ مرة أخرى وكانت هذه مهمة الشيخ محمد الزرقاني مع شيخه الشبراملسي الفقيه المالكي الكبير.

ومما يلفت نظر الطلاب كثيراً هذا الاهتمام بل والاعتناء بمحمد الزرقاني من قبل الشيخ الشبراملسي حتى أنه إذا غاب عن الدرس يسأل عنه، ولا يفتح الدرس إلا إذا حضر مع أنه أصغر الطلاب، لذلك كان محسوداً من بقية الطلاب.

وكان الطلاب يصرحون بمشاعرهم للشيخ عن هذا الاهتمام الزائد بالشيخ محمد الزرقاني أو الطالب الزرقاني.

فكان الشيخ يعتذر عن ذلك، ويقول: في حياء: "إن النبي ﷺ أوصاني به" هذه المكرمة التي أكرم بها الشيخ محمد الزرقاني، قد صحبته في بقية حياته وهو أنه كان محل عناية من جهة أعلى وقد قال الشاعر:

وإذا العناية لاحظتك عيونها　　　نم فالمخاوف كلهن أمان

توفى الإمام محمد الزرقاني عام اثنتين وعشرين ومائة وألف هجرية وكان مولده سنة خمس وخمسين وألف من الهجرة رحمه الله رحمة واسعة.

* * *

٤- الشيخ أحمد زروق

عرفت الإمام الفقيه الصوفي المصلح الشيخ أحمد زروق من خلال كتبه، وما بثه في قواعد التصوف من آداب لطالب الطريق سواء مما استفاده من السابقين من رجال التصوف أو من خلال معاشرته لهم في المغرب والقاهرة وبلاد الحجاز.

وكانت القاهرة بعلمائها وأزهرها المعمور وتراثها؛ مهبطاً لكل طالب فقه أو تفسير أو حديث أو تصوف، ولذا كانت مهوى فؤاد الشيخ زروق حيث كان يمر بها في ذهابه إلى الحج ويمر بها في عودته أحياناً، يرتحل بعد استراحته وقضاء وطره، وأحيانا يطيل المقام بها كما حدث عام أربع وثمانين بعد المائة الثامنة من التاريخ الهجري، حيث استقر به المقام في القاهرة حوالي عامين كاملين.

الشيخ زروق فقيه مالكي، لأنه نشأ ببلاد المغرب، ولا يعرف بها مذهب آخر، وحين كان بالقاهرة كان له دور في تعليم من هم في مرحلة الطلب، ثم كان له دور في حضور دروس كبار العلماء وكتابه في شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، شاهد على تعمقه في فهم قواعد المذهب المالكي، كما تميز بأسلوبه الرقيق الذي يصل بالقارئ إلى فهم المراد من الجملة أو من النص، من أقرب طريق، إلا أنه موجز: إذ هو مطبوع مع شرح الشيخ ابن ناجي في شرح الرسالة وهما في مجلد واحد، وسط، بينها الغالب على شروح الرسالة أنها لا تقل عن حجم مجلدين، وهناك ما هو أكبر، وإن كان الجميع يفهم منه المراد من ألفاظ الرسالة.

أما المجال الذي اشتهر فيه وحسب من رجاله القلائل؛ هو التصوف، نعم هو لفظ عام قد انطوى تحت رايته الكثير والكثير من المشارق والمغارب، فمن ترك لحيته دون حلقها فهو في عرف العامة متصوف، ومن يحمل سبحة

في يده فهو متصوف، وغير ذلك ممن نسب إلى التصوف والتصوف الحقيقي منهم براء، وقد أنشد في أمثال هؤلاء الإمام القشيري قوله:

ما أبصرتْ عيني خيام قبيلةٍ ... إلا بكيتُ أحبتي بفنائها

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها

أما التصوف الحقيقي فرجاله قليل؛ وهذا الصنف هو الذي كان يبحث عنه الشيخ زروق، لذلك تراه في القاهرة مشغولاً بكتب ابن أبي جمرة، وبالمدخل لابن الحاج، وبرسالة القشيري، وبمؤلفات ابن عطاء الله، وبعوارف المعارف للسهروردي، وبمؤلفات المحاسبي، وبقوت القلوب للمكي، والإحياء للغزالي.

كما كان له اهتمام بصحيح الإمام البخاري وغيره من كتب السنة.

لكن كما قلت: الميدان الذي اشتهر به، ونصبت له الرايات كفارس من كبار فرسانه: هو التصوف، وقد حاول أن يستفيد من خبرة الطريقة الشاذلية والقادرية، ومن أهم معالم الطريقة الشاذلية هي أصولها؛ كما عبر عنها الدكتور طه حبيشي الذي شرح قواعد التصوف للشيخ زروق، وهي خمسة:

١- تقوى الله في السر والعلانية.

٢- إتباع السنة في القول والعمل.

٣- الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار.

٤- الرضى عن الله في القليل والكثير.

٥- الرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء.

أما الأصول الخمسة للطريقة القادرية فهي:

١- علو الهمة.

٢- حفظ الحرمة.

٣- حسن الخدمة.

٤- نفوذ العزمة.

٥- تعظيم النعمة.

وأما آداب المريد مع الشيخ والإخوان عند الشيخ زروق فهي خمسة:

١- اتباع الأمر وإن ظهر له خلافه.

٢- اجتناب النهي وإن كان فيه حتفه.

٣- حفظ حرمته إن كان حاضراً أو غائباً، حياً أو ميتا.

٤- القيام بحقوقه حسب الإمكان بلا تقصير.

٥- عزل عقله وعمله ورياسته إلا ما يوافق ذلك من شيخه.

ثم يعقب ذلك بقوله:

ينبغي لك مطالعتها كل يوم مرة أو مرتين، وإلا ففي كل جمعة حتى تنطبع معانيها في النفس ويقع تصرفك على مقتضاها، فإن فيها غنية عن كثير من الكتب والوصايا فقد قيل: إنما حرموا الوصول من تضييع الأصول.

أما النفحات الربانية التي أكرم بها الشيخ زروق، فهي كثيرة، نشير إلى شيء منها في حياته وشيء منها بعد وفاته.

أما ما حدث في حياته، فإنه كان في صحراء قاحلة لا زرع فيها ولا شجر ولا ماء، وحدث له شيء تنجس منه ثوبه وبدنه، فوقع بصره على غابة من الأشجار، ومع بعدها فإنه يمكنه الوصول إليها، وفعلا وصل إليها فوجد الغابة، وبها نهر يجري بماء طيب، فتطهر وغسل ثوبه، وحاول معرفة أبعاد المكان ليأتي إليه فيما بعد.

وبعد أيام أو أسابيع أراد أن يذهب إلى هذا المكان الهادئ، وبه الخضرة والماء،وفعلا ذهب إلى المكان فلم يجد شيئاً، فوقع في خاطره أن ما حدث كان من عطاء الله تعالى، حين رأى عبدا من عباده في حالة شدة، فأراد سبحانه أن يفرج عنه شدته.

وأما بركاته بعد موته، فأنقل منها: ما قاله الأستاذ/ محمد حسنين هيكل

أثناء سرده لتاريخ عبد الناصر في إحدى قنوات دولة الإمارات، سمعته بأذني ورأيته بعيني، وهو يتحدث عن ذلك؛ بعد أن قام القذافي بثورته أثناء غياب الملك السنوسي الذي كان يحكم ليبيا، وكان الملك في إحدى دول البلقان، وبعد أن علم بالثورة اتجه إلى تركيا للإقامة بها، وحاولت دول الغرب أن تغريه بالعودة لحكم ليبيا، في ظل قواتهم الجوية والبحرية، لأن القذافي في ليبيا وعبدالناصر في مصر والحدود مشتركة ويمكن أن تظهر دولة قوية من خلال الدولتين المطلتين على البحر الأبيض والأحمر، وفي أثناء هذه المحاولات والتي كان الملك متردداً في قبول الخطة، يأتي إلى عبد الناصر من يقول له: إن الملك السنوسي يحب الشيخ زروق عليه رحمة الله، والشيخ زروق أثناء إقامته بمصر، قد ترك وراءه سبحته ومصحفه، ونحن قد عثرنا على مصحفه، فعبد الناصر كلف مبعوثاً خاصاً يحمل المصحف في طائرة خاصة إلى تركيا للسلام على الملك وتسليمه المصحف الخاص بالشيخ زروق، وكانت لفتة كريمة من عبد الناصر شرحت صدر الملك السنوسي، وبعد عدة أشهر قليلة عثر على سبحة الشيخ زروق، فأرسلها عبد الناصر مع مبعوث خاص في طائرة خاصة إلى الملك السنوسي ومعه إلى جانب السبحة، رسالة من عبد الناصر يرحب فيها بدعوة الملك للإقامة بالإسكندرية بقصر الصفا المطل على البحر الأبيض فقبل الملك الدعوة، وجاء إلى الإسكندرية وعاش في قصر الصفا، وبذلك ضمن عبد الناصر استمرار ثورة القذافي ونجاحها، وعدم قيام حرب في ليبيا بين أنصار الملك ورموز عصره، وبين القذافي ورجال ثورته، وكان ذلك ببركة الإمام الشيخ زروق المدفون في مصراتة بليبيا، رحمه الله رحمة واسعة، وأجزل له المثوبة على جهده الكبير الذي بذله لوجه الله تعالى، ومن يلقي نظرة على عدد المساجد والزوايا والمكتبات في كل من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب والتي تحمل اسم الشيخ زروق يستطيع أن يدرك الجهد الذي بذله الشيخ زروق رحمه الله.

٥- الإمام محمود خطاب السبكي (آية من آيات الله)

من رجال هذه المؤسسة المباركة الفقيه المالكي والداعية الكبير الإمام محمود خطاب السبكي المؤسس لجمعية العاملين بالكتاب والسنة.

ولد الإمام محمود خطاب السبكي عام ١٨٥٨م بسبك الأحد المشهورة الآن بسبك العويضات، مركز أشمون محافظة المنوفية.

أراد والده أن يجمع بين سعادتي الدنيا والدين، فجعل ثلاثة من أولاده لحفظ القرآن الكريم وطلب العلم بالأزهر، وثلاثة أميين ليقوموا بالمصالح المعيشية للأسرة الكبيرة ذات السيادة في البلد، وكان محمود من الفريق الثاني الذي يتولى رعاية الغنم، ورعاية الخيل، والقيام بأمر الزراعة وبستانهم بالبلدة.

اتصل الابن محمود بالشيخ أحمد بن محمد أبي جبل السبكي، وسلك على يديه الطريقة الخلوتية الصوفية فاشتغل بها إلى جانب أعمال أبيه؛ بالذكر والعبادة من الصلاة والصيام وقيام الليل.

صدر في تلك الفترة قرار بإعفاء أبناء العمد من الخدمة العسكرية وذلك إذا كانوا منتسبين إلى جهة تعليمية، فأشار الشيخ خطاب الأخ الأكبر للشيخ محمود على أبيه أن يأخذه معه للأزهر، بعد أن تجاوز العشرين من عمره، ليحصل له على شهادة لإعفائه من التجنيد.

حينما دخل محمود الأزهر وشاهد حلقات العلم انشرح صدره لطلب العلم أيما انشراح فيجلس في حلقة الشيخ حسن العدوي وغيره من العلماء ويحفظ ما بين ثلاثة أرباع إلى حزب كامل في اليوم الواحد، مع حفظه للمتون، وحضوره دروس العلماء والذهاب للخلوة الخلوتية، مع أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

لذلك يقول الشيخ محمود عن نفسه: تعلمت الخط، و القرآن الكريم

والعلم الذي رق وراق، وقرأت الدروس في الأزهر الشريف للطالبين، كل ذلك في نحو سنة، وما أظن أن ذلك وقع لغيري من البرية فلله الحمد في كل طرف عين.

حصل الشيخ محمود عام ١٣١٣هـ ١٨٩٦م على شهادة العالمية.

وبذلك اشتغل الشيخ بالتدريس بالجامع الأزهر، فقرأ لطلابه العلوم العقلية والنقلية، وظل على ذلك سبعة وثلاثون عاماً.

أسس الشيخ الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة؛ إلى جانب مؤلفاته، ومنها:

- المنهل العذب المورود على سنن أبي داود.
- حكمة البصير على مجموع الأمير في فقه المالكية.
- الدين الخالص.
- العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق، في التصوف المعتدل.

لبى الشيخ نداء ربه في ربيع الأول عام ١٣٥٢هـ الموافق شهر يوليو ١٩٣٣م بعد خمسة وسبعين عام قضى معظمها في الطاعة لربه، والجهاد في دعوة العباد إلى الله ودفن بقرافة المجاورين، رحمه الله رحمة واسعة.

* * *

من استفدت من علمهم وسيرتهم بلقائي بهم:

١- الشيخ محمد زكي إبراهيم

الحمد لله رب العالمين، من إكرام الله تعالى لي وأفضاله علي التي لا تحصى أن شرح صدري للقاء العلماء الذين أدركتهم وإن في سنواتهم الأخيرة في حياتهم المادية على وجه الأرض، أما حيواتهم العلمية والدينية والاجتماعية فهي مستمرة في عالم الناس أمس واليوم، وغد، وبعد غد، إلى أن يقوم الناس لرب العالمين، فهي حيوات ممتدة عبر الأزمان والأجيال بل والقرون حتى أننا نشعر بسعادة غامرة حين نسمع بذكرى أحدهم، أو نرى شيئاً من ذخائرهم التي خلفوها وراءهم، أو حين تقع في أيدينا نفحة من نفحاتهم، التي أناروا بها القلوب، وشرحوا بها الصدور، حتى صارت نبراساً يهتدى بها، من كتب الله تعالى لهم الهداية، وسلك بهم طريق الرشد ووضع أقدامهم على طريق الحق، وأحسب أن الشيخ الإمام محمد زكي إبراهيم أحد هؤلاء الذين تركوا بصماتهم الواضحة على مجتمعهم سواء فيمن عاصرهم أو جاء بعدهم ولكن لوضوح مناهجهم في طريق التربية والتقويم والإرشاد.

كانت اللافتة التي كانت معلقة على مبنى المسجد المشهور بمسجد البنات بشارع بور سعيد عند تقاطعه مع شارع الأزهر (مجلة العشيرة المحمدية) تلفت نظري كلما مررت بهذا المكان، إلى أن أراد رب العزة تبارك وتعالى أن ألتقي بمؤسس هذه المجلة وأكثر الرجال الذين يكتبون فيها.

وذلك بدعوة من أخ مثقف داعية أكرمني الله بمجاورته وتعدد اللقاء بيننا في مجال أعمال الخير،حيث كنا ندعوه للخطابة في مسجد جمعية الفاروق الخيرية الإسلامية كما كان له ابن صالح يطلب العلم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة التي كنت معاراً للتدريس بها، واتسعت المعرفة بالتعرف على ابنيه الكريمين الدكتور عبد العزيز، والدكتور محمد كمال، وخلال هذه

اللقاءات جاء ذكر شيخ الإسلام الشيخ محمد زكي إبراهيم، وأن له درساً يلقيه في سكنه في عمارة فخمة ضخمة في باب اللوق، واتفقت كلمتنا على زيارة هذا الإمام لنحظى بالسلام عليه والاستماع إلى علمه، وكان الدرس في الفترة المسائية من بعد المغرب وقد يمتد إلى ما بعد العشاء، وفعلاً، حظينا بما كنا نأمله بالسلام على الشيخ وسماع ما يجود به علينا من العلم، ومعنا عدد من أتباع الشيخ ومحبيه وبعد أن ذقنا حلاوة المادة العلمية التي كان يمن بها المولى جل علاه على الشيخ العالم المربي القائد، لم يكن في مقدورنا أن نتخلف بعد ذلك بالرغم من صعوبة المواصلات في ذلك الوقت وبعد المسافة إذ تزيد على عشرة كيلو متر، ولكن أسلوب الشيخ وطريقته في الإلقاء، وسياحته الرائعة بين النصوص الصحيحة وتغليفها بالجوانب الروحية، ربطتنا به، وفي نفس الوقت شغلتنا إذ أول مرة أجد من يستدل على مباني الأضرحة حول قبور الصالحين من السنة، حيث استدل على ذلك بما فعله المصطفى ﷺ، إذ كان عثمان بن مظعون رضي الله عنه من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وبعد أن صلى رسول الله ﷺ عليه، ووري جثمانه في القبر وحثي عليه التراب، أمسك رسول الله ﷺ بحجر ووضعه على قبره، وقال: "حتى أعرف قبر أخي" ومعنى ذلك، أن قبور الصالحين ينبغي أن تعلم وتعرف حتى يتذكرهم الناس ويتأسوا بهم في أعمالهم الصالحة والتزامهم بشريعة ربهم.

نعم: هذا كلام جميل واستدلال في موضعه، لكن ترقي الناس في ذلك حتى وصلوا في بناء الأضرحة إلى ما نراه الآن، والواقع أننا لم نتواصل مع الشيخ في الأسئلة عما حصل بعد ذلك من المبالغات في هذا المجال.

كان في العادة، أن بعض محبي الشيخ الأقدم منا، تعود أن يفتتح الدرس بآية من القرآن الكريم لكن لا نعرف هل كان للشيخ منهج في اختيار الآيات الكريمة لتكون محلاً للدرس، أو كان الاختيار عفوا من الأخ القارئ، المهم

تغيب القارئ وأشار إلي بعض الجالسين بافتتاح الدرس ببعض آيات الذكر الحكيم، فجاء في خاطري قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١].

فتحدث الشيخ عن المقصود بكونه تعالى: هو نور السموات والأرض وتحدث عن الأنوار العظيمة إذا تداخل بعضها في بعض، خصوصاً إذا كانت بالأوصاف العالية، التي جاءت في النص الكريم، حيث اجتمعت رقة الزيت المستخدم في الإضاءة وصفاؤه ومع ذلك يلتقي بزجاج شفاف؛ حتى صارت المشكاة بما ينبعث منها من الأنوار القوية كالكوكب الدري، ثم يضاف إلى ذلك كله ما حل بها من بركات الله تبارك وتعالى، وهذا مثال للاعتبار، وأن المؤمن التقي الصالح الملتزم بأوامر الله تعالى ونواهيه، الذي استطاع البعد عن الشبهات، ولا أقول المحرمات فإن دعوته تصل إلى القلوب، لأنها تخرج من قلب صافي رقيق شفاف، لم تعكر ولم تشوش، بالأفكار التي تظلم العقول، وتشوش الألباب، بل يصل الأمر إلى أن تكون أفعاله وحركاته وسكناته كالأضواء الكاشفة التي يهتدي الناس بها إلى سلوك طريق الحق والرشد، دون أن يصدر منه أمر لأحد أو نهي لأحد.

وهكذا كانت رحلاتنا إلى الشيخ وعلاقتنا به إلى أن شغلت بالسفر للخارج لسفرية طويلة، وعندما عدت بعد سنوات، وأحببت لقاء الشيخ والسلام عليه، وجدته يعيش في مكان بعيد عن العمران، فقد اتخذ له حجرة واسعة

---

(١) النور: ٣٥.

وسط المقابر ليقضي فيها بقية أيامه ووجدت معه سيدة تعيش معه في هذا المكان، وقد عرضت علي إعطاء دروس لسيدات يأتون إليها في أوقات محددة، ولكني اعتذرت لكثرة المشاغل التي كانت تنتظرني بعد عودتي من الخارج، وقد رجوت الشيخ ليكتب لي كلمة تفيد بإجازته لي في علومه ومروياته، ووعدني خيرا، وبعد عدة أشهر سمعت بوفاته، وقد وجد أبناؤه ومحبوه في أوراقه استجابة لطلبي وسلمني إياه الأخ الدكتور محمد مهنا، فجزي الله تعالى شيخنا على جهوده المباركة أفضل ما جزي عبداً من عبيده المخلصين وبارك في أتباعه ومحبيه السائرين في طريقه الذي عبده لهم إنه قريب مجيب.



٢- الشيخ صالح الجعفري

عالم فاضل، وفقيه كبير وداعية رباني، ينتمي إلى قبيلة الجعافرة التابعة لمحافظة أسوان، جاء يطلب مزيداً من العلم في الأزهر الشريف، كما يطلب المزيد من الصفاء الروحي، الذي يعطيه المزيد من القرب من المولى جل جلاله.

لقد سمعته يقول: "بعد أن وصلت إلى القاهرة، وجدت الأجواء العامة بها لا تحقق شيئاً من القرب من الله تعالى، فقلت في نفسي: الأفضل أني أعود إلى بلادي وابتعد عن تلك الفتن، وجال هذا الفكر في خاطري وأنا جالس في حلقة درس العلم الذي كان يلقيه الشيخ محمد بخيت المطيعي - وقبره بجوار المسجد المسمى باسمه بميدان الحلمية بعين شمس - وإذا بالشيخ محمد بخيت يقول بصوت واضح: يظن أحدهم أنه بعبادته في تلك القرى يصير وليا من الأولياء، لا، الولاية هاهنا في مجاهدة النفس، وكأن الشيخ قد اطلع على الخاطر الذي جال في قلبي، وأراد أن يجلي لي الأمر، وأن مجاهدة النفس ومغالبتها حتى تزعن لطاعة الله وتلتزم بشريعته، أفضل من عبادة شخص كل الظروف حوله تساعده على الالتزام بالشريعة، هذا القول جعلني أتردد في فكرة العودة إلى البلاد، وتجعلني أحزم أمري على البقاء.

أقول: سبحان الله، لقد انتابني مثل هذا الخاطر في لحظة والشيخ صالح رحمه الله هو الذي نبهني إلى صرفه عن نفسي.

والحكاية: كنت محباً لصلاة الجمعة في الجامع الأزهر، وكنت آتي من عين شمس الغربية لأداء الصلاة خلف الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، ولكن كنت حريصاً على أداء صلاة أربع ركعات بعد الظهر، وفي نفس الوقت كنت حريصاً على حضور دروس الشيخ صالح رحمه الله وفي يوم جمعة: أسرع الشيخ صالح إلى حلقة العلم التي كان يقيمها وسط الجامع الأزهر الشريف

وفي لحظات وجدت نفسي وسط الحلقة ولم أصلّ الركعات الأربع، وانتابتني حيرة شديدة هل أضحي بمكاني في حلقة العلم لأخرج لأداء صلاة الركعات أم استمر؟ وذلك فيه إضاعة لهذه العبادة، وظل هذا التردد عندي للحظات، وقارب أن يتغلب الخروج من الحلقة لأداء الصلاة، وفي أثناء هذه الحيرة، أغلق فكري فلم أفهم ما يقوله الشيخ صالح من العلم، وفجأة انفتح الفكر وسمعت الشيخ يقول: سماع العلم أفضل من نوافل العبادة، وحينئذ حدثت عندي راحة واطمأنيت في جلستي وسمعت الدرس كاملاً.

وقراءة الخواطر، ومخاطبة أهلها، علم رباني لا يدرس، ولكن يكتسب عند أهل الصفاء، بعد أن ترق أفئدتهم، وتصفو مشاربهم،وتمنح بصائرهم القدرة على رؤية بعض ما حولهم من خلال بواطن الماديات، كأنها حقائق واقعة، وفي قوله ﷺ: "إني أراكم من وراء ظهري" إشارة إلى ذلك، وصوت عمر رضي الله عنه من على منبر المدينة "يا سارية الجبل" وسارية يقود جيشاً لحرب الكفار، والمعركة محتدمة على بعد آلاف الأميال، فيسمع سارية التوجيه الصادر إليه من المدينة، ويستجيب له وينحاز بجيشه، وينجو من هزيمة كانت محققة، ومن الأدلة الواضحة على ذلك قوله ﷺ "يطلع عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة" فيتبعه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما إلى بيته ويلازمه ثلاثة أيام فلم يجده يعمل عبادة غير عادية، ثم سأله عن السبب الذي جعله من أهل الجنة، كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ فقال هو ما رأيت غير أني أبيت وليس في قلبي حقد على أحد من المسلمين، لكني في النهاية أقول: هذه أسرار يتفضل بها سبحانه وتعالى على من يشاء من عباده.

الحمد لله رب العالمين، لقد سعدت بالجلوس في حلقات الشيخ صالح كثيراً، وخصوصاً في تلك المرحلة الفاصلة في حياتي، من أواخر عام ١٩٦٩م إلى منتصف عام ١٩٧٠م هذه المرحلة كنت شديد التعلق بمجالس

الشيخ صالح، وكنت أجلس في البداية واسمع ما يقول من القرآن الكريم في موضوع الدرس ثم يسرح بنا في المعاني الروحية العالية، حتى تنهمر الدموع مني ومن غيري، وتتعلق أرواحنا في الملكوت ولا يزال يرتقي بنا وبأرواحنا، وتستمر الدموع في المسيل، حتى يتوقف الشيخ لأذان المغرب والصلاة، وبذلك ينتهي درس اليوم، وكانت الدروس في تلك المرحلة تبدأ بعد العصر، أي في الوقت الذي أكون قد أنهيت عملي في إدارة مخابز المجموعة، وكان ذلك في مرحلة الاستعداد لتقديم الأوراق للتعيين في وظيفة معيد في الجامعة، بناء على الإعلان الذي نشر يطلب فيه معيدون في الفقه العام، وفي الفقه المقارن بكلية الشريعة، وكان الجانب الروحي عندي قد ارتفع بسبب أمرين:

أحدهما: شدتي في مراقبة مخابر القطاع العام، لشعوري بأني أصبحت وحدي المسئول عن حفظ المال العام المتمثل في عشرين مخبزاً تحت إدارتي، وأقوم بحراستها من حوالي ستمائة عامل وموظف يعملون بها والكل لديه الرغبة في السرقة إلا من رحم ربي، في اثنين أو ثلاثة.

الأمر الثاني: تجديد الأوراد على يدي فضيلة الشيخ محمد أحمد الطيب، بعد أن توقفت عن الأوراد مدة قصيرة لشدة الظروف وقسوتها على الفقير في هذه المرحلة.

لقد سمعت الشيخ صالح يشكو من تقصيره في واقعة صغيرة في نظري، إنه يقول: إنه خرج من استراحته داخل جامع الأزهر الشريف – في أحد الأروقة – بنية زيارة ضريح السيدة فاطمة النبوية في نهاية شارع الباطنية، بعد الظهر، فوجد الشمس شديدة الحرارة فنام في ساحة الجامع الأزهر حتى تخف درجة الحرارة، وإذا به يرى في منامه هذا؛ الإمام ابن عربي المكي، المدفون في الجامع الأموي بدمشق – أو بقربه – في تلك اللحظات يأتي من بلاد الشام لزيارة ضريح السيدة فاطمة النبوية، ويضع على رأسه عباءة

لتحميه من شدة الشمس.

الشيخ صالح يحكي ذلك بشيء من الشعور بالتقصير، وكأنه يقال له: انظر إلى الرجال الكبار لم تثنيهم حرارة الشمس من القيام بتكريم بعض آل البيت ففاطمة النبوية بنت الإمام أبي عبد الله الحسين، وجدتها فاطمة الزهراء رضي الله عنها كريمة رسول الله ﷺ فسميت باسم جدتها رضي الله عن الجميع.

لقد أكرم الله تبارك وتعالى الشيخ صالح حيث انتشر اتباعه في كثير من الدول العربية حيث توجد المساجد المنتشرة في كثير من الأحياء في القاهرة، وخارج القاهرة في المدن والقرى، حتى في بني عدي مسقط رأس أبي البركات، حيث يوجد له هناك أتباع كثيرون، ولهم هناك بعض المكتبات الكبرى التي تحمل اسم الشيخ صالح فضلاً عن المساجد.

حدثني الشيخ محمد أمان مامي عميد كلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بأنه التقى بالشيخ صالح وهو يتحدث في المسجد النبوي ويقول: يجوز الحلف برسول الله ﷺ فسألته عن أدلته على هذا الجواز وخصوصاً كان الشيخ محمد أمان قد شرب الفكر السعودي المتشدد الذي يتمسك به كبار شيوخ المملكة، فقال له الشيخ صالح: أمهلني حتى غد، لنتكلم عن ذلك، وفعلا حضر في اليوم التالي وتناقشا في هذا الموضوع وساق بعض الأدلة ولكن لم يذكر لي نتيجة المناقشة.

نعم عاني الشيخ صالح من تشدد بعض أهل العلم ممن يصفون أنفسهم بالسلفيين وقد مشى في ركابهم كثير من العامة والدهماء، وقد سمعت من شيخنا فضيلة الشيخ محمد الطيب وقد كان زميلاً للشيخ صالح في طلب العلم في الجامع الأزهر أن بعضهم كان يدخل إلى الجامع الأزهر، وينادي بصوت جهوري، من أراد أن يتقرب إلى الله تعالى فليتقرب إليه بذبح الشيخ صالح،

مع رؤية الشيخ صالح له وسماعه لصوته، وما كان الشيخ صالح يزيد على رفع بصره إليه.

مقولة قديمة كانت تتردد على ألسنة بعض العلماء: أن أقدار الرجال لا تعرف إلا بعد موتهم أو إلا بموتهم، وقد تحققت هذه المقولة في شيخنا الشيخ صالح الجعفري، كان مسكنه أو استراحته داخل الجامع الأزهر لا تتعدى عدة أمتار في عدة أمتار، داخل إحدى الأروقة.

أما بعد موته، فقد اتسعت المساحة التي يسكنها المرحوم الشيخ إلى حوالي الألف مرة، وربما أكثر، حيث الضريح وحوله مسجده المسمى باسمه، والمستشفى بتعدد خدماته، والمكتبة المسماة بجوامع الكلم، إلى جانب الخدمات الأخرى، ثم يضاف إلى ذلك أن كل هذه المباني مقامة على مكان يعز على أي مسئول كبير أن يحصل على شبر واحد منه، وهو ما كان يسمى بحديقة الخالدين بجوار مكتبة الأزهر المركزية ومشيخة الأزهر ودار الإفتاء المصرية.

لكن يوجد ما هو أعظم وأفخم: لقد سمعت الشيخ صالح يقول: إنه رأى رسول الله ﷺ في زيارة الحسين في منامه عدة مرات وفي إحدى المرات رأى معه الزهراء، فقالت: حين رأتني، قالت لرسول الله ﷺ: أنا أريد أن تشفع لابني هذا ليدخل الجنة وأشارت إليّ، فقلت: سبق أن بشرني بدخول الجنة.

كنت حريصاً على إلقاء السلام على الشيخ صالح، وتقبيل يده في كل لقاء، ثم سؤاله أن يدعو لي، وكنت أتمنى أن يدعو لي بالفتح، أو بشرح الصدر، أو بإنارة القلب ونحو ذلك من الأدعية المحببة لطالب العلم، ولكن كانت له صيغة واحدة لا تتغير في الدعاء، وهو قوله: "ربنا يرضي علينا" حتى صرت أتوقع هذا الدعاء، وأنا متقدم للسلام عليه، وطلب الدعاء منه، وقد

رضيت بذلك، ومع ذلك ظللت أطلب منه الدعاء عقب كل سلام عليه.

لقد كنت في سفر خارج البلاد، وإذا بي أرى في نومي الشيخ صالح على فراش الموت فوقفت عنده وسلمت عليه، وإذا به يسلمني صديري جديد مما يلبسه الصعايدة تحت لباسهم الخارجي وبه جيبان من الجنبين فأخذت الصديري فرحاً به، لكني كنت متطلعاً إلى ما هو أعلى من الصديري الجديد، فإذا به يسلمني صديري كان يستعمله، وكانت فرحتي به عظيمة، وبعد أيام وصلني الخبر بوفاته رحمه الله رحمة واسعة.

ثم رأيته بعد ذلك بعدة سنوات قليلة يقف في المربع الذي به المباني السابقة حول ضريحه، بجبته وعمته، وسط مجموعة من الخيام البوص، وفي كل خيمة مجلس ذكر.

ثم رأيته للمرة الثالثة وكدت أن أقبل لحيته التي بها آثار الحناء، وحينما اقتربت منه، إذا بي أخشى أن يراني أو يسمع بي الشيخ محمد الطيب فيغضب مني، لأن المربين الكبار يغارون على أولادهم، بعد أن تطول رعايتهم لهم حينئذ تراجعت.

لكني لم انقطع عن زيارة ضريحه في أي فرصة أتيحت لي، وألقى عليه السلام عند مروري عليه، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

* * *

٣- الشيخ عبد الرحمن نجم الكردي

ينتمي الأستاذ الدكتور / عبد الرحمن نجم الكردي إلى أسرة دينية روحية تحتضن في التصوف الطريقة النقشبندية، حيث يلتقي المنتمون إلى هذه الطريقة بشيخها، وهو أحد أفراد هذه الأسرة، إما في ساحتها في جنوب ميدان الخلفاوي، على طريق أحمد حلمي بجوار سكة قطار الوجه البحري، في منزلها الواسع؛ في أسفله المسجد الذي تقام فيه صلاة الجماعة، أو في مسجدهم الكبير الكائن بقرافة باب الوزير، على شارع صلاح سالم بالقرب من ميدان الفردوس، حيث يواري جثمان كل من الشيخ نجم والشيخ عبد الرحمن في ضريح وسط المسجد، وبجوارهما جثمان المرحوم الأستاذ الدكتور ضياء بجوارهما، لكنه مقبور في أسفل المسجد.

لقد سعدت بلقاء كل شيوخ هذه الأسرة ابتداء من والدهم المرحوم الشيخ نجم أكثر من مرة ومحل العجب منه انشغاله الدائم بسماع العلم لا يسمح لنفسه أو لغيره بإضاعة شيء من وقته، وقد حاول الشيخ عبد الرحمن بعد سلامي عليه أن يخصني منه بدعوة، بصلاح الحال، فاكتفى بقوله: "إن شاء الله " فرضيت منه جداً، لأنه قبل مدة كان طلب منه الدعاء لي فخصني بدعوة، وهؤلاء الكبار تكفى منهم الإشارة أو لحظة العين.

ابتداء علاقتي بالشيخ عبد الرحمن وتطورها:

كانت هناك علاقة حميمة بين الدكتور محمد محمود فرغلي زميلي الأكبر في كلية الشريعة والقانون بالقاهرة، وبين الدكتور عبد الرحمن، حين كان متقلداً لمنصب نائب رئيس جامعة الأزهر المرحوم الشيخ محمد الطيب النجار، وكنا أنا والدكتور فرغلي نحاول ألا نفترق لشدة الألفة بيننا، فأخذني معه لزيارة الشيخ عبد الرحمن، وبعد السلام عليه جلسنا معه، وكان لطيفاً في مجلسه خصوصاً مع محبيه، فقال عبارة شديدة عن فرع أسيوط، استرعت

انتباهي بقوة، لأنه كان عائداً لتوه من أسيوط، هذه العبارة: "لقد جئت من عند أناس لا يؤمنون بالبعث" هذا الوصف لمجموعة من أساتذة الجامعة، والمراد أنهم يبالغون في أثمان المؤلفات التي يبيعونها للطلاب، لكن هذا السبب هل يصلح لأن يخرج المسلم عن دينه فضلاً عن العالم، إذ لا بد أن يكون الأمر أخطر من هذا بكثير هل يحصلون على هذه الأموال دون الالتزام بما يجب من حسن الإدارة أو يهملون القيام بواجبهم في التدريس وغير ذلك من الأسباب، لكن الشيخ لم يفصح عن شيء آخر، وفي لقاء آخر سمعنا من الشيخ إلغاء انتداب عميد كلية الشريعة والقانون بأسيوط، ثم في لقاء آخر عرض عليّ عمادة كلية الشريعة والقانون بأسيوط، فرفضت باعتذار رقيق، لسببين:

أحدهما: أني لا زلت أستاذا مساعداً وشرط العمادة أن يكون العميد على درجة أستاذ.

أما السبب الآخر فهو: المعاناة التي مرت بي، في عملي السابق في إدارة مجموعة من مخابز القطاع العام، بدأت بتعييني رئيساً لمخبز كبير، ثم رئيساً لمجموعة ست مخابز، ثم ارتفع العدد إلى اثنى عشر مخبزاً، نعم: أكرمني الله تعالى حتى أن المدير العام أطلق عليّ لقب: أن أحمد ريان "فرقة إنقاذ" لكني خرجت بقاعدة هامة للإصلاح، وهو بذل التضحية في الإدارة مع الجدية في الإنتاج، دون التقيد بالساعات المحددة رسمياً، واستمر ذلك العمل لمدة ست سنوات ولم يخل سبيلي إلا بعد علمهم بتعييني معيداً بالكلية.

لذلك يصعب عليّ العودة مرة أخرى للإدارة.

إلا أن الدكتور عبد الرحمن كان مصراً على إعادة هذا العرض لمدة شهرين كاملين، مع سماعه في كل مرة باعتذاري، لكن في آخر الأمر، توصلنا إلى حل وسط، وهو انتدابي لمدة سنة واحدة لعمادة كلية الشريعة والقانون بأسيوط، ترضية للشيخ وفي خلال هذه السنة يمكن البحث عن عميد مناسب للكلية.

لكن رئيس الجامعة أصدر القرار بالانتداب لمدة سنتين إلا أني ذكّرت الشيخ بوعده بأن العمادة لا تكون إلا لسنة واحدة.

تسلمت العمل بكلية الشريعة والقانون بأسيوط في بداية العام الدراسي عام ١٩٨٣م وحينما اجتمع المدرسون معي لتوزيع المواد المراد تدريسها في العام الدراسي الجديد، سلمني الأخوة جميعاً الكشف بجميع المواد لاختيار المواد التي يمكنني التأليف فيها للحصول على ما يناسبني من أثمانها إلا أني اعتذرت عن ذلك، وقلت لهم: إني لن أدرس إلا من الكتب القديمة التي لا تحتاج إلى إعادة تأليف، لكن تراضوا فيما بينكم.

ومن هذا القبيل، أحد المدرسين القدامى يأخذ طلابه ليدرس لهم في المسجد المجاور، ثم نفاجأ في آخر العام أنه لم يدرس لهم شيئاً من المقرر لكن له مذكرات في خارج المقرر يوزعها على الطلاب، وبالطبع سيكون الاختبار من محتوي هذه المذكرات، وحاولت أن أعالج هذا الموضوع بتدريس أجزاء من المقرر وهو يدرس أجزاء أخرى، وقد بقي على الاختبار خمسة عشر يوماً، فنحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه، لكني حين دخلت قاعة المحاضرات لتدريس الجزء الذي سأقوم بتدريسه فإذا به يدخل القاعة خلفي وينتزع مني الميكرفون أمام الطلاب، وكان الدكتور عبد الرحمن لدينا في أسيوط خلال هذه الأيام، فعرضت عليه ما حدث فأشار برفع الأمر لرئيس الجامعة، وحول الزميل إلى التحقيق وصدر القرار بفصله من عمله بالجامعة.

نعم حاولت التخفيف من مجريات القضية فعرضت على المحقق التنازل عن حقي فيما أصابني من حرج من هذا التصرف، لكن المحقق قال: إنه لا يحاكم لتعرضه لشخص أحمد ريان، لكن لاعتدائه على عميد كلية وبالطبع إلى جانب التصرفات الأخرى.

الدكتور عبد الرحمن يلبسني العمة الأزهرية:

كنت حريصاً على الالتزام بالزي الأزهري كاملاً خلال المرحلتين الابتدائية والثانوية، وحين جاء موعد السفر إلى القاهرة لدخول الجامعة أكثر الناس طلبوا مني التخلي عن الزي الأزهري لعدم تناسبه مع ظروف القاهرة وركوب الأتوبيسات والنزول منها، مع الزحام الشديد بها، وفعلا أهديت جبتي لأخي الشيخ عطا حسنين إمام أحد المساجد بالأقصر، وعزمت على اللبس الإفرنجي، وفعلاً، اشتريت بدلة مستعملة من سوق العصر بخمسة جنيهات، واستمر الزي الإفرنجي حتى حصلت على درجة الدكتوراه، وتمت الإعارة إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، لكني فوجئت بأن لبس الزي الإفرنجي ليس مستحباً، وتم التغيير إلى لبس الثوب السعودي والغترة تفرد على الطاقية على الرأس.

لكن بعد مدة قصيرة سألت نفسي، كيف يحدث من الأزهري الذي يحب أزهره جداً أن يتنازل عن زيه الأزهري ويلبس الزي السعودي، مع أن السعوديين نراهم في زحام القاهرة يحافظون على ثيابهم وغترهم ولا يستبدلونها بأي زي آخر.

لذلك عزمت على العودة إلى ريحة الزي الأزهري، فبحثت عن ترزي مصري هناك وعندما وجدته اشتريت القماش وطلبت منه عمل جلبية صعيدية لكن يفتحها من الأمام حتى تكون شبيهة بالجبة الأزهرية ونجعل الغترة كالشال الذي يلف على الطاقية على الرأس مع عمل ذؤابة لهذا الشال من الخلف عملاً بالسنة، واستمر الحال على ذلك حتى عدت من السعودية وتسلمت عملي بكلية الشريعة بالقاهرة لكن بعد صدور قرار انتدابي لأسيوط عزمت على الاستمرار بهذا الزي، لكن في الرحلة التالية حين ذهبت للسلام على الدكتور عبد الرحمن إذا به يخرج من جيبه الطربوش والشال، ويلف الشال على

الطربوش ويضعه على رأسي من قبل أن يأخذ موافقتي، لكن ما زدت على الابتسامة لصنيع الشيخ عبد الرحمن واستمر الحال على ذلك إلى الآن.

وأحمد الله تعالى في نهاية هذا العام، إذ بعميد الكلية الأسبق الأستاذ الدكتور إمبابي وصل من الإعارة من الخارج، وكان ذلك سبباً كافيا لإلغاء الانتداب للسنة التالية المقررة في قرار الانتداب.

السهرة الرمضانية:

من النفحات الطيبة في علاقتي بالدكتور عبد الرحمن وبأفراد أسرته المباركة، هذه الزيارة السنوية في شهر رمضان من كل عام لساحة الشيخ الكردي، إذ أقوم مع أحد الأولاد في أحد أيام العشر الأواخر من رمضان بزيارة الساحة حيث تبدأ بصلاة المغرب والإفطار، ثم صلاة العشاء والتراويح وأجبر على الإمامة بالشيخ والمحبين، خلال تواجدي في الساحة، وهذه النفحة والحمد لله مستمرة منذ بدأت العلاقة وحتى شهر رمضان الماضي ١٤٣٥هـ سواء في خلافة الدكتور عبد الرحمن، وكذلك في خلافة الدكتور ضياء، وكذلك في خلافة المستشار محمد ومما يزيد في سعادتي شدة الترحيب من الأحباب جميعا فضلاً عن البشاشة التي تظهر على وجه الإمام.

وفي السنوات الأخيرة أعاد المستشار الدكتور محمد سنة الشيخ نجم بشغل الوقت بعد العشاء بالقراءة في أحد كتب الأخلاق الروحية المحببة إلى أهل الدعوة إلى الله تعالى، وأنا على أي حال لم أقدم شيئاً سوى شكري الجزيل لحسن الاستقبال مع الإكرام الصادر من المحبين، وقد أصحب معي مجموعة من نسخ أي كتاب جديد أوفق لإعداده.

وفي النهاية أرجو من الله تعالى أن يبارك في هذه الأسرة الطيبة، وأن يزيد في توفيقهم في أداء رسالتهم المباركة لمصلحة الإسلام والمسلمين.

٤- الشيخ جمال الدين أحمد علي بدر

كان المرحوم الشيخ جمال الدين، شيخ معهد بلصفورة الديني الابتدائي الأزهري، وكانت المرحلة الابتدائية عام ١٩٥٢م أثناء التحاقي به تعادل المرحلة الإعدادية في النظام العام، لأنها تؤهل الطلاب لدخول المرحلة الثانوية، في كلا النظامين.

كان الشيخ جمال الدين أحد ثلاثة إخوة علماء يقومون على رعاية طلاب المعهد الذي أنشأه والدهم الشيخ أحمد علي بدر فوق مسجد لأولاد حماد، وهي العائلة الأكبر في بلصفورة، وإلى هذا الإمام ينسب بيت الشعر المشهور الذي جاء فيه:

وربَّ يد تقبل وهي جَربي وأعسر من مقبلها حساباً

ووالد الشيخ أحمد: هو الولي الكبير صاحب المقام العالي الشيخ علي بدر، وهو مدفون داخل مقبرة العائلة، وبجوارها حوش كبير،به مدفن الشيخ أحمد والدهم، وبه حجرة كبيرة يأوي إليها طلاب العلم الفقراء للسكن، حيث لا يطالبون بنفقات سكن أو إضاءة أو مياه، وقد جرت العادة أن كنا نجتمع فيها ليلة الجمعة من كل أسبوع لقراءة المسبعات والصلوات وأسماء الله الحسنى، من إعداد أبي البركات سيدي أحمد محمد الدردير، صاحب الشرح الكبير والصغير في الفقه المالكي، إلا أنها فيما بعد انتقلت هذه القراءة إلى المسجد الكائن تحت فصول المعهد الديني في ليلة الجمعة من كل أسبوع، حيث كنا نطالب جميعاً بالحضور إلى هذا المسجد من صلاة المغرب إلى قرب منتصف الليل طوال الأسبوع للمذاكرة به، حيث كنا نحضر يومياً بالنهار لسماع دروس الفقه المالكي من فضيلة الشيخ الحداد الجزيري، بالسنة الأولى من كتابه "المنح البدرية" في فقه المالكية، ومن كتاب أبي الحسن الشاذلي لشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، بالسنة الثالثة والرابعة، وكان رحمه الله يقيم

بحجرة صغيرة ملحقة بالمسجد يأتي إليها من صباح السبت إلى يوم الخميس من كل أسبوع من جزيرة شندويل.

أما تدريس الفقه المالكي بالسنة الثانية فهو مقصور على الشيخ علي أبي المواهب الأخ الأكبر للشيخ جمال الدين، وهو من تأليف الشيخ الحداد الجزيري، ويستمر الشيخ علي أبي المواهب في عمله هذا طوال الأسبوع.

أما الأخ الأصغر، هو الشيخ زكي، فكان يدرس النحو ثم صار شيخاً للمعهد فيما بعد، وذلك بعد صدور القرار من شيخ الأزهر بنقل الشيخ جمال الدين ليكون شيخاً لمعهد أولاد طوق ثم شيخاً لمعهد سوهاج، وصار الشيخ زكي شيخاً للمعهد.

ونظراً لأن المعهد لم يكن رسميا بل كان ملحقاً بالأزهر، فلم يرسل الأزهر لهم إلا مدرساً واحدا، هو الشيخ محمود رضوان لذلك كان الشيخ جمال وأخواه ينفقون على استئجار بعض المدرسين لسد النقص في هيئة التدريس، لكن هيهات لذلك كان الشيخ جمال يقوم بالتدريس لكل المواد التي ليس لها من يقوم بتدريسها، وذلك كما يلي:

يأتي في الصباح فيقف في الساحة وسط الفصول، فإذا قيل له، الفصل الفلاني بالسنة الفلانية لديها مادة الرياضة فيتجه إليها ويدرس لهم الرياضة، وبعد أن ينتهي من درس الرياضة يعود إلى مكانه من الساحة فيقال له: الفصل الفلاني بالسنة الفلانية عندهم مادة التاريخ، فيتجه إليهم ويدرس لهم مادة التاريخ، ثم يتجه إلى الساحة، فيقال له الفصل الفلاني بالسنة الفلانية عندهم مادة إملاء وخط، فيذهب إليهم ويدرس لهم الخط أو الإملاء ويستمر على هذه الحالة حتى ينتهي اليوم الدراسي في الساعة الثانية بعد الظهر: حيث يكون الإجهاد قد أنهكه تماماً.

فيستند إلى بعض الطلاب أو الخدم بالمسجد حتى يصل إلى بيته، فإذا

شعر بشيء من النشاط بعد المغرب، فيخرج ليمر على بعض الطلاب في مساكنهم ليرى هل هم يذاكرون أو يلعبون بما يشغلهم عن المذاكرة، وأخيراً أصدر قراراً برحيل الطلاب جميعاً إلى المسجد تحت المعهد في مغرب كل يوم للمذاكرة هناك ليكونوا هناك تحت إشراف إدارة المعهد.

علقة ساخنة على رجلي من الشيخ جمال:

كان الشيخ جمال حريصاً على أن يجعل طلابه في كل مادة يدرسها لهم على مستوى لا تقل عن مستوى التخصص، ومن ذلك، أثناء إعطائه لمادة الرياضة، لاحظ ضعفا لدى زميلي وأخوي من نفس القرية، وهما: محمد حسن يحيى، ومحمد عثمان طايع، في مادة الرياضة، فأمرهما في مساء كل يوم أن يذهبا إلى أحد الطلاب الأقوياء في الفصل يساعدهما في قواعد المادة، لكنه أضاف وأن يذهب معكما أحمد ليؤنسكما ويشجعكما، فلما ذهبنا إلى السكن حصل بيننا احتكاك فقلت: لن أذهب معكما، لأني مجرد مشجع ومؤنس وكذلك هما ربطا ذهابهما بذهابي معهما، فلم يذهبا.

وفي الصباح، سألهما الشيخ عن عدم ذهابهما فقالا لم نذهب بسبب أن أحمد لم يذهب معنا، وصدر القرار بمد الثلاثة على أرجلهم وضربهم بسبب عدم تنفيذ أمر أستاذ المادة.

وبمرور الوقت أو تقدم السن، وتعرفي على الأنشطة التي يقوم بها الكثير من الناس الكبار والصغار يزداد تقديري لهذا الشيخ وللجهد المضني الذي كان يبذل بهمة ونشاط في مجال التدريس وفي كل المواد، دون كلل أو ملل، بالرغم من ظروفه المرضية طويلة الأمد الذي صحبته طوال حياته، والذي عرفتها منه أخيرا حين كنت معيداً بالكلية، وأتى هو إلى القاهرة، وكان مقيما في فندق رضوان مشرفاً عاماً على امتحان الثانوية بمعهد القاهرة، ونظراً لمرضه كان يعتمد على نائبه في هذا الإشراف، وهو المرحوم الشيخ

أبو الحمد أحد شيوخ معهد قنا، وكان يمضي معظم الوقت نائما سواء بعد حضور لجنة الامتحان أو بعد عودته إلى الفندق.

ومن العبارات التي تقال للكبار الذين نلمس منهم الزهادة في مظاهر الحياة، فلان طلق الدنيا؛ فتذكرت هذه العبارة فقلت: وهو نائم يا مولانا أنعم الله عليكم فطلقتم الدنيا؛ فرد على الفور، قائلاً: لماذا تقول هذا يا بني: إن أبغض الحلال إلى الله الطلاق، يا بني: متى تزوجناها حتى نطلقها؟

علاقة خاصة بأسرة آل بدر:

كانت علاقتنا في المعهد كغيرنا من الطلاب مع شيوخ المعهد، والتي أشرت إليها فيما سبق، لكن يشاء المولى جل علاه، أن تنشأ علاقة خاصة بهذه الأسرة، من منتصف السنة الثانية حتى انتهاء المرحلة بالسنة الرابعة، حيث تشاء المقادير أن ينهار أحد جوانب القصر الذي يسكنه الشيوخ الثلاثة، ويخشى من انهيار شيء آخر من المبنى المكون من طابقين، ويكون القرار الرحيل من المبنى جميعه، بحيث يعود الشيخ على وزوجته إلى منزل قديم لهم وسط البلد بعد مدافن الأسرة، ويذهب كل من الشيخ جمال والشيخ زكي إلى الإقامة في سوهاج لكن لا بد للمنزل الكبير من شخص أو أكثر يؤنس المكان، ويرد على من يسأل عن ساكنيه أين مكانهم الآن، فوقع الاختيار على الفقير وعلى الأخ موسى رضوان من كيمان المطاعنة للإقامة في أحد الحجرات بالمبني، لإيناس القصر، وليتوليا الرد على السائلين عن الأسرة وهكذا نشأت هذه العلاقة الخاصة بتلك الأسرة الطيبة ومن آثار هذه العلاقة الخاصة أنه قد مرت مرحلة من الإفلاس بكل أبناء (القبالوة) وهذا اللقب كان يطلق على أبناء محافظة قنا الذين يطلبون العلم بهذا المعهد وكانوا كثيرين ولما علم الشيخ علي بما أصابنا من هذه الأزمة، فإذا به يحمل مكتلا من الخبز بنفسه ويضعه في غرفتنا، ومن ذلك أيضاً: كنت وأخي موسى في سوهاج وتأخرنا هناك

بالليل ولا يمكننا المشي ليلاً إلى بلصفورة، فذهبت إلى منزل الشيخ جمال وشكوت له حالتنا وأننا لا نملك أجرة القطار، وكانت التذكرة قرشا ونصفاً، فوضع في يدي خمسة قروش، فقطعنا تذكرتين وعدنا إلى بلصفورة بالمساء.

نهاية المطاف:

أكرمني الله تعالى بالنجاح في الشهادة الابتدائية، وأما أخي محمد حسن فكانت له عودة لكنه وفق أخيراً، وأما أخي محمد عثمان فلم يوفق وعاد يعمل في الشرطة، وأما الشيخ زكي فقد قضى بقية أيامه شيخاً للمعهد دون أن ينجب وكذلك الشيخ علي توفى دون أن ينجب وكان صبوراً على زوجته المريضة مرضاً مزمنا، وأما الشيخ جمال فأكرمه الله بأربع من البنين وخمس من البنات، والبنون هم: محمد أشرف أستاذ بكلية الصيدلة بالأزهر بالقاهرة، والدكتور حسام الدين أستاذ اللغة الألمانية بكلية اللغات بجامعة الأزهر بالقاهرة، والدكتور محي الدين أستاذ اللغة العبرية بكلية اللغات بالقاهرة، والدكتور صلاح أستاذ بكلية العلوم بأسيوط بجامعة الأزهر، أما البنات فكلهن متزوجات وموفقات، والحمد لله رب العالمين، فبارك الله تعالى في آثار هذه الأسرة المباركة وهم جميعاً يسيرون في ركب العلم الذي أسسه الأباء والأجداد رضي الله عنهم.

* * *

٥- الشيخ محمد محمود فرغلي

جمعني المولى جل علاه مع المرحوم الأخ الكريم الدكتور محمد محمود فرغلي منذ عام ١٩٧٠م أي منذ التحاقي بالكلية في ذلك العام إذ جمعت الوظيفة بيننا باعتبارنا معيدين، كان هو معيداً في قسم الأصول، وكنت معيدا في قسم الفقه المقارن، كما جمعت بيننا اللغة حيث كان كل منا يتكلم على سجيته باللهجة الصعيدية الجافة التي يتعامل بها أهلنا في قرى الصعيد، حيث كان هو من قرية بني زيد مركز أسيوط وكنت من قرية الغربي قمولا، إحدى قرى الأقصر، فلم يوجد بيننا شيء من التحفظ في التعامل مع الآخرين بالكلية، لكنه كان يكبرني سنا، وأوسع مني علما، لأنه ينتمي إلى أسرة دينية علمية كما كان صاحب خبرة سابقة حيث عمل في أروقة الأزهر قبل تعيينه معيداً بالكلية، حيث كان سكرتيراً للدكتور حب الله بإدارة الأزهر.

تميز الشيخ فرغلي بأفقه الواسع فلم أره مغضبا يوماً من أحد مهما أساء إليه، أو عامله بقسوة لقد امتحن امتحاناً شديداً وشاقاً في تقدمه لدرجة الأستاذية، إذ قدم بحثا مكوناً من عدة قواعد واعتبره بحوثا متعددة، لكن اللجنة المكونة من عدد من كبار الشيوخ في الكلية وكان من بينهم الشيخان فضيلة الشيخ جاد الرب، والشيخ الحسيني والد الدكتور عبد الفتاح، وكانا هو والشيخ فرغلي كفرسي رهان، حيث كانا في سباق لكن مع الأدب الجم والاحترام المتبادل وقد سبق الشيخ عبد الفتاح إلى الحصول على درجة الأستاذية بالكلية، وكان بقسم أصول الفقه، فلما قدم الشيخ فرغلي أوراقه ومنها هذا البحث المطول اعتبرته اللجنة بحثا واحدا، وأرجئت الدرجة وطلب منه بحث آخر، ونظرا لهذه الحساسية تحدث البعض في الكلية عن أن هذا الموقف إنما عمل لصالح الدكتور عبد الفتاح حتى لا يزاحمه الشيخ فرغلي في الوظائف الإدارية بالكلية وقد قوى هذا الظن لدى البعض حتى تكلم الدكتور المرحوم رمضان

حافظ مع شيوخه بما لا يليق حيث قال لشيخه المرحوم جاد الرب، أنا غير الدكتور فرغلي، وأنا على استعداد إذا عاملني واحد معاملة الدكتور فرغلي أن أدكه، وكان ذلك بحضوري أمام باب الكلية، فقلت له: هل هذا أسلوب يليق التحدث به مع شيخك فتوجه إليّ ورفع صوته عليّ، وقال أنت لا شأن لك بذلك، فما كان من الشيخ جاد الرب إلا أن أزاحنى بعيدا عن الدكتور رمضان، والشاهد من ذلك كله أن الدكتور فرغلي لم ينبس ببنت شفة وكان يلتقي بهذين الشيخين فيسلم عليهما ويصر على تقبيل يد كل منهما، وينادى على أيهما، بشيخه.

ثم يكمل هذا الموقف فيما بعد، بعد أن صار الدكتور عبد الفتاح رئيساً للجامعة وصار الدكتور فرغلي عميداً للكلية فيتقدم الشيخ جاد الرب باستعفاء من التدريس بالكلية بورقة مكتوبة باعتباره كان شريكا في إرجاء الترقية للدكتور فرغلي والتي قبلت من لجنة أخرى، وتمت الترقية، وصار الدكتور فرغلي عميداً للكلية وشعور الشيخ جاد بالحرج، وخصوصاً وهو قد جاوز الثمانين عاماً، فكان رد الشيخ فرغلي: لو قبلت هذه الورقة لكنت قليلا للأدب، وطيب خاطره بعبارات رقيقة.

ومن مواقفه الطيبة في هذا المجال أنه كان رئيساً للجنة السرية لطباعة أسئلة امتحانات في إحدى السنوات، وقد وصلت صورة من أسئلة امتحانات أحد الأساتذة بالكلية إلى رئيس الجامعة، الذي صمم أن ينتقل بنفسه من مكتبه بأعلى قاعة الإمام محمد عبده إلى لجنة الامتحانات بكلية الشريعة ليتحقق من ذلك لخطورة هذا الأمر، وقد أوعز إلى الدكتور فرغلي قبل وصوله بدقائق قليلة، فما كان منه إلا أنه كتب أسئلة بديلة عن أسئلة الأستاذ، بسرعة فائقة، فلما قدمها إلى رئيس الجامعة سُرّ بذلك وحمل ما وصل إليه من باب التشويه، وكان ذلك حرصا منه على الحفاظ على سمعة هذا الشيخ، لأن سمعة هذا

الشيخ ستُلحق بسمعة الآخرين من الشيوخ، وبذلك تذهب مهابتهم من قلوب المسلمين، لذلك استحسن الكثير من الإخوان هذا التصرف، لأنه تفادى به وقوع مخاطر لا يعلم مداها وعواقبها إلا رب العالمين، كما أنه كان درسا قاسيا بالنسبة لهذا الأستاذ، فلم تتكرر هذه الجريمة المنكرة منه أو من غيره طيلة هذه السنين حتى يومنا هذا في جامعة الأزهر.

جهد الدكتور فرغلي معي في رسالتي:

أحمد المولى جل في علاه، على توفيقي في إنهاء رسالتي في ثلاثة أعوام وكانت في دراسة عقد الوكالة في الشريعة الإسلامية ووقعت في ثمانمائة صفحة كبيرة، وكنت في حاجة لمن أسمع رأيه من أهل العلم حتى أطمئن على جهدي حتى أتقدم به إلى الأستاذ المشرف الشيخ محمد أنيس عبادة الذي استفدت منه في وضع خطة العمل في الرسالة ثم لم يكن لديه وقت لعرض كلما أعمله أولا بأول، كما هو الشأن في عمل الإشراف على الرسائل.

لقد وجدت تلبية هذه الرغبة لدى الدكتور فرغلي الذي تميز بأنه لا ينام إلا وقتاً قليلاً، لا يتجاوز ساعتين أو ثلاث ساعات على أكثر الحالات في يومه وليله، لذلك كان لديه الوقت متسعاً بصفة دائمة، واستعداده لسماع العلم أو لإفادة من يبغي الاستفادة منه بطيب خاطر، دون ملل أو اعتذار كما يحدث مني ومن غيري في الكثير من الأحيان، لذلك كنت أذهب إليه في سكنه بالنعام وأقضي معه السهرة حتى الساعة الثانية عشرة أو الواحدة صباحاً حتى انتهيت من قراءتها عليه، ويعلم الله أني استفدت منه كثيراً، حتى أن حجمها تقلص إلى سبعمائة وسبعين صفحة كبيرة، وظهر هذا الجهد حين عرضت الرسالة على الأستاذ المشرف بعد ذلك فلم تكن له ملاحظات تذكر على الرسالة بالرغم من قراءته لها من أولها إلى آخرها، كما أني استفدت منه بخبرته التي لم يبخل بها، حتى أثناء مناقشتي كانت مآزرته مفيدة لي.

شاركنا في لجنة الفقه الإسلامي بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية:

فقد صدر القرار بالتحاقي معه باللجنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وكانت برئاسة الدكتور صوفي أبو طالب، وكانت اللجنة مكونة من خمسة عشر أستاذا من كبار الأساتذة المتخصصين في المجال الفقهي، ونحن في طريقنا إلى الاجتماع المحدد بدايته الساعة الثامنة مساءً بجاردن سيتي، لا اشعر ونحن نتحدث إلا أني أصعد بالسيارة في ماسبيرو إلى الكوبري المتجه إلى الزمالك فرفعت صوتي منزعجاً، نحن نتجه إلى الزمالك وليس إلى جاردن سيتي، فما كان منه إلا أنه ابتسم وقال: أهي فرصة نشوف الزمالك، نحن نسمع عنها ولم نأت إليها.

وأحمده جل شأنه أن كان لنا دور مؤثر في مسار جهود اللجنة في المناقشات على مدار حوالي خمسة أعوام وأخص من هذه الجهود، جهدنا في موضوعين كانا في غاية من الأهمية.

الموضوع الأول: أثناء دخولنا على اللجنة كانوا على وشك اتخاذ قرار باتفاق الأعضاء على تحديد القدر الواجب إخراجه من الزكاة بما في ذلك الإخراج عن العقارات.

وعلى الفور أبدينا دهشتنا من هذا الاتفاق وما سيصدر عنه من قرار، وما هو الأساس الشرعي الذي بنى عليه، إخراج عشرة في المائة من نصاب الزكاة.

الدافع: هو الرغبة في زيادة عمل الخير، ومساعدة الفقراء.

فقلنا: من الذي يتقبل منكم هذا الاتجاه وليس له أساس شرعي بني عليه، العشرة في المائة لا تجب إلا في أحد الفروع المالية، وهي حصيلة الأرض إذا سقيت بدون تكاليف، والحمد لله وتوفيقه استطعنا أن نرجع للالتزام بالحكم الشرعي كما هو مفصل في السنة وفي كتب الفقه.

الموضوع الثاني: وجدنا تقريراً معروضاً على اللجنة، مقدما من

الدكتور عبد المنعم فرج الصدة لدراسته وأخذ القرار بشأنه، وموجزه أنه في عام ١٩٦١م تقرر إدخال القانون المطبق في مصر إلى كليات الشريعة، كمواد مستقلة إلى جانب المواد الشرعية، وتم تغيير اسم الكلية إلى كلية الشريعة والقانون، وكان الدكتور آنف الذكر له إسهام كبير في ذلك، وربما كان له الإسهام الأكبر، باعتباره كان هو المسئول عن هذا القسم بالكلية، وكانت إذ ذاك معارضة لهذا الاتجاه من أساتذة الشريعة، لكن كانت بأصوات خافتة، لأن ذلك كان هو اتجاه الدولة، ومن مظاهر هذه المعارضة ما سمعته بأذني من الدكتور فرغلي كأمنية له؛ أن يجمع أساتذة القانون بالكلية، ويضعهم جميعا في بطنه، ثم يضرب بعيار ناري يقتله في الحال وهم في بطنه، وذلك ليطمئن وهو يموت على خلو الكلية منهم. ثم بعد عشرين عاما أو يزيد على تطبيقه يأتي ليقضي على هذا البناء المزدوج على أن تعود كلية للشريعة فقط، وكانت وجهته أن الطالب في الكلية صار ضعيفاً في الشريعة وفي القانون، والعلاج هو إزاحة هذا الازدواج والعودة بالشريعة إلى نظامها القديم.

وخيل إلي أن ذلك كان نوعاً من الاستفزاز للنظام في كلية الشريعة، وكان صوتي هو الأعلى وقد آزرني الدكتور فرغلي، قلت: بعد عشرين عاما علي بتطبيق النظام، وتخريج عدد من الدفعات وأصبحت لهم مراكز قانونية في الدوائر الحكومية نأتي الآن لهدم ذلك كله، إذا كان هناك ضعف فإنه يمكن اقتراح ما يزيل هذا الضعف، بدلا من هدم هذا البناء على رؤوس خريجيه، المواد الشرعية لم تتأثر بالقانون لأن كلا منهما له مواده الخاصة به، يضاف إلى ذلك أن المواد القانونية تتغير باستمرار حتى تتواكب مع التغير الذي يحدث بين الحين والحين في المجتمع. وهذا يساعد على توسيع مفاهيم طلاب الشريعة، ويساعدهم على استيعاب النصوص بطريقة أكبر وأفضل، والحمد لله أغلق هذا الملف وانتهى النظر فيه من ذلك الحين.

استمرار الود المبني على الصراحة والإخلاص في بقية أيامنا حتى أنه

أثناء عمادته لكلية الشريعة يصر على انتظاري لنرجع معاً في سيارتي حيث يأمر ابنه بأنه يأخذ سيارتهم ويعود بها إلى المنزل، وينتظر حتى انتهي من محاضراتي لنعود معا.

كان محبا لكل شيء في الكلية فإذا لم يذهب إلى الكلية يوما يسألني عن كل شيء في الكلية حين اذهب إليه في المساء، حتى صيانتها، هل لاحظت المباني ربما تكون قد ظهرت بها بعض الشروخ هنا أو هناك ويأخذ مني العجب كل مأخذ.

آخر المطاف:

يمرض الدكتور أو الأخ أو الحبيب، فيسافر به إلى الولايات المتحدة لتمكن مرض السرطان منه، وليس له علاج بالقاهرة، وبعد شهر تقريباً يعود من هناك في نعش محمولا على أعناق الأحباب، وما أكثرهم، لا أقول: خرجت كلية الشريعة بل خرجت الجامعة كلها لمرافقته من المطار إلى مثواه الأخير، وكان لي الشرف أني كنت مع ابنيه حيث قمنا بإراحته على جنبه الأيمن في قبره، واشتركنا في دفنه مع إخوانه وشيوخه، من كبار العلماء في المقبرة المسماة ببستان العلماء، وبعد عودتنا إلى منزله وركبت سيارتي لأعود إلى منزلي إذا بي أنفجر بالبكاء بصوت عالي، وتعجب الحاضرون، كيف تحاملت على نفسي ولم يصدر مني ما يشعرني بالحزن طوال هذه المرحلة، هذا البكاء بالصوت العالي لم يحدث مني من قبل، نعم بكيت على فراق والدي ووالدتي، لكن لم تصل بي إلى هذه الحالة التي أنستني حالي ومكانتي بين أبنائي وزملائي.

والحمد لله أنجب أخي، ابنين وبنتين، والجميع يعيش في حالة طيبة، غفر الله لأخي الشيخ محمد محمود فرغلي، وبارك في ذريته إن شاء الله تعالى.

فهرس الموضوعات

***